

الملك **الحزقيا** الثاني

الملك الأخير وعرش مصر
عادل حمودة



عادل حمودة

الملك
المكرم فؤاد
الثاني
الملك الأخير وعرش مصر



الإهداء

إلى سمير وعصام فهمي
إعترافاً بجرأتهم
في عالم النشر ..

عادل حمودة

دعوة

هذه الدار

هى دار نشر حرة تعتبر ملتقى لكافة الكتاب المصريين
والعرب من مختلف الاتجاهات الفكرية والسياسية والقومية .
وهى تدعوهم جميعا لى تنشر آرائهم وأفكارهم وميولهم
واتجاهاتهم الفكرية المتباينة دون حظر أو إضافة أو تعقيب .
وهذه الدار مستقلة تماما لا يقودها تيار محدد وإنما يحدوها
الأمل فى أن تكون مركز إشعاع فكرى مستتير ومؤثر لخدمة
وطننا وعالمنا العربى الحبيب .

« الناشر »

الفهرس

الصفحة

الموضوع

٣	إهداء
٧	قبل أن تقرأ
٢٥	□ □ الجزء الأول
٢٧	١ — ناريمان .. ابنك عنده سنان
٢٩	٢ — ولى العهد .. رقم (١٣)
٥٧	٣ — نيشان إلى إمراة مجهولة
٦٧	٤ — كيم .. وعملية « الزير السمين »
٨١	٥ — وفي يومه العاشر .. احترقت القاهرة
٩٣	٦ — زوج ملكى .. بالسككة القلبية
١٠٣	□ □ الجزء الثانى
١٠٥	٧ — فكر الملك .. ونفذ ضباط الجيش
١١٧	٨ — ماركيزة حافية من حوارى نابولى
١٣١	٩ — الأخرس والطرطور والبصمجي
١٤٣	١٠ — فاصل من « الردح » الملكى
١٥٧	١١ — نام الملك .. تحيا الجمهورية
١٦٧	١٢ — هل قُتل الملك فاروق
١٧٧	□ □ الجزء الثالث
١٧٩	١٣ — رقصة « فلامنكو » فى ملهى « القرصان »
١٩١	١٤ — زواج ملكى فى قاعة « المرايا »
٢٠١	١٥ — كم يملك أحمد فؤاد الثانى ؟
٢١١	١٦ — مصر .. وإن طال السفر
٢٢١	١٧ — الخطوة الأولى فى الطريق إلى العرش
٢٣١	١٨ — ملكية .. بقرار جمهورى
٢٤١	١٩ — أحمد فؤاد .. المزيف
٢٥١	٢٠ — « عسكرية » مصر العربية

قبل أن تقرأ قصة ملك في « اللفة » !

فاروق الأول هو ملك مصر الأخير .. خطأ شائع .
والصحيح .. أنه ابنه أحمد فؤاد الثاني .
وقد حكم مصر وهو في « اللفة » .. وإن كانت « لفة » من الحرير الطبيعي
الخالص .. مستوردة من « فيرون بلان » في باريس .. ومشغول عليها بخيوط بارزة
صورة « التاج » الملكي .. رمز الحكم وشعاره .. فكان من حقه رفضه بقدميه ..
مع أن غيره لو فعلها لجروه إلى السجن بتهمة « العيب في الذات الملكية » .. وكان
من حقه أن يفعل به — أو عليه — مايفعله الصغار في عمره .. وكان عمره — لحظة
أن اضطُر والده للتنازل له عن العرش — بالضبط (٦) أشهر و (١٠) أيام و (٨)
ساعات .. فقد وُلد في فجر يوم الأربعاء ١٦ يناير ١٩٥٢ .. وأصبح ملكاً عند
غروب شمس يوم السبت ٢٦ يوليو من السنة نفسها .. فكان أصغر ملك في التاريخ ..
أو كان الملك الرضيع .. أو الملك الصغير .
ولكنه ..

لم يملك ، ولم يحكم .. لم يقبل ، ولم يرفض .. لم يحزن ، ولم يفرح .. فقد كان
مشغولاً بما هو أهم .. الرضاعة ، أو النوم ، وبودرة « التلك » ، والتعبير عما يريد باللغة
الوحيدة التي يتكلمها .. لغة البكاء والصراخ .. وكان كل مايريده « بزازة » ، و
« كفولة » ، و « عضاضة » من البلاستيك اللين ، تريجه من ألم خروج أسنانه الأولى .
ودون أن يدري .. ودون أن تهتم ، استمر ملكاً شرعياً ، تحت الوصاية (١١)
شهرًا وعدة أيام .. ثم سقط عرشه الذي لم يحتليه ، ولم يره حتى الآن .. وأعلنت
الجمهورية في ١٨ يونيو ١٩٥٣ .. فتهتف الشعب : يسقط الملك .. يحيا الرئيس ..
وكان الرئيس هو محمد نجيب .. وقد أهملناه ، وعاقبناه ، وتجاهلناه ، ونفينا داخل

مصر ، وخارج الزمن .. وقلنا إن جمال عبد الناصر هو أول رئيس .. خطأ شائع آخر .
□ □

والثير للدهشة .. أن الكولونيل أو البكباشي ، أو المقدم جمال عبد الناصر .. وُلد في الشهر نفسه ، الذي وُلد فيه أحمد فؤاد .. وُلد في ١٥ يناير .. ولكن سنة ١٩١٨ .
والاثنان — وهذه من سخرية القدر — من مواليد برج واحد .. « الجدى » ..
برج الشهرة والسلطة .. برج أنور السادات ، وريتشارد نيكسون ، وجوزيف ستالين ، وذو الفقار علي بوتو ، والملك خوان كارلوس .. الذي استرد عرش إسبانيا بعد أن فقدته أسرته .. وبقدر النفوذ الذي يتمتع به أصحاب هذا البرج ، بقدر الأخطار التي يتعرضون إليها .. الإغتيال ، النفي ، الانقلاب العسكري ، والفضيحة السياسية .. مثلاً .. فلا حلاوة بدون نار .. ولا شيء بدون مقابل .

وهم يتسمون بالعناء .. لا يحميهم عن الهدف .. لا يقبلون الحلول الوسط .. يميلون إلى التشاؤم .. غير عاطفيين .. لا يخوضون في سيرة الناس .. يتعدون عن الهزل .. لاحظ لهم مع الأصدقاء .. يفضلون الاستقرار .. لا يميلون إلى كثرة الترحال .. لا ينسون حقوقهم مهما طال الزمن .. يقرعون الأدب ، والتاريخ وحياة العظماء .. ويرون أن المرأة مخلوق لا يصلح إلا لمهمة واحدة .. تدليل الرجل .

إن جمال عبد الناصر وأحمد فؤاد ، حسب قوانين علم الفلك ، من رحم « برج » واحد ، لكنهما حسب قوانين علم الصراع ، على طرفي نقيض .. ثائر ، ومملك .. متواضع ، وصاحب جلالة .. زاهد ، ومترف .. ضارب ، ومضروب .. قالب ، ومقلوب .. ومن ثم كانت مهمة الأول إسقاط حكم الثاني .

□ □

ومنذ ذلك اليوم .. يوم سقوط الملكية .. غاصت أسرة أحمد فؤاد في ظلام الماضي البعيد .. غرقت في حياة التاريخ العميقة .. وابتلعتها الدوامات ، والحيتان ، وأسماك القرش .

وقد توارثت حكم مصر ، أكثر من (١٤٧) سنة .. بدأت بحجده الأكبر والأخطر ، محمد علي باشا ، الذي كان يفهم جيداً في رائحة التبغ ، والنساء ، والمؤمرات .. وكان

يطلق النار على خصومه في « المليان » ، بقلب بارد ، وضمير ميت ، وسعادة غامرة ..
فالسُلطة — كما مارسها وعاشرها — لها أنياب وأظافر .. تبدأ بالغدر وتنتهى بالتurf .
وقد تفرعت أسرته إلى (٤١٧) أسرة أصغر .. خرج منها (١٠) سلاطين وملوك ..
أجبر (٣) منهم على ترك العرش لأولياء العهد الذين كان عددهم (١٣) ، وكان
آخرهم — أو رقم (١٣) — هو أحمد فؤاد نفسه .

ومن سؤ حظه أنه وُلد في الوقت غير المناسب .. مع أن الجميع كانوا ينتظرونه
بفارغ الصبر .. حتى يُطمئنهم على استمرار العرش .. لكن .. قدومه جاء برياح لم
تكن أسرته المالكة ، تشتهيها .. فقفل باب التاريخ على أصابعه .. وإن لم يقفل على
رقبته .. كثيرون مثله حدث لهم ذلك .. فماتوا كمداً على ضياع عروشهم قبل أن
يموتوا شنعاً على يد الثوار .

أما هو فعاش .. ولا يزال .. ولكن بدون ألقاب .. أو بألقاب مضاف إليها كلمة
« سابقاً » .. فهو أمير ، وولى عهد ، وصحاب سمو .. ولكن « سابقاً » .. إنه من
أصحاب السوابق .. ملوك وأمراء الدنيا ، وأولادهم ، وأحفادهم ، الذين أصبحوا في
المنفى .. من أسرة « رومانوف » في روسيا القيصرية إلى أسرة « بهلوى » في إيران
الشاهنشاهية .. ومن أسرة « قسطنطين » اليونانية إلى أسرة « شاه خان » الأفغانية ..
ومن أسرة « سافوى » في إيطاليا إلى أسرة « هيلاسيلاس » في أثيوبيا .. ومنفاهم
المختار ، باريس .. مدينة المخلوعين .. عاصمة الموضة ، والكورفازيه ، والتحف ،
والتسكع ، والمقاهى المفتوحة ، والمجوهرات الثمينة .. وعددهم كبير .. حوالى (٤)
آلاف تقريباً .. وبعضهم صعاليك ، مستعد أن يبيع نياشين أسرته ، وسمعتها ،
وتاريخها ، مقابل زجاجة « شمبانيا » .. لا بد أن تكون « شمبانيا » .

□ □

ولكن ..

للإنصاف .. أحمد فؤاد ليس كذلك .

فهو يعمل في تجارة العقارات ، وفي الإستشارات المالية .. إنه خبير بالأسواق ،
وعالم الأعمال .. وهو لا يعيش متسكعاً ، ولا متطفلاً .. وليس عالة على أحد .. وهو

ثرى جداً .. ورث الكثير عن والده .. لكنه ينكر ذلك ويخفيه .. ويكتفى بالقول دائماً : إنها « مستورة » .. وهو يحافظ بشدة على سمعته .. ويتمرد بذلك على سمعة أسرته التى لسعتها الألسن .. ولانزال .. وهو يحرص على ما تبقى عنده من تذكاراتها ، ويتمنى أن يحصل على المزيد منها ، فهى أدلة إضافية على أنه كان ملكاً .. وهو يستمد منها الإحساس بذلك .

ويقال انه يعيش كملك سابق ، فى قصر كبير فى غابات « بولونيا » ، بأهم ضواحي باريس .. وفى مدخل القصر ، تمثال ضخيم لجده الأكبر محمد على باشا .. وفى خجراته الكثير من أشياء ، وبقايا أسرته الثمينة ، اشتراها من تجار « الأنتيكات » ، الذين اشتروها من لصوص القصور الملكية فى مصر ، الذين هربوها إلى الخارج .. لقد وضعت لجان المصادرة يدها على (١١٢٤٧) تحفة ملكية .. تُهب بعضها نيابة عن الشعب ، ويبيع برخص التراب .. ومن مسئول إلى مهرب .. ومن مهرب إلى سمسار .. ومن سمسار إلى تاجر .. ومن تاجر إلى ملك سابق — هو أحمد فؤاد — وصل ما يملكه عن بقايا أسرته .

وفى الوقت نفسه ، يعيش كمواطن عادى ، فى شقة بعمارة قديمة .. فى شارع « فوش » بباريس ، يستقبل فيها البشر الذين لا يحملون أية ألقاب ملكية .. ليثبت لهم أنه أصبح مثلهم .. وفى هذه الشقة — التى يسيطر عليها الذوق الملكى الكلاسيكى — لوحة زيتية كبيرة ، وقديمة لجده محمد على باشا ، رسمها الفنان الفرنسى الشهير « كودلير » بأمر من ملك فرنسا « لويس فيليب » الذى كان صديقاً لمحمد على .. وفيها أيضاً الصورة الفوتوغرافية الرسمية لوالده ، الملك فاروق ، وهو جالس على العرش ، ممسكاً بسيفه ، وعلى صدره الأوسمة والنياشين ، وأهمها قلادة « محمد على » .. وتحت الصورة تمثال نصفى من البرونز له .. والتمثال تجسيد للصورة التى فوقه تماماً .. وهناك صورة أخرى صغيرة للخديو إسماعيل .. والملكة ناريمان .. والملك حسين وزوجته .. وهناك صور أخرى لأحمد فؤاد فى مراحل عمره .. وهو طفل .. وهو شاب قبل أن يتزوج .. ثم هو وزوجته .. وهو وزوجته وأولاده .. وزوجته وشقيقته — الأميرة فوزية — وخلفتها — الهرم الأكبر .

والتذكار الوحيد الذى حصل عليه رسمياً ، سيف من سيوف والده .. وقد أرسله إليه الرئيس السابق أنور السادات ، هدية بمناسبة زواجه .. وأسعد السادات أن يدعوه إلى حفل الزفاف ، الذى أقيم فى قصر أمير « موناكو » .. وأسعده أكثر أن يقول له فى الدعوة : أنت « بابا » .. ويا « بابا أنا نقيت البت الفلانية وحتجوزها » .. على حد تعبير السادات نفسه .. الذى رد عليه : « مبروك يا ابنى » .. ومع الرد .. سيف ، وورد ، وبرقية تهنئة ، ورد اعتبار لكل أفراد الأسرة الملكية السابقة ، وجواز سفر مصرى .. فأصبح الملك السابق يحمل جوازات سفر من فرنسا ، وموناكو ، وإيطاليا ، ومصر .

وحدث ذلك فى أكتوبر ١٩٧٧ .. ولكن .. السادات لم يكشف عنه إلا بعد ثلاث سنوات .. فى نوفمبر ١٩٨٠ ، أمام مجلس الشعب فى خطاب علنى .. فقامت قيادة المعارضة ، واحتجت على تصرف السادات .. وقالت : إن سيف فاروق ملك للشعب ، لا يحق للرئيس التصرف فيه حسب مزاجه .. ثم .. إن السيف رمز الحكم .. فهل يأمل أحمد فؤاد — بعد أن استرد الرمز — فى أن يسترد العرش ! .. خاصة وأنه .. لم يصدر عنه حتى الآن ما يدل على إقراره بنزوله عن حقوقه فى العرش .. كما كتب « فتحى رضوان » فى جريدة « الشعب » فى ذلك الوقت .. وقد أضاف : إنه ليس مجرد ولد يعيش فى الخارج ، ولا حتى مجرد شاب يتلقى تعليمه فى فرنسا ، إنما هو شخصية سياسية من الدرجة الأولى ، ولا يغير فى الأمر أن يكون قد استعمل لغة الفلاحين فوجه الحديث إلى رئيس دولة مصر بقوله : « يا بابا » ... إن هذا « الولد » الذى ظفر بعطف أبوى من السادات ، قد يستخرج منه ما يؤيد دعاويه فى المستقبل ، والله وحده يعلم ماذا يجنىء الغيب لهذه البلاد ، ولنظامها الجمهورى ، أو ماذا يضمم خضوم هذا النظام من المكائد والدسائس .

وفى ذلك الوقت أيضاً ، كشف أن الرئيس الأسبق جمال عبد الناصر ، وافق فى أغسطس ١٩٧٠ — قبل شهر واحد من وفاته — على منح أحمد فؤاد مستخرجاً رسمياً من شهادة ميلاده .. الوثيقة الوحيدة التى تثبت مصريته .. وجاءت الموافقة بناء على

رسالة تقطر رقة ، وعذوبة ، واحترام ، وتقدير ، وإعجاب من الملك السابق إلى الرجل الذى أسقط عرشه ، وأنهى حكم أسرته .

ووسط الضجة التى أحدثتها المعارضة ، فوجيء رجل الشارع بأن أحمد فؤاد لا يزال على قيد الحياة .. ومع أنه اعتبر استرداده العرش « نكتة » فإنه اهتم بمعرفة أخباره الخاصة .. زوجته ، وسمعته ، ومهنته ، وثروته ، ومغامراته ، وشهاداته ، وما جرى له فى غربته ؟!

فقد ظل مجهولاً بالنسبة لنا (٢٥) سنة .. ربع قرن .. أى منذ خرج مع والده ، تحمله أمه إلى المنفى فى إيطاليا .. ولا يزال مجهولاً حتى الآن .. رغم مرور حوالى (٤٠) سنة على رحيله .. لانعرف كيف ترى ؟ .. أين تعلم ؟ .. ما حجم الثروة التى ورثها عن والده ؟ .. ما طبيعة علاقته بأمه ناريمان صادق ، بعد أن تزوجت غير والده ، أكثر من مرة ؟ .. هل يتكلم اللغة العربية ؟ .. هل يتذوق الموسيقى الشرقية ؟ .. هل يستوعب النكتة المصرية ؟ .. هل فكر لحظة فى زيارة قبر أبيه ؟ .. هلى يتمنى أن يعيش فى مصر ؟ .. هل يحلم بأن يحكمها ؟ .

لا أحد أجاب .. ولا أحد حاول .

ثم .. إننا فجأة رأينا صوره فى الصحف والمجلات ، وهو فى مرحلة ما بين الشباب والرجولة .. لكنها ضور صامتة .. تكشف ملامحه ، ولا تكشف أخلاقه .. ترسم حركاته ، ولا تحدد تصرفاته .. إنها فقط مجرد صور ، بلا صوت .. فلم توضح لنا الكثير .. ولكن .. سرعان ما جاء صوته وصورته معاً .. فى شريط فيديو ، مسجل عليه برنامج عن والده .. أصبح من الممكن تأجيده ، ومشاهدته .

والبرنامج اسمه « نجوم » يقدمه فى القناة الثانية الفرنسية « فريدريك ميتران » .. ابن شقيق الرئيس الفرنسى فرانسوا ميتران ، ويجسد فيه قصة حياة الملوك ، والمشاهير ، والنجوم .. وكانت حلقة يوم ٢٤ يوليو ١٩٨٦ ، عن الملك فاروق ، وقد تحدث ابنه فيها لثوان معدودات ، مع أن مدة البرنامج ساعة .. وأعيد عرض الحلقة ، مرة أخرى فى ١١ سبتمبر من السنة نفسها ، فسهل ذلك نسخ البرنامج على أشرطة فيديو ، راح المصريون يتداولونها ، ليروا الملك الذى حكمهم .. فاروق الأول .. والملك

الذى لم يحكمهم .. فؤاد الثانى .

□ □

وقد رأينا زوجته فى القاهرة قبله .. وهى فرنسية ، يهودية ، أسلمت قبل أن يتزوجها بسنة ، وغيرت اسمها من « دومنيك فرانس ييكارد » إلى « فضيلة أحمد فؤاد » .. واسمها الجديد يبدأ — حسب التقاليد الملكية التى كانت — بحرف « الفاء » .. ولكنها لاتعرف لماذا اختار لها اسم « فضيلة » بالذات ؟ .. والسبب أن فضيلة هو الاسم الذى رشحه ديوان الملك فاروق ليطلقه على الأمير أحمد فؤاد لو كان قد جاء بتأ .

وهى جميلة .. تبدو أقرب إلى الإسبانيات .. فشعرها فاحم .. ودمها ساخن .. ونظرات عينها قوية ، وجذابة .. وعودها أقرب إلى عود الملكة — الأم ، ناريمان .. زمان .. وهى تتصرف مثلها كملكة ، حتى الآن .. ويسعدها أن ينادونها بصاحبة الجلالة .. وقد رأيتها بنفسى ، صدفة فى فندق « روتارى » لجنيف .. وكانت مع زوجها ، الذى ينسى أحياناً أنه صاحب جلالة .

وقد جاءت — بعد استئذان السادات — إلى مصر لتضع مولودها الأول .. وقال السادات أمام البرلمان : « الولد أحمد فؤاد أرسل لى ، يقول إن مراته حامل .. وعزيزها يا بابا تولد عندهم فى مصر ، زى أنا ما اتولدت » .. ووضعت فضيلة ابنها « محمد على » .. على اسم جد زوجها الأول .. واستخرجت له شهادة ميلاد مصرية ، من مكتب صحة الدقى .. حيث مستشفى الدكتور « إبراهيم مجدى » .. الذى سبق أن باشر عملية ولادة الأب .. أحمد فؤاد نفسه .

وقيل إن أحمد فؤاد تعمد ذلك ، حتى يكون من حق ابنه أن يطالب بعرش مصر ، لو فشل هو فى ذلك .. فهو بمثابة ولى عهد غير معن .. أو بمثابة ولى عهد ، ملك سابق .. وقيل إنه اختار لابنه اسم « محمد على » ليبدأ مشوار الحكم — مثل جده — من أوله .. أى نعود إلى الوراء حوالى (٢٠٠) سنة !

□ □

والمذهل ...

أنا بعضنا يتمتع بذلك ، ويتحدث عنه ، ويقول وهو يتنهد : « والله زمان ! »
وبعضنا هذا البعض فقير .. يقود تاكسى .. يركن شارع .. أو يجلس على باب
عمارة .. وهو يتحدث في اليوم ألف مرة قبل أن يحصل على قوت أولاده .. ومتعته
الوحيدة في الحياة ، معاندة الحكومة ، وإنجاب أكبر عدد ممكن من الأطفال !
وبعضه الآخر .. أثرياء جداً .. رجال مال وأعمال ونجوم سينما .. يملكون كل
شيء .. الثروة ، والثياب ، والنساء ، وأنهار المتعة .. لكنهم بالرغم من ذلك لا يطيقون
أنفسهم ، ولا ماحولهم !

إنهم يحلمون بالماضي ، ويتمنون العودة إليه .. والسبب أن ساعات الزمن في أيديهم
واقفة ، أو مكسورة .. والوقت عندهم لا يمر .. أو هم لا يريدونه أن يمر .. فالواقع
مر .. وهو من سيء إلى أسوأ .. ومن أسوأ إلى أشد سوء .. واليوم أفضل من الغد ..
لكن الأمس أفضل منهما .. فلماذا لا نعود إليه ؟ .. لماذا لا نرجع إلى الوراء ؟ .. لماذا
لا نجلس أنفسنا في محطة الماضي ، نجلس في انتظار وجه الملك « السعيد » ، صاحب
الرأي الرشيد ، الذي سيعيد إلينا الزمن الجميل ؟ .. إنه سيحمل الذهب إلى بيوتنا ..
سيغرفنا في أنهار اللبن والعسل .. سيضع على موائدنا الكافيار واللانجوست والسومون
فيميه وألبان كينك .. سيعيد إلى الدستور قدسيته .. وإلى القانون احترامه ، وإلى الحرية
وجودها ، وإلى الأخلاق والأصول والتقاليد نفوذها .. سيجعل العميان يبصرون ..
والأموات ينهضون .. وسيوفر لكل مواطن شقة ، وسيارة ، وزوجة جميلة ، وشاليه
على شاطئ البحر .. وسيخلصنا من قسوة النفاق والطفغان .. وسيحقق العدل
المفقود .. وسينهي إلى الأبد حكم الجنرالات .

إنها أحلام وخرافات وأساطير الطفولة ، مسروقة من كتاب « ألف ليلة » ، جعلنا
الواقع نزداد تشبهاً بها .. وجعلتها أزمات الحياة التي نعيشها ، الملاذ الوحيد أمامنا ..
فلو لم نجد الجنة على الأرض ، فليس أقل من أن نتخيلها .. ولو لم نجد الحاكم الذي
يهزم الظلم ، وينشر الرحمة ، ويحقق الرخاء اخترعنا حاكماً آخر من خيالنا ، وصنعناه
من نسيج الأوهام .. ثم انتظرناه .. لا يهم أن يكون أسوأ .. لا يهم أن يكون عاجزاً
مثلنا .. لا يهم أن يحول عرق الملايين إلى سبائك ذهب توضع سراً في حسابه الخاص

في « سويس بنك » بجنيف — عاصمة المال الحرام — لا يهتم أن يلعب البوكر أو أن يشتري بأرباح القمار مجوهرات من « كارتيه » أو « جريجورى » أو « فان كليف » وغيرهم من سادة « الماس » المضفر بخيوط البلاطين ، والذهب ، وأشعة الشمس ، وبريق النجوم .. لا يهتم أن يخذلنا أو يصدمننا ، أو يخوننا .. المهم أن نعيش سنوات من الوهم والأمل في انتظاره .

فالوهم هو فخر الصناعة المصرية .. والأمل الكاذب أيضاً .
والعودة إلى الماضى أشهر خصالنا الوطنية .. والبكاء على الأطلال والآثار كذلك .
فنحن أحفاد الفراعنة .. وأبناء أقدم حضارة .. وأصحاب أول تاريخ .. أما الآن ..
فنحن « اللي دهتأ هوا دوكو » .. و « خرمتا التعريفة » .. يا سلام .
وفى علم النفس تُسمى هذه الحالة بالمتوسالجيا .. أى الحنين إلى مافات .. وعكسها المتوسفيرا .. أى التطلع إلى الأمام .. والمتوسالجيا مرض يدل على خلل فى العقل .. والمتوسفيرا مذهب يدعو إلى تحرير العقل ، وتنظيفه من شوائب الماضى ، وتنشيطه فى اتجاه المستقبل .

والماضى أجمل ، وأروع للعجائز .. لأنه يذكرهم بشبابهم الذى ضاع .. وحيويتهم التى أصبحت « خردة » وعضلاتهم التى ترهلت ، واسترخت ، واستسلمت للجاذبية الأرضية ، ومفاصلهم العفية التى تحولت إلى قطع من الصفيح الصدى .. والماضى هو أيضاً سجل انتصاراتهم وغزواتهم العاطفية ، الذى يسعدهم تقليب صفحاته ، وهم يدخلون غرفة « الإنعاش » .. أما الغد فأفضل للشباب ، لأنه الحلم ، والطموح ، والجرأة ، والتحدى ، والاقترام ، والمستقبل ، والعقل ، والعلم ، ولذة الاكتشاف ، والقفز إلى السماء للإمساك بقرص الشمس الملتهب .

وعندما تتبادل الأجيال المواقع يكون المجتمع فى حالة شيخوخة مزمنة .. يعانى من تصلب الشرايين ، وضيق التنفس ، وضعف البصر .. ويصبح شعاره .. « للخلف در » .. ولكن .. لأن الشباب هم الأقوى ، والأشد ، فإن اندفاعهم إلى الماضى يكون أبعد ، وأعمق .. فلو كان العجائز يكتفون بالعودة إلى الملكية .. فإن الشباب يصلون إلى الخلافة العثمانية .. وربما إلى ما قبلها بكثير .. ولو كان العجائز يكتفون بالثروة ..

والندم على ما كان ، فإن الشباب يسعون إلى استدعاء الماضي الذى يريدونه ، بالقوة ، والعنف ، والقسوة .. بالرصاص ، والسيوف ، والخنجر ، وقنابل المولوتوف الحارقة ، والبنادق الآلية سريعة الطلقات .

لقد زينا لهم الماضي ، ودفعناهم إليه .. ثم تصورنا أنه من الممكن « فرملة » هذا الإندفاع عند المحطة التى نريدها .. لكن ذلك لم يحدث .. وطبيعى ألا يحدث .. فعندما تفتح النافذة لا يمكنك التحكم فى كمية الرياح .. ولكن .. غير الطبيعى أن نتهمهم بالتطرف .. فنحن الذين غرسنا فيهم « شتلات » التطرف .. أو أن نصفهم بالأصولية ، والسلفية ، والنظر إلى الوراء فى فرح ، وإلى الأمام فى يأس ، وغضب .. فاجتمع كله يعيش فى هذه الحالة .. أفكاره .. أحزابه .. معاركه السياسية .. ثيابه .. أسماء محلاته .. بل .. وأحياناً مسكنه .. فهناك من يعيش فى المقابر ، مع الأموات فكيف نطالبه بعدم الانتماء إليهم ؟!

ولكن .. المجتمع لا يعرف السلفية فى التصرفات .. ولا فى المعاملات .. فأفراده — بصفة عامة — أصبحوا أكثر عدوانية .. وأقل رغبة فى الاعتذار .. وهم معذرون ، لأنهم مهوون .. فلا حرية سياسية بمعنى الكلمة .. ولا قدرة على مواجهة حرائق الأسعار .. ولا فرصة لحياة مريحة ، كريمة .. وضاعف الزحام من المشاكل والمتاعب ، فآمنوا بأن الحياة زمان أرحم .. فالشوارع خالية .. والأسعار رخيصة .. والأصول محترمة .. ولكنه .. إيمان أقرب إلى الخرافة .. أو هو مثل القشة التى يتعلق بها الغريق .. فلا المجتمع زمان كان مدينة فاضلة ولا الناس فيه كانوا سعداء ، ويعيشون فى الجنة . وزمان عند الفقراء غير محدد بالضبط .. فهم يريدون عصر أفضل .. وخلاص .. ولكن .. زمان عند الأثرياء .. خصوصاً الأثرياء الجدد هو بالتحديد ، عصر ما قبل الثورة .. عصر الملكية .. مع أنهم فى ذلك الوقت كانوا فى قاع المجتمع .. لكنهم الآن ليسوا كذلك .. فهم يحكمون السوق ، وسيطرون على الأمور ، ويديرونها لصالحهم .. وقد جاء معظمهم من تحت الأرض .. من عالم الاقتصاد السرى .. عالم السمسرة ، والمخدرات ، والأغذية الفاسدة ، والرشاوى ، والمضاربة على العملات ، والأراضى .. ولكنهم رغم الملايين — ربما البلايين — التى يملكونها ، لا يشعرون بأن

لهم أصول ، وجذور اجتماعية عريقة .. وهو مايسبب لهم متاعب نفسية حادة .. أقلها الشعور بالنقص .. والإحساس بالجهل ، والجليطة ، وضعف الذوق ، وتصور شراء كل شيء بالمال .. والسخرية من المثقفين .. والمبالغة في الاستهلاك .. وقد سعى إلى حل عقده بشراء النسب من العائلات الأرستقراطية العريقة بالنفوذ .. إن هذه العائلات — التى لم تعد تملك من حطام الدنيا سوى أسمائها الشهيرة — قبلت أن تدخل فى علاقات زوجية مع أبناء وبنات الأثرياء الجدد .. فامتزج المال الذى يبحث عن أصل ، بالأصل الذى هو فى حاجة إلى مال . وهكذا ...

زادت مساحة الذين يحملون بعودة الزمن إلى ما قبل ٢٣ يوليو ١٩٥٢ . ويضاف إلى ذلك أن عدداً لا بأس به من رجال يوليو ، خرجوا ليقولوا ما عندهم .. فألقوا البيض الفاسد على الثورة التى قاموا بها .. وأقلوها بعد أن لفظتهم .. وسبوا بعد أن أصبحوا على الهامش . لاحول لهم ولا قوة .. وأضافوا بشهاداتهم — التى فضحت الكثير — أسلحة جديدة لخصوم يوليو .. وضاعفوا بما نشره ، عدد الذين تمنوا لو لم تقم الثورة .

□ □

وقد هلّل هؤلاء ، واستبشروا خيراً ، عندما زار أحمد فؤاد مصر بعد (٣٩) سنة من الغياب !

وكانت زيارة خاطفة لمدة (٤) أيام ، بدأت فى ١١ يونيو ١٩٩٠ لحضور حفل زفاف أخيه من أمه ، المحامى بالإسكندرية ، أكرم أدهم النقيب — فى منزل جده — صديق الملك فاروق ، الدكتور أحمد النقيب ، الذى استدعاه الملك الأسبق ، بطائرة خاصة ليحضر ولادة ولي العهد الأمير أحمد فؤاد .

كانت الزيارة الأولى للبلد الذى تولى عرشه ، ولكن لم يحكمه .. بل .. ولم يتعرف عليه .. لأنه يوم أصبح ملكاً عليه ، تركه ، بعد (٦) ساعات من القرار .. وكان لايعرف أى شيء فى الدنيا ، حتى اسمه .

ولا نعرف كيف كانت مشاعره ، وهو يتأمل القاهرة من الجو .. أو وهو يلمس

بقدميه أرض المطار .. أرض الوطن القديم .. أو وهو يدخل قاعة كبار الزوار .. أو وهو يبرز جواز سفره المصرى الذى استعمله لأول مرة فى حياته .. أو وهو يتعامل مع كل ما يمر أمامه ، أو حوله ، طوال الزيارة ؟ .
هل أحس بملكه الذى زال قبل أن ينتبه إليه ؟ .. هل انتعش الأمل فى صدره باسترداده ؟ .. هل أحس بأن الماضى لا يعود ؟ .. هل أحس بحماقة والده الذى أضاع كل ما يراه حوله ؟ .

لقد تعدد أن يحضر الزيارة فى نطاق عائلى .. فلم يفكر فى زيارة قصر عابدين .. قصر الحكم الذى وُلد فيه .. ولا قصر رأس التين .. المقر الصيفى للعرش ، الذى خرج منه إلى المنفى .. والمؤكد أنه تعدد ذلك ، حتى لا يثير القلق .. فالعيون حوله مفتوحة .. خصوصاً عيون رجال الأمن التى لم تغفل عنه من المطار إلى المطار .
وقد رفضت أمه أن يصوره الصحفيون ، وهى تحتضنه فى المطار .. لأنها تخشى الصحافة ، وتكرهها ، وتلعنها ، وتعتقد أنها أفسدت حياتها .. وأنها فضحتنا .. وأنها جعلت سيرتها على كل لسان .. وهى عندها بعض الحق .. ولكن .. يمكن القول أيضاً ، إنها لاتحب أن يرى الناس صورتها الآن ، بعد أن فرض الزمن إرادته على ملامحها بقسوة .. إنها مثل نجمة سينما ، اعتزلت فى وقت مناسب ، وتريد أن تكون صورتها وقت الإعتزال هى الصورة الأخيرة .. وهى لم تتخلص بعد من إحساسها بأنها ملكة .. وتطالب الناس أن يعاملوها كذلك .. وزادت هذه الحالة مع تقدم السن .. وهى تعانى من متاعب فى القلب ، والمعدة .. ومن حسن حظها أن زوجها الأخير .. طبيب .

وفى البيت الذى تسكنه فى ضاحية « مصر الجديدة » استقبلت ابنها ، واحتضنته ، ولم تنس — على مائدة العشاء — أن توزده بنصائحها .. لا تتركهم يأخذون عليك .. تصرف كملك ، ابن ملك .. ولا تنس أنهم كانوا رعاياك .. وقد استمع الابن جيداً .. وابتسم .. ولم يعلق .. لكنه لم يأخذ بحرف واحد مما سمعه .
وفى اليوم التالى ، سافر إلى الإسكندرية .. وفى طنطا توقف ليقراً الفاتحة للسيد البدوى .. ثم .. حضر زفاف أخيه ملح (٤٠٠) شخص آخر .. ورفض أن يتكلم

للصحافة .. وتكلم أكرم النقيب نيابة عنه .. فلم يضيف أى جديد .
وعندما عاد إلى القاهرة ، قبل دعوة وزير الثقافة .. فاروق حسنى .. فى بيته بناحية
المعادى على العشاء .. لأنه يعرفه منذ (١٧) سنة .. عندما كان الوزير مدير المركز
الثقافى المصرى فى باريس .. وكان يدعو للفرجة على نشاط المركز .. المعارض ،
والندوات ، وعروض الأفلام ، وكان يحرص على الحضور ، وعلى المتابعة فى
سكوت .. إن علاقته الشخصية القديمة بالوزير ، جعلته يقبل دعوة العشاء .. ودعوة
حضور الحفل الختامى لمهرجان الأفلام الروائية المصرية الأول ، فى دار الأوبرا .. فكان
اللقاء الأول مع مصريين لا يعرفهم .. وتمنى أن يعرفهم .. نقاد .. كتاب .. ونجوم
سينما .. وشخصيات عامة أخرى .

وقبل الحفل ، وجدها فرصة للفرجة على الأوبرا البديلة للأوبرا التى بناها جده
الخدو لإسماعيل .. واحترقت فى بداية السبعينات ، وتحول مكانها إلى جراج متعدد
الأدوار .. وفى الأوبرا البديلة توقف طويلاً أمام مجسم للأوبرا القديمة .. ولم يعلق ..
كان توقعه على هذا النحو بمثابة تعليق صامت .

والتعليق بالصمت كان أسلوبه فى معظم الأوقات .. فكان من الصعب كشف
ما أحس به ، أو معرفة ما فكر فيه .. ومن الصعب استنتاج ذلك .. فهو من النوع
الذى يعرف كيف يخفى مشاعره .. وكيف يخفف من حدة ذكائه .. ويكبت
انفعالاته .. ويؤجل ردود أفعاله .. وهو يضع على شفثيه ابتسامة ثابتة ، مرسومة
بدقة ، وبراعة ، بحيث لا تفضح ما بداخله .. إنها مثل ابتسامة المضيفة ..
والدبلوماسية ، والموناليزا ، وخبراء التسويق والعلاقات العامة .. جزء من طبيعة
العمل ، وطبيعة الشخصية .. وحاجز يعده بما فيه الكفاية عن الناس .

ولكن .. ما تخفيه الإبتسامة ، تفضحه العينان .. فنظراته فيها حزن ، وألم ،
وشجن ، وربما انكسار .. فيها خوف ، وترقب ، وخالية من الجرأة والافتحام ..
والخجل يسيطر عليها .. ويتسرب منها إلى أصابع يديه ، التى لا يعرف أحياناً ماذا يفعل
بها ؟ .. يلمها .. يفردا .. أم يضعها أمامه وهو واقف وكأنه يصلى !
وهو فى الحقيقة أقصر مما يبدو فى الصور .. وربما كان السبب أنه يعرف كيف

يتعامل مع الكاميرا .. ينفخ صدره قليلاً .. يرسم ابتسامته المحايدة .. يميل بعض الشيء .. وينظر إلى العدسة في براءة .

وأحياناً تنظر إلى وجهه فتري أنه يشبه والدته .. وأحياناً أخرى تنظر إليه فتري أنه يشبه والده أكثر .. فإذا استدار فهو يشبه والده فقط .. عريض الكتفين .. ممتلئ .. يكاد يكون أصلع .. متوسط القامة .. ويبدو مهدداً بالسمنة .. المرض الذى أجهز على أبيه .

وعندما رأيته فى حفل الأوبرا لاحظت أنه خائر .. فهو يريد أن يندو مثل الآخرين .. مثلنا .. شخص عادى ، متواضع ، بسيط .. لكنه .. لاينسى — فى الوقت نفسه — أنه ملك .. أو ملك سابق .. وهو طوال الوقت كان يخشى أن نفهمه « غلط » ، أى نأخذه بذنب أبيه .. فكانت تصرفاته محسوبة ، وحركته أيضاً ، وكلامه كذلك .

وقد حرص على أن يتكلم باللغة العربية ، التى يجيدها بدرجة أقل من الفرنسية ، والإنجليزية .. وحاول نطقها باللهجة المصرية .. التى قيل إنه استوعبها من الأغاني ، والأفلام ، والأقارب ، والأصدقاء .. ولكن .. كثيراً من الحروف مكسورة .. فكان يتحدث مثل المستشرقين الفرنسيين ، أو مثل اللبنانيين الذين يقلدون المصريين .. وحاول أن يبعد عن السياسة .. واكتفى بعبارات المدح والإعجاب الموجهة إلى الرئيس حسنى مبارك .. وأشاد كثيراً بديمقراطيته .. وأفرط فى الكلام عن الفن والحضارة .. وخشنى أن يتكلم عن تاريخ ما قبل الثورة .. فتكلم عما قبل الميلاد .

وأحرجه أن المصريين من حوله لا يعرفون اللقب المناسب الذى ينادونه به .. صاحب الجلالة .. صاحب السمو .. مولانا .. حضرتك .. يا أستاذ .. يا سيد .. يا محترم .. يا حاج .. فقد نسينا الطرايش وخلفنا الألقاب .. ولم نسترد منها سوى لقب « باشا » وهو شائع الاستعمال بين ضابط الشرطة ، ورجال الأعمال ، وبعض الوزراء .. ولكنه لايكفى للتخاطب مع ملك سابق ، بدرجة مواطن ، يعيش فى باريس .. فلا هو حضرتك ، ولا هو مولانا .. وكان من الممكن أن ينادونه بيا من كنت مولانا .. أو يا من كنت صاحب جلالة .. لكن .. لم يخطر ذلك على بالهم ..

وكان الحل الوحيد أن يسأله عن اللقب الذى يفضلهُ ، منعاً لإحراجهِ ، وإحراجهم ، لكنه ، كالعادة ابتسم .. ولم يرد .

والأهم من اللقب — على الأقل الآن — أن يصبح جواز سفره أحمر اللون ، مميزاً كالذى يحمله الدبلوماسيون وكبار شخصيات الدولة .. بما فيهم أصحاب السوابق .. وأن يكون له فى القاهرة فيلا يعيش فيها هو وأسرته ، عندما يأتى إلى مصر .. وهو يفكر فى استثمار بعض أمواله فى مشروع سياحى يقيمه بغيداً عن العاصمة .. وهو يتمنى أن يعيد كتابة تاريخ أسرته .. لعله ينصفها .. أو يبيض وجهها على الأقل أمام أولاده .. وهى مهمة شاقة جداً .. وربما مستحيلة .. فحجم « الهباب » أكبر من اللازم !

□ □

وعندما عاد إلى باريس وجد نفسه يفرط فى الحديث عن رحلته لزوجته وأولاده .. وكان يدلل على ما يقول بالصور الفوتوغرافية التى التقطها بكاميرته .. وقد ندم على أنه لم يصور الرحلة بكاميرا فيديو ، حتى تكون المشاهد حية .. وهو خطأ تداركه فى رحلته الثانية ، التى بدأت فى شهر أكتوبر ١٩٩١ ، فقد جاء هذه المرة بكاميرا فيديو ، وكانت أسرته الصغيرة معه .. زوجته وأولاده ، محمد على ، وفوزية ، وفخر الدين .. وجاء التوقيت أجازة الأولاد الدراسية ، واستجابة للدعوة من وزير الثقافة المصرى لقضاء أسبوع فى رحلة نيلية بين آثار الأقصر وأسوان .. لانه لم يتمكن من رؤيتها فى المرة الماضية .

ان أسرته كانت تريد أن تعرف كيف استقبلته مصر .. البلد التى كان ملكاً عليها .. وكان أولاده يعرفون الأخبار أول بأول .. فبعد كل « مشوار » كان يروى لهم تليفونيا تفاصيل ما جرى .

وفى الزيارة الثانية ، تعمدت السلطات ان لا تفتح له قاعة كبار الزوار ، ولوحظ أن زوجته لم تكن تحمل جواز سفر مصرياً .. كانت تحمل جواز سفرها الفرنسى .. وقد دخلت باسمها الأصلى .. دومينيك فرانس .. لا باسمها الاسلامى .. فضيلة .. ولم تكن ناريمان فى استقبالهم ، وكان زوجها الأخير بدلاً منها ، وابنها من أدهم

النقيب ، أكرم .. ولم يقم أحمد فؤاد هذه المرة في بيت أمه ، وإنما أقام — على حساب وزارة الثقافة — في فندق « ماريوت » ، استعداداً لرحلة الآثار في جنوب مصر . وقد اهتمت صحافة العالم بالزيارة الأولى .. ونشرت أخبارها .. أما مجلة « بوانت دى فو » ، أو « وجهة نظر » الفرنسية — المتخصصة في أخبار الأسر المالكة فيالعالم — فقد أجرت معه حديثاً بعد عودة من باريس .. كان أهم ما جاء فيه :

س : هل جرت اتصالات ما بينك وبين السلطات المصرية قبل سفرك ؟
ج : هذه هي زيارتي الأولى لمصر بعد (٣٩) سنة .. وكانت حدثاً كبيراً في حياتي .. وربما كانت المرة الأولى في التاريخ التي يعود فيها ملك إلى بلاده من المنفى كمواطن عادى .. وقد استأذنت السلطات المصرية عن طريق سفارة مصر في باريس ، في الجيء إلى القاهرة ، لحضور حفل زفاف أخى أكرم .

س : هل رحبوا بالزيارة ؟

ج : نعم ..

س : هل فرضوا عليك أى شروط ؟

ج : أبداً .. ولكم من تلقاء نفسى أردت أن تكون الزيارة عادية .. لذلك حرصت على تجنب الكلام في السياسية .

س : في الطائرة المتجهة إلى القاهرة .. هل عرفك الركاب ؟

ج : بعضهم .. ولكن الأهم انه عندما اقتربنا من مطار القاهرة دعاني طاقم الطائرة إلى غرفة القيادة لاتفرج على القاهرة من السماء .. من الجو .. وشعرت بتأثر عاطفى شديد عندما رأيتهما .

س : هل قوبلت باحتياطات أمنية ؟

ج : أعتقد ذلك .. وأثناء الزيارة كان يرافقنى بعض رجال الأمن الذين خصصوا لحراستى ، واعتبرت ذلك نوعاً من التكريم .

س : هل كان في المطار أى مسئول رسمى في استقبالك ؟

ج : كان هناك مندوب من الرئاسة .

س : ما الذى لفت انتباهك في القاهرة ؟

ج : الشوارع .. والحضارة القديمة .. والنيل .

س : هل استقبلك الرئيس حسنى مبارك ؟

ج : لا .. إنه لم يكن فى مصر عند زيارتى .

وبقدر ما كان الاهتمام واضحاً فى الزيارة الأولى ، بقدر ما كان الامل متصفاً فى الزيارة الثانية .. فلا استقبال رسمى .. ولا متابعة من الصحافة .. التعليمات صدرت إليها بذلك .

ومرة أخرى غادر القاهرة إلى باريس دون أن يكشف لنا سوى أقل القليل عن ما كان .. فهو حريص حتى فيما لا يملكه .. حياته طوال الأربعين سنة الماضية .. و حياة والده فى المنفى قبل أن يموت .. ما الذى جرى له منذ الرحيل حتى العودة إلى الوطن ؟ .. ماذا يريد بالضبط ؟ .. هل هناك من يقف خلفه ؟ .. ويزين له الأحلام المستحيلة .. أحلام العودة إلى العرش ؟ .

إن الذين كتبوا عن سقوط الملكية فى مصر ، توقفوا عند مشهد خروج الملك فاروق ، وزوجته ، وابنه ، وبناته ، وبعض أفراد حاشيته ، فى الساعة السادسة من مساء يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٢ ، واعتبروه المشهد الأخير .. لم يتبعوا الأسرة المطرودة فى منفاها .. لم يرصدوا أحداثها ، ومتاعبها ، وفضائحها ، وأحلامها هناك .. مع أن أصغر أفرادها كان لا يزال ملكاً شرعياً للبلاد .. وهو نفسه قصة أخرى .. لم نعرفها .. ولا نزال لانعرفها .. وآن الأوان أن نعرفها .

وقد تساءلت بينى وبين نفسى وأنا أجمع بصعوبة تفاصيل هذه القصة .. هل تستحق المجهود المضنى فى الحصول عليها ؟ .. هل بطلها أحمد فؤاد شخصية مؤثرة إلى درجة الاهتمام بتاريخها الخاص ؟ .. ولم أتسرع فى الإجابة .. ولكن .. أسرعت فى استشارة مؤرخ يعرف قيمة التاريخ المصرى ويحترم وقائعته الصغيرة قبل الكبيرة وهو الدكتور يونان لبيب رزق ، ففوجئت بحماسة وإن لم أفاجأ بمخاوفه من صعوبة الحصول على التفاصيل ، التى جرت أحداثها فى الخارج .. فى إيطاليا وسويسرا وفرنسا .. وفى سنوات أصبحت بعيدة علينا الآن بمختلف المقاييس .

ولاجدال فى أن ذلك كان أصعب ما واجهته .. فلا كتب ولا أرشيف .. ولا

معلومات ، ولا اهتمام .. وكان لابد وأن أمد يدي إلى أرشيف بعض الصحف الإنجليزية .. والفرنسية .. وأن آخذ منه ما أريده .. ولولا مساعدة الصحفي البريطاني جيرى روبنسون .. لكانت مهمة شبه مستحيلة .. ولكنها بفضل حماسه ، وبراعته ، وخفة ظله ، أصبحت مهمة ناجحة .

ولكن .. الأرشيف بمفرده لا يمكن يكفى .. إنه أوراق قديمة ، محفوظة خالية من الحياة .. فى حاجة إلى من ينفخ فيها .. ليثير الغبار وإنما ليعيد إليها الروح .. وأتصور أن هذه هى وظيفة شهود العيان .. الذين عاشوا ، وشعوا ، ولمسوا ، وتنفسوا الأحداث .. وقد قابلت الكثير منهم .. ولكن .. أهمهم بلا جدال ، سكرتير الملك فاروق فى المنفى ، أمين محمد فهم .. وهو فى الثمانين من عمره الآن .. ويعيش فى شقة متواضعة بالقرب من ترعة « المريوطية » .. وقد خدم فى القصر الملكى منذ سنة ١٩٣٣ ، وعاصر ثلاثة ملوك .. فؤاد وفاروق وفؤاد الثانى .. وعندما ترك الملك فاروق فى إيطاليا أصبح سكرتير الملكة ناريمان ، بعد طلاقها .. وكانت تعيش فى سويسرا .. باختصار .. هو شاهد ، شهد الكثير .. ويعرف الكثير .

وقد مد جسور التعارف والثقة بيننا .. محافظ القاهرة الأسبق إبراهيم بغدادى .. الذى أشيع أنه تخلص من الملك فاروق فى روما .. وكانت فرصة لنعرف الحقيقة ، التى هى جزء مثير فى هذه الرواية .

وهؤلاء جميعاً يستحقون منى الشكر والتقدير .

وهناك غيرهم من يستحقون ذلك أيضاً ، على ما قدموه من عون بصورة مباشرة ، أو بصورة غير مباشرة .. ياسين سراج الدين ، وجميل عارف ، ود. لطيفة سالم ، وحلمى سلام ، وأحمد بهاء الدين ، وجمال الشرفاوى ، ونيل عمر ، وإمام سالم ، وغيرهم ممن يمحرجهم ذكر أسمائهم ، نظراً لصلاتهم القديمة بالأسرة الملكية . وبعد هذه المقدمة التى طالت ، نبدأ القصة .

عادل حمودة

القاهرة — الإسكندرية

صيف — ١٩٩١

الجزء الأول

- ١ - ناريمان .. ابنك عنده سنان
- ٢ - ولى العهد .. رقم (١٣)
- ٣ - نيشان إلى امرأة مجهولة .
- ٤ - كيم .. وعملية « الزير السمين » .
- ٥ - وفى يومه العاشر .. احترقت القاهرة .
- ٦ - زوج ملكى .. بالسكتة القلبية .



« ناريمان .. ابنك عنده سنان » !

فتحت الملكة الصغيرة ناريمان عينها بصعوبة ، وسألت طبيب « الولادة » الشهير د . إبراهيم مجدى .. بصوت ضعيف .. أقرب إلى الهنسن .. أو إلى الموت :
— ولد .. والا بنت يادكتور ؟

كانت الإجابة المطلوبة .. كلمة واحدة .. ولد .. أو بنت .. براءة أو إعدام .
قال الطبيب — الذى كان فى الخمسين من عمره — وهو يكاد يقفز فى الهواء فرحاً :

— ولى العهد .. يامولاتى .

لم تصدق ناريمان ماسمعه .. وكررت السؤال نفسه .. فكان أن أجابها الطبيب اللامع ، هذه المرة :

— مبروك .. ولد .. ولد ..

وتتمت الملكة الصغيرة — التى لم تكن أكملت عامها الثامن عشر — بعبارات كثيرة ، متشابهة ، متداخلة ، اختلط فيها الدعاء بالدموع .. لم يفهم منها سوى عبارة واحدة :

— ياما أنت كريم يارب .

.. ثم .. أغمضت عينها ، ونامت نوماً طبيعياً هادئاً لأول مرة منذ شهر .. وهى تشعر أنها أهم أم ، وأجمل امرأة ، وأسعد ملكة فى العالم .. فهى لم تنجب — بعد طول انتظار — ولى العهد لزوجها الملك الحائر — غير المستقر على عرشه — فاروق الأول ، فقط ، وإنما نجت — بمعجزة من السماء — من الطرد ، والقهر ، والإهانة ، أيضاً .

كان ذلك بالضبط فى الساعة الثامنة والثلاث من صباح يوم الأربعاء ١٦ يناير سنة

١٩٥٢ ... وهذا بدقة تاريخ ميلاد آخر ملوك مصر .. الملك أحمد فؤاد الثانى ...
الذى كان ملكاً وهو فى « اللفة » .

□ □

وصدرت نشرة طبية عن الأطباء الذين أشرفوا على الولادة .
« فى الساعة الثامنة والدقيقة العشرين من صباح يوم الأربعاء ١٨ ربيع الآخر
١٣٧١ — ١٦ يناير ١٩٥٢ — وضعت بحمد الله ورعايته حضرة صاحبة الجلالة
الملكة ناريمان مولودها السعيد ، حضرة صاحب السمو الملكى الأمير أحمد فؤاد ،
وصحة جلالتها ، وسمو مولودها جيدة » .

قصر عابدين العاشر فى ١٨ ربيع الآخر ١٣٧١ — ١٦ يناير سنة ١٩٥٢ .
الدكتور إبراهيم مجدى باشا ، الدكتور عبد الحليم راتب بك ، الدكتور عباس
الكفراوى باشا ، الدكتور يوسف رشاد بك ، الدكتور أحمد محمد النقيب باشا ،
الدكتور الفونسو دى جيغا ؛ والحقيقة أن هذه المظاهرة من الأطباء كانت دعائية ، فالذى
قام بالعمل ، د . إبراهيم مجدى ، وطبيب التخدير د . عبد الحليم راتب فقط .

□ □

حمل الدكتور إبراهيم مجدى المولود بين يديه ، وتوجه إلى الملك قائلاً :
— ولد .. ولد .. يامولانا .

أمسك فاروق بالمولود ، وفحصه فى الضوء حتى يتأكد بنفسه أنه ولد .. كان
فى غرفة الولادة مع الأطباء .. أصبر على ذلك حتى يكون أول من يعرف الخبر ..
لم ينم فى تلك الليلة .. وكاد جسده الضخم المترهل ، الذى يشبه البرميل ، أن ينفجر
من شدة القلق والتوتر والانزعاج .. كان كمن راهن على حياته ، وفى انتظار الحصول
على « كروت » اللعب ، ليعرف مصيره ! .

وحتى أمس القريب لم يكن يرحم زوجته ناريمان .. كان كلما صادفها ، قال
لها عبارة موجعة ، محبطة ، تثير فى نفسها اليأس ، والفرع ، مثل :
— لو جيتى بنت حأخرب بيتك ! .

وقبل ذلك ، قال لعمها الطيار مصطفى صادق :

— تعرف لو عملتها ناريمان ، وجابت بنت حاعمل فيها. إيه ؟

ولم يرد مصطفى صادق .. فأضاف فاروق :

— حاولع فيكم كلكم نار^(١) !.

ومرة أخرى ، فوجيء مصطفى صادق به ، وهو يراجع كشف المواليد فى عائلة ناريمان ، ولم يُخفِ انزعاجه عندما اكتشف أنها عائلة يغلب عليها إنجاب البنات ، فقال :

— شفت ياسى مصطفى المصيبة دى .. كل خلفتكم بنات !

— ولكن دى مسألة قسمة ونصيب ، وكل اللى يجبه ربنا كويس .

— والله أنا خايف تكون الحكاية وراثية ؟

— ربنا يطمئنك ويحبلك ولد .

— هو بس كده .. أنا كان ياسى مصطفى .. أديك زى مانت شايف كل خلفتى

بنات فى بنات^(٢) .

كان يريد ولداً بأى ثمن ...

فالولد يعنى ولى العهد .. وولى العهد يعنى بقاء العرش لأولاده .. وأولاد أولاده ..

إنها مسألة حياة أو موت .. وجود أو عدم .. استمرار أو فناء .

ولذلك فقد قيل إنه أصر على حضور عملية الولادة بنفسه ، حتى يأمر الطبيب

بالتضحية بالأم إذا كان الجنين ذكراً ، إذا لزم الأمر ذلك .. خاصة وأنه عرف أن

أصيلة هانم ، أم ناريمان ، قد لاقت متاعب فى ولادة ابنتها الوحيدة ، كادت أن تؤدى

بحياتها .. وبقيت أصيلة هانم فى الفراش حوالى تسعة أشهر بعد الولادة .. وكان فاروق

يروى ذلك لكل من يقابلة ، وهو يقول :

— أنا خايف ناريمان تعمل زى أمها^(٣) .

وكانت ناريمان تخشى أن يضحى فاروق بحياتها فى ججرة الولادة .. وضاعف ذلك

(١) و (٢) جميل عارف : « كانت ناريمان آخر ملكات مصر » .. الناشر : المكتب المصرى الحديث . القاهرة . الطبعة الأولى . سنة

١٩٧٨ — ص ١٣٧ ، ١٣٦ .

(٣) المصدر السابق — ص ١٣٦ .

من قلقها .. فراحت في الأسبوع الأخير من الحمل تردد ما تحفظه من آيات القرآن الكريم .

وحتى يُجنب فاروق ، ناريمان ماجرى لأمها ، أمر بتجهيز حجرة عمليات كاملة للولادة ، في إحدى قاعات قصر عابدين ، تكلفت أكثر من (١٥) ألف جنيه بأسعار تلك الأيام .. وقد أمر أيضا أن تكون الولادة في قصر عابدين .. المقر الرسمي ، لاقى قصر القبة .. مقر إقامته ، ليولد ولي العهد في المكان الذي حددته الأعراف الملكية . كانت حجرة الولادة مجهزة بكل المعدات والأدوات الطبية اللازمة لاستقبال ولادة « طبيعية » ، وولادة « قيصرية » ، وجاءت ليقم فيها كبيرة ممرضات مستشفى « ناريمان » .. وأشرف على التجهيزات الدكتور إبراهيم مجدى .. الذى تخرج من كلية الطب في سنة ١٩٢٦ ، وأكمل دراسته في لندن ، وكان الطبيب الخاص بالأميرات فوزية ، وفايزة ، وفايقة .. شقيقات الملك .. وقد سافر إلى أوروبا ، في الوقت الذى كان فيه فاروق وناريمان هناك ، في رحلة شهر العسل ، التى بدأت في شهر يونيو ١٩٥١ ، في يوم رؤية هلال رمضان لسنة ١٣٧٠ ، واستغرقت (٣) شهور و(١٢) يوما .. وكان — بأمر الملك — دائم الكشف على الملكة ، ليعرف ما إذا كانت قد حملت أم لا ؟ .. وأغلب الظن أنه تأكد من حدوث الحمل في مدينة « البندقية » .. وبقي الخبر سرا .. وبعد ذلك راح يباشر الملكة ، ويحاصرها بالنصائح والتعليمات والفيتامينات .

وحسب تعليماته ، كان على ناريمان أن تنام على ظهرها أطول وقت ممكن .. وقيل إن امتداد رحلة شهر العسل إلى أكثر من (١٠٢) يوما ، كان سببه الخوف من الاجهاض ، ودوار البحر ، ومن أجل التثبيت من الحمل .. وتكلف ذلك أكثر من مليون جنيه .. بخلاف البعد عن شئون الدولة .

وكان فاروق — الذى اطمئن لحمل ناريمان وأحس بأنه عمل ماعليه — يتركها في معظم الأوقات ، نائمة في الفندق ، ليمارس هوايته في لعب القمار ، ومطاردة الحسانوات ، والسهر في الملاهى الليلية .. وفي المرات القليلة الذى كان يصطحبها فيها إلى المحلات ، كان يقول لها — إذا أعجبت بشيء — « سأشتريه لك هدية إذا جئتي

وُلد .. وأحياناً كان يقول لها : « سأشتري لك هذا الشيء هدية إذا كسبت الليلة » .. والمقصود أن يكسب في القمار .. وكان كثيراً ما يفنى بوعدة .. وقد استثمرت ناريمان ذلك في إشباع أكثر رغباتها حدة .. شراء المجوهرات .. خاصة المجوهرات الأثرية .. وقيل إنها دفعت في نصف نهار في فينسيا (٢٠) ألف جنيه على الثياب .. وقيل إنها كانت تشتري المجوهرات دون وعى .. وقيل إن أكبر ثلاثة تجار للماس في العالم كانوا حولها وحول زوجها^(٤) .

لقد كان حمل ناريمان المبكر أشبه بالمقامرة من ناحيتها أيضاً .. فطوال شهور الحمل السبعة ، كانت تكسب مرة ، وتضم إلى مجوهراتها قطعة جديدة .. وكانت تخسر مرة أخرى ، وتتلقى إهانة من الملك ، وتهديداً بالنفى أو الحرق إذا لم تنجب له ولى العهد .. أما « كروت » المقامرة الكبرى والأخيرة فكانت في أحشائها .. ولا تعرفها .. وفي ليلة ١٦ يناير ١٩٥٢ ، أى بعد أشهر من عودتها إلى مصر ، حانت لحظة خروج الأوراق ، وحانت لحظة كشفها .. وفي هذه اللحظة كانت ناريمان تعرف أنها إما أن تكسب كل شيء ، أو تخسر كل شيء ..

□ □

حمل الملك المولود بين يديه ، وقال :

— الحمد لله .. أحمذك يارب ..

ويمكن أن نصديق أن الدموع ملأت عينيه ، ويمكن أن نصديق أنه أضاف :
« إننى أريد أن أعبر عن حمدى وشكرى لله .. إننى مهما فعلت لأستطيع أن أعبر عن شكرى لفضل الله .. كل ما أستطيع أن أفعله هو أن أفتح قلبى لكل الناس .. أن أصفح عن كل من أساء إليّ .. أن أفتح أبواب القصر للجميع .. أن أقدم لبلدى عهداً جديداً .. إن الله أكرمنى وأنا أريد أن أعبر للشعب عن سعادتى بأن أسعد هذا الشعب » .

فى تلك الليلة لم يسهر الملك فى نادى السيارات ، ولم يدخل حجرته الخاصة بالنادى التى يلعب فيها القمار ، وترك المكان مبكراً ، وعاد إلى قصر عابدين ، وتوجه

(٤) لمزيد من التفاصيل حول رحلة شهر العسل : د . لطيفة سالم — فاروق وهبوط الملكية — مكتبة مدبولى — القاهرة — ٩٨١ .

إلى غرفة الملكة ، وجلس إلى جوارها ، وقد استبد به القلق .. وفي الساعة الثانية صباحاً قامت ناريمان من جانبه ، واتجهت إلى فراشها لتستريح .. وقبل أن تصل إليه ، صرخت فجأة من ألم غير متوقع ، وأسرع الملك لمساعدتها ، وحملها بين يديه ، وأرقدتها فوق السرير .

في تلك اللحظة الحرجة إنقلب التوتر المكتوم إلى انفعالات واضحة في الأعصاب .. وقد اعترف فاروق ، فيما بعد بأنه لم يشعر بمثل هذا الشعور إلا عندما وقع وثيقة تنازله عن العرش ، بعد حوالى ستة أشهر من ميلاد ولي العهد .

لقد تذكر فاروق وقت أن فاجأ ناريمان المخاض ، نبوءة والده ، التى كانت أشبه باللعنة التى تطارده .. كان والده الملك أحمد فؤاد الأول يقول دائماً : « إن ابنه فاروق سيكون آخر ملوك أسرة محمد على باشا الكبير » .. وقد كشف لى هذا السر ، سكرتير الملك فاروق الخاص أمين محمد فهم ، الذى عمل فى القصر الملكى ، فى سنة ١٩٣٢ ، وعاصر الملك أحمد فؤاد وسمع منه هذه النبوءة .. كما أنه اقترب جداً من الملك فاروق ، وأدرك إلى أى مدى كانت تؤله نبوءة والده^(٥) .

وقد تحققت النبوءة بالفعل ولكن بصورة غير متوقعة .

كان فاروق يتصور أن النبوءة ستتحقق لأن « كل خلفته بنات » .. وأنه لو أنجب ولى العهد فإن النبوءة ستتحطم .. ولن تطارده كاللعنة بعد ذلك .. والمدهش أنه أنجب ولى العهد .. ومع ذلك لم تتحطم النبوءة .. وإنما تحققت .
لكن .. فى تلك اللحظة كان يفكر فى ولى العهد فقط .. وكان يتصور أن تشريفه « السعيد » سيحول نبوءة والده إلى نكتة .. ومن ثم .. اختار اسم والده ليطلقه على ولى العهد .. وكأنه بذلك يخرج لسانه له .

□ □

سارع الملك إلى سويتش القصر ، وراح بنفسه يتصل بالأطباء .. د . إبراهيم مجدى .. د . يوسف رشاد .. د . عباس الكفراوى .. وطبيب التخدير والبنج

(٥) حوار مباشر معه جرى بحضور محافظ القاهرة الأسبق إبراهيم بنى ، فى فندق مينا هاوس ، فى مساء يوم الأحد ٤ أغسطس ١٩٩١ ، وسيكون هذا الحوار مصدري عند الإشارة إلى أمين فهم بعد ذلك .

د . عبد الحكيم راتب .. وأمر الملك أن يرتدوا ملابسهم ، ويأتوا إليه فوراً .. وعندما نزلوا من بيوتهم وجدوا سيارات من القصر في انتظارهم .. أما د . أحمد النقيب — مدير مستشفى المواساة بالإسكندرية وأحد أصدقاء الملك — فقط حملته طائرة خاصة إلى القاهرة ، ليصل إليها في أقل من ساعة ونصف .

كان الدكتور إبراهيم مجدى ، نائماً عندما أيقظه تليفون الملك .. والمؤكد أنه فوجيء بالنبا ، فهو قد فحص الملكة في الصباح وأكد لها أن الوضع سيكون بعد (١٠) أيام .. أى في ٢٦ يناير .. يوم حريق القاهرة .. ومن حسن حظ أحمد فؤاد أنه لم يُولد في ذلك اليوم الأسود ، وإلا كان شَوْماً على مصر كلها .. فمولده مبكراً (١٠) أيام ، جعله فالأً سيئاً على أسرته فقط .

في ذلك الصباح سألت ناريمان الدكتور مجدى :

— ألم يكتشف الطب وسيلة بعد لمعرفة المولود قبل ولادته ؟ .

فابتسم ، وطمأنها قائلاً : بأن لديه شعور عجيب بأن المولود ولد .. وأضاف : أنه اعتاد أن يعتمد على شعوره الداخلى في هذا الشأن ... « ولكن الطب لم يتقدم حتى الآن ليعرف جنس المولود قبل ولادته » . -

وصل الدكتور مجدى إلى قصر عابدين بعد (١٠) دقائق ، ودخل جناح الملكة ، فوجد الملك ، وأصيلة هانم ، ورئيسة المرضات في مستشفى « ناريمان » ، وعندما فحص الملكة ، سأته والدتها :

— هل هذه علامات ولادة مؤكدة ؟ .

— إنها ولادة أكيدة .

وانتقلت الملكة من مخدعها إلى غرفة الولادة ، وحين اجتازت عتبتها قرأت الفاتحة ، وعندما حلت ساعة الولادة ، فوجيء الدكتور بالملك ، يدخل عليه ، وهو يرتدى بالطلو أبيض ، ويضع على وجهه قناعاً من الشاش المعقم ، ولم يستطع أن يطلب منه الخروج .. وفهم الملك نظرات الطبيب ، فقال له : إنه لن يتدخل في عملهم .. وذهب إلى النافذة ووقف إلى جانبها صامتاً وهو ينظر إلى السماء .

وأعطى الدكتور عبد الحكيم راتب الملكة نوعاً من الغاز ، الذى يُحدث تخديراً

بسيطاً ، ويخفف من آلام الولادة ، دون أن يؤثر في قدرة الأم على دفع الجنين إلى الحياة .

وفي تلك الأثناء تسلل الملك خارج الغرفة ، ليعيد أفراد الحاشية والحرس حتى لا يسمعوا الملكة وهي تصرخ .. ثم دخل مرة أخرى .

وما كاد الدكتور مجدى ينتهى من عمله حتى سمع صراخ الطفل ، فمد يده وحمله ، وقال : ولد .. وإذا بالدكتور راتب يصيح بصوت عال : ولد .. ولد .. وسمع صوت الدكتور راتب خارج الغرفة ، فارتفعت الزغاريد ، واندفعت أصيلة هاتم إلى داخل الغرفة وهي لاتصدق أن المعجزة قد حدثت .

ولوحظ أن عيني المولود زرقاوان .. وأن أنفه يشبه أنف الملك .. وأنه أطول من المعتاد .. كبير الحجم .. شعره أشقر .. تام النمو .. أبيض اللون .. وقد بلغ وزنه ساعة الولادة سبعة أرطال وثلاثة أرباع الرطل ، أى حوالى (٣) كيلو ونصف .
وقد بكى بصوت عال ، بمفرده ، ولم ينتظر حتى يضربه الطبيب على ظهره كما يحدث عادة .

وبعد الولادة بساعتين ، استيقظت ناريمان ، ونقلت من غرفة الولادة إلى غرفتها الخاصة .. فقال لها الملك :

— أريدك أن تتولى إرضاع الولد .

فقالت ناريمان :

وأنا أريد ذلك أيضاً !

وبدأت ناريمان من صباح اليوم التالى فى إرضاع ولى العهد خمس مرات فى اليوم .

□ □

خرج الملك من حجرة الولادة وقد تلطخ البالطو الأبيض ببقع الدم .. وكان أول من رآه ، مصطفى صادق ، فصاح فيه بأعلى صوته :

— مصطفى .. تعال بوسنى .

واندفع مصطفى صادق ناحيته .. فاستطرد الملك قائلاً :

— يامصطفى .. أنا مش عيبط زيك أجيب بنات .. أنا جدع .. وباخلف

صبيان^(٦) !

لقد أحس فاروق أنه — أخيراً — انتصر !
ولم تكن الأرض لتسعه من الزهو والفرح .. فقد تصور أن نبوءة والده قد ماتت ..
وأن لعنته التي تطارده قد ابتلعها ولى العهد .

□ □

قال الملك للدكتور مجدى :

— شكراً .. ياباشا !

ولم يكن الدكتور مجدى يحمل رتبة الباشوية ، لكن الملك الذى نطق بالرتبة ، أنعم عليه بها ، وكذلك أنعم على الدكتور راتب بالباكوية .. أما الدكتور يوسف رشاد ، فقد اكتفى الملك بتسديد ديون القمار التى خسرها فى رحلة شهر العسل وكانت ألفى جنية .

وقد حدث ذلك على مائدة الإفطار التى دعا الملك كل من شاركوا فى عملية الولادة إليها .

□ □

لم يسلم ولى العهد من القيل والقال .

لقد وُلد ابناً لسبعة شهور .. ولم يكمل فى رحم أمه شهره التاسع كالمعتاد .. وفتحت ولادته المبكرة نيران الألسنة على أمه .. فقيل إن الحمل كان قبل عقد القران .. وضاعف من هذا التشهير أن ناريمان لم تكن محبوبة من الناس مثل زوجة فاروق الأولى ، الملكة فريدة .. وأن فاروق نفسه كان قد أصبح سىء السمعة .. وفى إحدى المظاهرات المعادية له ، ترددت عبارة سافرة موجعة ، فى الهتاف : « ناريمان .. ناريمان .. ابنك عنده سنان » .

والمعنى شديد القسوة .

« والواقع أن هذه المسألة كانت مثاراً للكلام من قبل ولادة الطفل .. فقد كتب

(٦) جميل عارف — المصدر السابق : ص ١٤٤ .

السفير البريطاني « اللورد كيلرن » عقب الزفاف الملكي بتسعة وثلاثين يوماً أن عم ناريمان « مصطفى صادق » حدثه عن قلق أسرتها « أسرة ناريمان » على مستقبلها في حالة إذا لم تلد وريثاً للعرش .. وكانت مصادر الخارجية البريطانية في ذلك الوقت على يقين بأن « الملكة حامل » .. وأن « هذه الحقيقة يجب أن تبقى سرّاً »^(٧) . « واعترف فاروق أن ابنه وُلد قبل الشهر التاسع ، وأرجع السبب إلى الوراثة ، فأشار إلى أن ناريمان الوحيدة من بين سبعة حملت فيهم أمها ، واكتملت في الشهر التاسع ، أما الباقي فلم يكتملوا ، وبالتالي لم يعيشوا .. وعلى أية حال فمن المحتمل أن يكون الطفل ابناً لسبعة أشهر ، ونظراً لكثرة الاشاعات ، والأقاويل ، حدثت هذه الملاحظات »^(٨) .

والمدعش أن فاروق هو الآخر كان ابناً لسبعة أشهر .. وتعرض لما تعرض له ابنه من « تلسين » ، وتعرضت ناريمان لما تعرضت له الملكة نازلى — أم فاروق — من قبل .. فقد طُبعت منشورات تتهم ولي العهد الأمير فاروق بأنه « ابن حرام » .. وكتب بيرم التونسي زجله المشهور عن زفاف فؤاد ونازلى الذى تم قبل الخطبة ، والحمل الذى وقع قبل الزواج : « البنت ماشية من زمان تتمخطر ، والغفلة زارع فى الديوان قرع أخضر » .. « ونزل النونو القديم من طوقك ، يطلع كويس لا الولد يكبر » .. « ويوم ما ينزل فى الجاكنة الكاكي تسمع قولتها .. العافية هابلة ، والولد متشطر ، والوزة من قبل الفرح مدبوحة ، والعطفة من قبل النظام مفتوحة » .. ولما جت تتجوز المفضوحة ، قلت اسكتوا خلى البنات تستر » . والحقيقة أن ذلك غير صحيح .. وكل ما فى الأمر أن فاروق كان « ابن سبعة » وُلد بعد الزفاف بسبعة شهور بسبب كبر حجمه .

وابنه أيضاً وُلد مبكراً بسبب كبر حجمه .. وكان وزنه فى لحظة الميلاد (٣) كيلو و (٤٠٠) جرام بالضبط ، حسب سجلات « الخاصة الملكية » التى رصدت وزنه يوماً بعد يوم ، وقالت إنه زاد (١٠) جرامات فى اليوم العاشر ، و (١٧٠) جراماً فى اليوم الثانى عشر ، و (٢٧٠) جراماً فى اليوم التاسع عشر .

(٧) و (٨) د . لطيف سالم ، المصدر السابق ، حى ٩٨٢ ، ٩٨٣ .

وسجلت الدفاتر الخاصة الملكية أيضا : أنه استحم لأول مرة في اليوم الثامن ..
« وفي هذا الحمام الأول وضعت ملعقتا أكل ييكربونات الصودا ، ووضع مرهم
بنسلين في العينين ، ومرهم مليثامين على الجلد ، وجوركس جليسرين على
الشفافيف » .. وكانت درجة الحرارة المسجلة له تتراوح بين (٣٧) و (٣٧) ونصف
درجة » .

وفي يوم ٨ فبراير سجلت الدفاتر : « أنه هادىء الطبع » .
وفي يوم ٩ فبراير سجلت الدفاتر : أنه « قضى ليلة جيدة » .
وفي يوم ١٣ فبراير : « أجريت له عملية الطهارة وكانت حالته طيبة » .. وتولى
هذه العملية د . أحمد النقيب باشا .

وفي ١٥ فبراير : « أضيفت الفيتامينات على هيئة نقط إلى طعامه » .
ولم تتوقف اليوميات إلا في ٢٤ يوليو ١٩٥٢ .. أى في اليوم التالى للثورة .. وهذا
أمر متوقع .. ففي ذلك اليوم انتهى بالفعل تاريخ الأسرة المالكة في مصر .. وبدأت
مرحلة جديدة .. مختلفة تماما .



ولى العهد .. رقم « ١٢ » !

« حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق — القاهرة
إننى لسعيدة جداً بأن أعز أمانيكم قد استجيبت ، فأقدم إلى جلالكم أخلص
التهاى ، وأسأل الله أن يبارك فى ولدكم وأن يجعل منه أميراً عظيماً » .

صافيناز ذو الفقار
وصافيناز ذو الفقار ، هى الملكة فريدة ، زوجة الملك فاروق الأولى ، ومطلقتها ،
وأم بناته الثلاث .. وقد حرصت على تهنئة بميلاد ولى العهد ، وحرص هو على نشر
برقيتها فى الصحف ، وردة عليها ، حتى يخفف من انتقادات الشعب له ، بعد أن
طلقها ، وحتى يومه بأن الطلاق لم يفسد الود بينهما .. وهذا بالقطع غير صحيح ..
فحتى آخر يوم فى حياة فاروق ، كان يسعى إلى الانتقام من فريدة ، وكان على
استعداد للتضحية بسمعه فى سبيل تلطيخ سمعتها .
وكان رد الملك ...

« حضرة صاحبة العصمة صافيناز ذو الفقار — القاهرة
تلقيت بغاية التأثير برقيتك البالغة الرقة ، وإنى إذ أشكرك خالص الشكر ، أبعث
إليك بأوفر تمنياتى » .

فاروق
كانت كلمات الود المتبادلة بين فاروق وفريدة ، أشبه بالابتسامات الصفراء التى
يتبادلها الملاكمون ، والمصارعون قبل الجولة الأولى .. فكل منهما يكره الآخر ..
ويتمنى فى كل صباح أن يقرأ خبر وفاته .. وكان حجم الغيظ فى صدر فاروق أكبر ،
وأثقل .. أما فريدة فكان الاشمزاز هو شعورها الدائم ناحيته .



ولقد تمنى فاروق دائما الإنتقام من امرأتين فى حياته .. أمه الملكة نازلى .. وزوجته الملكة فريدة .. الأولى كسرت سمعته ، والثانية حطمت رجولته !

□ □

إن نازلى — الملكة الأم ، خرجت من سجن زوجها الملك فؤاد ، بعد وفاته ، لتعوض ما فاتها من متع كانت محرومة منها .. العشق .. الجنس .. الترف .. والبذخ بلا حساب .. وكان أول ما فعلته انتقاما من زوجها .. انها باعت ملابسها الملكية والشخصية والداخلية لباعه « الروباييكيا » .. الذين علقوها فى سوق « الكانتو » فى عرض الطريق .. ثم سعت الملكة المحرومة ، المكبوتة ، إلى التخلص من مراكز القوى فى القصر الملكى .. الذين كانوا عيون الملك فؤاد عليها .. وكانوا أيضا حراس سجنها . كان على رأس هؤلاء رجل نوبى ، لايعرف القراءة ، ولا الكتابة ، ولكنه كان يتمتع بذكاء خطير مكّنه من أن يدير الأمور حسب هواه ، هو إدريس عثمان ، شماس رجبى الملك .. وقد جمع ثروة هائلة .. وجعل « بلدياته » قوة لا يستهان بها فى القصر .. وأصبح صاحب أسلوب شهير فى سيطرة الخدم والحاشية على الملوك .. وكان من تلاميذه ، محمد حسن ، الذى لعب الدور نفسه فيما بعد ، مع الملك فاروق . إلى جانب إدريس عثمان ، كانت « الخازندارة » الشركسية ، خادمة الملك الخاصة ، سرد نور هانم ، التى استمرت قرية من قلب فؤاد ، بسبب الكلفوات ، اللاتى كانت تقدمهن للملك ، أول بأول ، وحسب المواصفات .. جمال .. ورشاقة .. وليونة .. وبراعة .. والكلفوات ، فتيات من أصل شركسى ، يتخدمن فى القصور ، ويعشن فى الحرملك ، ويتزوجن بأمر الملك من كبار موظفى الديوان .. وكان نفوذ الخازندارة يفوق نفوذ نازلى .. وعندما مات فؤاد ، خرجت من القصر ، وورائها طابور الكلفوات ، يحملن صناديقهن هرباً من انتقام الملكة .

وكانت حماية فؤاد مسئولية الألبان .. وكانوا فى منتهى الإخلاص .. نما جعل أحدهم ، وهو يعقوب نظير حارس الملك الخاص ، مركزا من مراكز القوى . ثم .. يأتى مهندس القصر ، الإيطالى ، الغامض « فيروتش » ، الذى كان يُسمى « راسبوتين القصر » ، وكان الملك يحرص على الاجتماع به منفرداً مرتين فى اليوم ،

بعد الغداء ، وقبل العشاء .

ثم .. أخيراً .. مربية فاروق ومعلمته الإنجليزية ، مسز نيلور ، التى كان نفوذها يتجاوز نفوذ نازلى ، وكان فؤاد يوافق على ذلك .. ويرضاه .
وفيما بعد .. سنجد فاروق ، يعطى مربية ابنه نفس الحق ، وسيمنحها وضعاً مميزاً على حساب زوجته ناريمان .. خاصة فيما يتعلق بشئون ولى العهد .
ان فاروق لم يفهم أنه السبب فى منح مسز نيلور كل هذا النفوذ فى تربيته .. فقد كان والده يرى أنه « مثل البنات » .. أى غير صلب .. وكان يرى انه مجنون .. مثل جده إسماعيل .. وكان يقول لابنته فائقة . وهو حزين : « أنا عارف ليه ربنا ما خلقكيش ولد وتورثى العرش بدل المجنون ده » .

□ □

تخلصت نازلى من هؤلاء لتنفس الصعداء .. وكان أول من طردته ، يوم وفاة زوجها ، مسز نيلور ، التى قالت فى ذلك اليوم : « يكفى أننى كنت ملكة غير متوجة » .

ووقعت نازلى فى غرام أحمد حسنين باشا ، رئيس الديوان ، الذى ترقى فى لندن ، واختير ليكون رئداً للملك فاروق ، هو وعزيز باشا المصرى .. ولم يستسلم أحمد حسنين لهذا الغرام .. واستغله للسيطرة على فاروق .. بعد أن أفسده ، وجعل عزيز المصرى يتنازل عن مهمته فى إعدادة للحكم .. فأنفرد به فى لندن ، وكان لايزال فى سن المراهقة .. فعلمه التنس والسباحة والبريدج وقراءة المجلات العارية ، والسهر ، وكيفية اصطياذ النساء ، وكيفية الحكم على الغانيات ، لا كيفية حكم البلاد .

ولم يتردد أحمد حسنين فى تعذيب الملكة نازلى بنيران الشوق . إليه ، حتى أقنعها بالزواج العرفى .. وأصبح بذلك زوج أم الملك .. وعمه حسب العرف المصرى الشائع .. مع أن حبه الحقيقى كان المطربة أسمهان .. ولو كانت قد أحبته ، فإنه كان مستعداً لترك كل شئ من أجلها .. إنه الحب .. صاحب الجلالة القوى .
وجاءت الطعنة إلى فاروق من حيث لايتوقع .. من أمه .. ولم يكن أمامه سوى

ابتلاع الإهانة ، والتغطية قدر المستطاع على فضائحتها .. وعندما فاحت رائحة فضائحتها ، جردها من ألقابها .. وتركها تسافر إلى الولايات المتحدة .. حتى مات لم يكن قادراً على أن يغفر لها ما فعلته^(١) .

وكان يؤلم فاروق أن تكون جدة ولى عهده من هذا الطراز .

□ □

أما فريدة .. قصة أخرى .

إنها حبه الأول والأخير .. والنعمومة التى فضحت عجزه .. والكبرياء الذى فشل فى تحطيمه .. والعشق الملتهب الذى انقلب إلى كراهية بلا حدود .

لقد تزوجها وعمرها (١٦) سنة ، فى ٢٠ يناير ١٩٣٨ ، وه كانت فتاة غودجية ، تمهوى الرسم ، والعزف على البيانو ، وتتمسم بالاحتشام والوقار ، وكان زفافها صورة من ألف ليلة وليلة .. وقد أحبها المصريون ، واحترموها .. وكانوا قد تعرفوا عليها ، بعد عقد القران ، عندما طافت مع الملك فى سيارة مكشوفة .

ولكن ..

بعد العسل جاء الشقاء .. والسعادة الزوجية سرعان ما تحولت إلى جحيم لا يطاق ...

وكان ذلك بعد ميلاد الأميرة فريال ، كبرى بنات فاروق ، فى ١٧ نوفمبر ١٩٣٨ ..

وتضاعفت حجم الشقاء بعد أن ولدت الأميرة الثانية فوزية ، فى ٧ إبريل ١٩٤٠ ..

ثم أصبحت الحياة مستحيلة عندما جاءت الأميرة الثالثة فادية فى ١٥ ديسمبر ١٩٤٣ .

وكان هناك العديد من الأسباب المتنوعة وراء ذلك .. فضائح أمه .. حادث ٤ فبراير ، وإهانة الإنجليز له ، كحصار قصره بالدبابات ، والتهديد بأسقاطه من فوق العرش .. واحساسه بالعجز الجنسي أمام الملكة فريدة .. وخوفه من أن تكون « كل خلفته بنات » ، ولا ينجب ولى العهد ، ويظل الأمير محمد على فى هذا المنصب .. وقد كان يكرهه كراهية التحريم ، ولا يطيق البقاء فى مكان يتواجد فيه .. وكان يتمنى موته .

(١) لم نشأ الاغراض فى تفاصيل هذا الموضوع ، واكتفينا منها بما يقدمه هذا الكتاب .. ويمكن لمن لا يعرف التفاصيل ، الرجوع إلى كتاب محمد التامى : مصر قبل الثورة — من أسرار الساسة والسياسيين — دار المعارف — القاهرة ١٩٨٧ .

إنه كان يحب فريدة .. ولكنه كان يحب العرش أكثر .. وعندما أنجبت فريدة الأميرة فادية أحس باليأس .. وجُن جنونه .. ووصل هذا الجنون إلى الذروة عندما اتهم فريدة بخيائنه ، وأنكر أن فادية ابنته !

ففيما بعد .. في سنة ١٩٥٢ ، وهو في المنفى .. وبالتحديد في فندق بحريزة كبرى .. المحطة الأولى في رحلة العائلة الملكية في المنفى ، لحق به صحفي إنجليزي يدعى نورمان بريس ، كان يعرفه من قبل ، وأقنعه بأن يملئ عليه ما أسماه بمذكراته .. وبعد (١٠) أيام قضاها نورمان بريس ، وهو يسجل ذكريات الملك ، ذهب فاروق إلى سكرتيره الخاص أمين فهم ، وهو يحمل حزمة من الأوراق ، وقال له :

— دى مذكراتي التي أملتتها على نورمان بريس .

— لكن .. يامولاي المذكرات لا تكتب على هذا النحو ، خصوصاً مذكرات الملوك .. إنها تحتاج إلى وثائق ومراجع ودقة لا تتوفر في هذا النوع من الكتابات الصحفية المثيرة .

— إقرئها .. إقرئها .. بس .. وقل لي رأيك فيها .

وقرأ أمين فهم الأوراق ...

وكما قال لي بالحرف :

— وقعت عيني على عبارة تقول بلسان الملك : « كنت أمشي في ردهات قصر القبة ومسدسي في يدي لعل أعثر على أمي ، وأحمد حسنين معاً ، وأقتلها » .. ووضعت خطأ بالقلم الأحمر السميكة تحت هذه العبارة ، لأطلب من الملك شطبها من المذكرات ، لأنه لا يجوز أن يشهر أى إنسان بأمه مهما كانت على هذا النحو المشين .

ويضيف أمين فهم :

— ثم فوجئت به يقول أيضاً : « كنت والحرب العالمية الثانية على أشدها أجتمع مع القادة العسكريين لمتابعة سير المعارك ، ومجريات القتال ، بينما كانت زوجتي فريدة تخونني مع وحيد سري ، وكان من ثمرة هذه الخيانة .. فادية » .

واستغفرت الله بعد أن قرأت ذلك .. وقلت لفاروق : « جلالة الملك سأرد

على كل كلمة قلتها هنا .. أنت يامولاي عمرك ما اجتمعت مع قادة عسكريين ..
وفى عز الحرب كنت تسهر فى الأوبرج ، والأريزونا ، والاسكراية .. وحتى الآن
لم تفتح فريدة فمها بكلمة واحدة ضدك .. وعندما خرجت من مصر ، رفضت
فادية أن تبقى مع أمها هناك ، وتشعلقت فى رقبتك .. وبكت .. وأصرت على السفر
معك ، لأنها تحبك .. حرام عليك ما تقوله يامولاي» (٧) .

وبالرغم من أن فاروق استجاب ، وشطب هذه الفقرات الشاذة من مذكراته ،
فإنه لم يتراجع عن اتهام فريدة بالخيانة ، وإنكار أن فادية ابنته .. وقد سبق لأمين
فهم أن ذكر ذلك ، فى أكثر من موضع ، فى مذكراته التى نشرتها له مجلة « آخر
ساعة » فى النصف الثانى من الخمسينات .

فقد قال : إن فاروق رفض أن يكتب اسم فادية فى وصيته وأصر على أن يحرمها
من الميراث ، وأضاف : أنها ليست ابنته !!

— ولكن يامولاي .. هذا حكم بالإعدام على ابنتك الثالثة .
— إنها لاتستحق مليماً من ثروتي .. أنا واثق انها ليست ابنتى .. إنها ابنة وحيد

سرى .

— حرام عليك يامولانا .

— حرام عليك أن تجعلنى أوصى بمالى لإنسان ليس من صلبى .

— ماذا يقول الناس ؟

— الناس كلها تعرف أنها ليست ابنتى ! .

— هذه صدمة للملكة فريدة .

— إنها ليست مفاجأة لها .

(٧) فى أكتوبر ١٩٥٢ ، نشر نورمان بريس هذه المذكرات ، بعد أن شطب أمين فهم منها ما وجده غير لائق بسمعة الملك .. وقد
اطلعت على ترجمة لها ، كانت فى أوراق الرئيس الأسبق محمد نجيب ، الذى رد عليها فى بيان رسمى ، صدر فى ذلك الوقت .. أما
أهم ما جاء فى هذه المذكرات فهو أن حركة الضباط الأحرار حركة شيوعية ، يدعمها الإخوان المسلمون ، وتمولها السفارة الروسية
فى القاهرة ، وأنها حركة ضد الحريات ، ستدفع مصر إلى حرب كانت تجرى فى تلك الفترة فى كوريا .. وقال فاروق : إن رجال
الحرس الملكى دافعوا عنه ضد الثوار الذين حاصروا قصر رأس التين بالإسكندرية وإن هؤلاء الثوار قتلوا كلاب بناته ، وفققوا عين
مهرة فى الأسطبلات الملكية .. وقد نشرت رد محمد نجيب الرسمى على ذلك فى كتابه « كنت رئيساً لمصر » الذى قمت بإعداده —
انظر ص ١٣٩ .

- ومتى عرفت أنها ليست ابنتك ؟
- من يوم ولادتها .
- إن الناس لن يصدقوا هذا .. إن فادية ولدت سنة ١٩٤٣ ، وأنت طلقت فريدة سنة ١٩٤٨ ، أى بعد خمس سنوات ، ولو كنت طلقتها بعد مولد فادية مباشرة لصدق الناس هذه الحكاية .
- إن ظروفى منعتنى يومها من الطلاق .
- إذ لم تكن فادية ابنتك فلماذا أخذتها معك إلى المنفى ؟
- أنا أخذتها لتسلى فريال وفوزية .
- ولماذا انتزعتها من حضنة أمها عندما بلغت سن السابعة .
- إننى فعلت ذلك لأغيب فريدة .. عرفت أنها تعبد فادية فقررت أن أنتقم منها بأن آخذها .
- وفى موضوع آخر من مذكراته ، يقول أمين فهم ، إن الأميرة فريال ، عثرت فى مكتب والدها ، على ظرف مكتوب عليه « سرى جداً » .. وعندما فتحته .. وقرأت الأوراق التى كانت بداخله ، إنهازت ، وبكت ، وهى تقول :
- مستحيل .. مستحيل .. مستحيل أن يقول أبى هذا عن أمى .. أمى .. أمى .
- وما قرأته فريال وأحزنها أوراق كتبها فاروق عن أمها .. منها بالنص :
- « إن فريدة انتهزت فرصة انشغالى بمسائل الدولة ووقعت فى هوى وحيد سرى .. كان كبير السن بحيث تجعل منه والدًا لها ، ولكن كثيراً ما يكون فى هذه السن الكبيرة إغراء لفتاة صغيرة .. ولم يكن لدى وقت أناضل لاستعادة حب فريدة الضالة .. وعندما كنت أعود من عملى إليها أجد أفكارها تحولت عنى ، ولم تعد متعلقة بى ، وكنا فى مشاجرات عنيفة ، وكنت أفر من القصر مندفعاً ، أحاول أن أسبب لفريدة الألم ، بالبحث عن تسليات أخرى » .
- « كان فى وسعى أن أطلقها بسبب خيانتها ، كما طلق والدى زوجته الأميرة شويكار ، ولكنى لم أفعل .. كانت هناك نساء جيلات يتلهفن على الزواج منى .
- « لقد خاصمتى فريدة قبل أن تولد ابنتا الثالثة وقالت لى : إننى إذا عدت إليها

مرة أخرى فإنها سوف تستقبلنى كما تستقبل أى شخص آخر .
« إنتهى طلقته فريدة بعد أن أمهلتها خمس سنوات ، ورفضت أن تغير تفكيرها .
« وهكذا .. أصبحت فريدة حرة فى وسعها أن تذهب إلى عشيقها لترى ما إذا
كان من الممكن أن يتزوجها .

« وعندما طلقها كانت تتوقع أن يطلق وحيد سرى زوجته الأميرة سميحة
ويتزوجها هى ، ولكنه لم يطلق زوجته حتى الآن ليتزوج فريدة .. والسبب الأول
هو أنه ورث ثروة طائلة بعد وفاة أمه الأميرة شويكار ، فلم يعد فى حاجة إلى أن
يتزوج فريدة .. والسبب الثانى أنه من أولئك الذين يذهبون فى المرأة بمجرد أن
تتجاوز العشرين .

« ولذلك ...

« تعيش فريدة اليوم وحيدة ، حزينة ...

« لقد تخلى عنها زوجها وتخلّى عشيقها عنها !

وبعد أن انتهت فريال من القراءة صرخت : « بابا كذاب .. وماما ست شريفة » !!.

□ □

إلى هذا الحد كان فاروق يكره فريدة وهى كراهية غمرت حياتها بالبؤس
والشقاء فقدت الثقة فى نفسها ، وفى من حولها ، وسعت إلى الطلاق .. وفى نسيل
حريتها الخاصة لم تتردد فى التنازل عن كل ما تحلم به نساء الأرض .. التاج ..
العرش .. الألقاب السامية .. الضوء المبهر .. الثراء .. بريق الذهب .. المجوهرات ..
القصور .. الترف .. الحاشية .. وكتابة اسمها بحروف بارزة على الشوارع ،
والمدارس ، والمستشفيات ، والمؤسسات الخيرية .

إنها امرأة « فريدة » بالفعل .. كرامتها أثنى من الألقاب والنياشين وكنوز الأرض ..
وقد فضلت أن تكون رسامة على أن تكون ملكة .. وكانت لوحاتها تملأ بألوان
تعبر عن قليل من الحزن ، وكثير من التفاؤل .. الحزن القديم ، والبعيد .. والتفاؤل
بالحياة بعد أن نالت حريتها .

وكانت مشكلة فريدة الخاصة جداً .. أنها كانت تعرف أن زوجها الملك فاروق

« رجل غير طبيعي » .. وهمست بذلك إلى بعض صديقاتها .. ولكن .. الهمس سرعان ماتحول إلى صخب ، وصل صدهاء إلى فاروق نفسه ، الذى كان مثل « بوميل » يمشى على قدمين .. وكان « كرشه » يتحرك أمامه وكأن بداخله مطبخ « جروفي » .. ففى اليوم الواحد « كان يتناول كميات كبيرة من اللحوم والعصائر والفطائر والمياة والمخار » تكفى (١٠) أشخاص .. وكان المخار يأتى له خصيصاً من كوتنهاجن أسبوعياً لارتباطه بتوليد قوة « جنسية » كان فى حاجة إليها .

فعلى عكس ماهو شائع لم يكن يشرب الخمر . وعلى عكس ماهو شائع لم يكن قادراً على تذوق « النساء » .. فعوض ذلك بالتهام الطعام .. ولعب القمار .. وسرقة الأشياء الثمينة ، والاستمتاع بخطف النساء من أصدقائه .. فقط الاستمتاع بالخطف .. ومع أنه كان محاطاً بمحيط من الجميلات فإن زورقه كان عاجزاً عن الإبحار .. وكان السبب فسيولوجياً .. وهو أن بعضاً من غدده لا تؤدى وظائفها تماماً .. « حتى إنه كانت هناك فكرة لاجراء عملية تنشيط لهذه الغدد الحاملة » .. والكلام ليس استنتاجاً .. وإنما هو كلام سجلته الوثائق الرسمية^(٣) .

لقد اهتمت سلطات الاحتلال البريطانية بالتنصف السفلى للملك .. فمن يعجز عن حكم امرأة لا يمكن أن يحكم أمة .. فالجنس هو الوجه الآخر لسلطة الرجل السياسية . وفى إحدى هذه الوثائق حوار بين رئيس الوزراء حسين سرى ، والسفير البريطاني اللورد لامبسون :

— سرى : لقد تأكدت من مصادرى الخاصة أن الملك لا يذهب مع النساء إلى آخر المطاف !!

— لامبسون : أعرف ذلك ، وأعرف أن زوجته الملكة « فريدة » أخطرتة بعد عيد ميلاد الأميرة الأخيرة ، أنه إذا اقرب منها كزوج فإنها ستقبله كمتطفل . — وقبل الولادة .. لفظته .

— ولكن .. كيف أنجب بناته ؟

(٣) لطيفة سالم : المرجع السابق — ص ٩١٧ .

- إنه ليس عقيماً وإنما يفتقد مقومات الشباب .
- هذا التركيب غير طبعى ولا يستبعد أن يؤثر على عقله .
- والحل ؟
- سأطلب من حكومتى الاتصال بالدكتور ب . هنرى الذى سبق أن أجرى الكشف عليه عندما كان فى لندن ، لنعرف حالته بدقة .
- إن د . هنرى يرى أن هذا الخلل ليس طارئاً ولكنه يعود إلى فترة ما قبل الزواج .

□ □

لم يجرؤ اللورد لامبسون أن يطلب من الملك علاج نفسه .. ولم يسع الملك إلى ذلك .. بل اندفع — معبرا عن عقده النفسية والجنسية — إلى اصطلياد النساء حتى يدارى عجزه ، وحتى يظهر وكأنه فى قمة الحيوية والرجولة .. فكان مثل النهر « عطشان والكأس فى يديه » .. أما الشهوة الوحيدة التى كان قادراً عليها ، فهى الطعام .. خاصة المأكولات البحرية النادرة .. التى اندفع إليها بجنون .. وهو جنون ضاعف من مساحة التوتر فى داخله .. خاصة بعد أن لفظته فريدة .. واشمأزت منه .. وجعلته يشعر بأنه مجرد كتلة مترهلة من اللحم والدهون غير قادرة على تحريك أنوثتها .. ومن ثم .. لم يجد أمامه سوى القمار والعاشرات .. وهنا تسللت حاشيته الفاسدة إليه ، من بوابات ضخمة ، وسيطرت عليه .. وأفسدته .. وحكمته .. وحكمت البلاد من خلاله فى النهاية .. مثل « بوللى » الإيطالى الذى التحق بالقصر ليعمل كهربائياً ، ونجح فى أن يسحبه إلى الهاوية بالغواى .. ومثل حلاقه الخاص ، الإيطالى أيضاً « جيو رجيو جارو » ومساعد « بترو دولافالى » الذى كان « صبي قهوة » فى الإسكندرية .. وغيرهم .. وقد منحهم فاروق الجنسية المصرية ، وأصر على أن تجرى لهم عملية « التختين » ، حتى يفهموا — على حد قوله — الطبيعة المصرية .

وانضمت إلى حاشيته قوادة « يهودية » معروفة هى « هيلين موصيرى » .. وتعرف على كومبارس يهودية فى الإسكندرية تدعى ليليان كوهين التى أصبحت فيما بعد نجمة السينما المثيرة « كاميليا » .. وكانت فى السادسة عشرة من عمرها ، عندما

اكتشفت بذلك عيبه ، وتجاوزته ، ونجحت في اقناعه بأنه أشد الرجال فحولة في العالم .. فكان يجد نفسه عندما يسمع صوتها في الفراش .. وكانت تجد نفسها عندما تأمره فيطيع .

وهكذا .. اختلط العجز بالعهر .. والجنس بالفساد .. والدعارة بالسلطة .. والسهر بالسياسة .. ولم يعد الملك يعرف الخيط الأبيض من الخيط لأسود .. ولا الفرق بين جناح الملكة وأوبرج الأهرام .. ولا بين كاميليا وفريدة .. ولا بين مصطفى النحاس وانطوان بوللى .

وفاحت رائحته .. ووصلت إلى فريدة .. التي سدت أنفها بيد .. وصدته باليد الأخرى .. فكان أن اتهمها الملك بالبرود .. ثم .. عايرها بأنها لم تنجب له ولى العهد .. وضغط على ذلك كثيراً .. فقالت له : « إذهب وتزوج » .. وكانت تقصد إذهب وتزوج غيرى لتنجب لك ولى العهد .. ولم يكن الملك يعرف أن جنس المولود يحدده الرجل لا المرأة .. ولم يكن الطب كشف هذه الحقيقة أيضاً .. ولو كان الملك يعرف ذلك ماصدق .. لأنه لم يكن في حاجة إلى مزيد من العقد النفسية .. ولو كانت فريدة أنجبت ولى العهد .. فالموكد أن كثيراً من الأمور كانت قد اختلفت .. فاستمرار العرش من صلب فاروق كان سيريمحه كثيراً .. وخروجه من سلسلة أبنائه كان يزعجه ويؤرقه أكثر .

□ □

في أول يونيو ١٨٤١ ، أصدر « الباب العالى » فرماناً بمنح محمد على الكبير « ولاية مصر وراثية ، وحكومة شمال السودان » ، على أن تكون ولاية العهد لأكبر أولاده ، وأولاد أولاده .

وكان هذا فرمان أول قانون ينظم توريث العرش في مصر الحديثة ، منذ عصر الأسرات ، في مصر الفرعونية .. وكان ذلك مكافأة من السلطان العثمانى فى الآستانة محمد على ، المغامر الألبانى الأصل ، المولود فى « قولة » سنة ١٧٦٩ ، فى يوم ١٣ أو ٢٦ فبراير .. فلا أخذ يعرف بالضبط .. وقد مات فى سنة ١٨٤٩ .. وبالرغم من الانقلاب الحضارى الذى أحدثه فى مصر ، وبالرغم من قيامه بأربع حملات فى

بلاد العرب والسودان واليونان والشام ، فإنه لم يخلف ديناً وراءه .
وكان ابنه وقائد جيوشه إبراهيم هو أول ولي عهد في أسرته .. وقد وُلد في قولة
سنة ١٧٨٩ ، وتولى العرش في سنة ١٨٤٧ ، ولم يعيش طويلاً .. فتولى العرش ولي
عهده عباس الأول ، ابن أخيه طوسون ، في سنة ١٨٤٨ ، وكان عمه سعيد هو
ولي العهد .. وكان عباس الأول ، متطرف دينياً ، وجنسياً ، يكره غير المسلمين ،
ويهوى النساء .. أما خلفه سعيد فكان من طراز آخر ، يتسم بالركة ، وطيبة القلب ،
لكنه كان أيضاً من طراز « الأمير الذى يرهن قرية مقابل متعة ليلة » .. وبرغم هذا
« لم يكن في فساد عباس وخموله ، بل نراه أحياناً ينظر إلى مركزه نظرة جدية
فيستكر الرق ، ويحرم الكرباج » .. وقد تولى الحكم في سنة ١٨٥٤ ، واختار الأمير
رفعت ، أكبر أنجال إبراهيم ولياً لعهده ، وهو من مواليد ١٨٢٥ ، وتوفى غرقاً في
« كفر الزيات » سنة ١٨٥٨ ، بعد أن سقطت القاطرة التى كانت تقله في النيل ،
ودُفن إلى جوار الإمام الشافعى .. فورث المنصب شقيقه إسماعيل ، الذى وُلد بعد
خمس سنوات ، وتولى الحكم في سنة ١٨٦٣ .

في عهد إسماعيل حدث تغير في نظام ولاية العهد .. ولم يعد ولي العهد أكبر
الذكور في أسرة محمد على ، وإنما أصبح أكبرهم في أسرة إسماعيل فقط .. وصدر
بذلك فرمان في سنة ١٨٦٦ من الباب العالى ، دفع إسماعيل ثمنه الكثير من المال ..
وضاعف ذلك من حجم الديون التى أغرق فيها البلاد ، حتى كادت مصر أن تُشهر
إفلاسها ، وكان الحل الوحيد لإنقاذ سمعتها المالية ، عزل إسماعيل نفسه ، وحدث ذلك
في سنة ١٨٧٩ ، ولعل أفضل تلخيص لعصره — الذى فتح الطريق أمام الاحتلال
الأجنبى — كتبه منذ (٦٠) سنة الليفانت كولونيل ب . ج . الجود في كتابه
« مصر » .. فقد قال : « كان إسماعيل حاكماً ينقصه بعد النظر والنشاط في الإدارة ،
قادراً على التصميم عاجزاً عن التنفيذ ، يسمح لخياله أن يتغلب على حكم العقل
والصواب ، وبرغم إخلاصه لمصائر مصر كان أقل اهتماماً برفاهية أهلها ، يعتبر
طاعتهم حقاً له ، وعقاب عصيانهم واجباً عليه ، شأنه في ذلك شأن جده .. وتميزت
الإدارة في عهده بطابع الإهمال إذ تركها في أيدي وكلاء غدروا بمولاهم ورعاياه

عل حد سواء » .

وبعد عزل إسماعيل ، تولى العرش ابنه وولى عهده توفيق ، الذى وُلد فى سنة ١٨٥٢ ، ولم يمر ذلك دون محاولة من جانب السلطان فى تركيا للتدخل فى نظام الوراثة .. كان للسلطان رغبة فى أن يتولى العرش الأمير عبد الحليم ، الذى كان من أحفاد محمد على ، ولكن من فرع آخر غير فرع إسماعيل .. وادعى السلطان أن عزل إسماعيل ، أسقط امتياز وراثة العرش الذى منحه لأولاده .. ولكن .. إنجلترا وفرنسا رفضتا الأمير عبد الحليم ، وتمسكتا بالخديو توفيق .. وبولى عهده عباس حلمى الثانى ، أكبر أنجاله ، الذى وُلد فى سنة ١٨٧٤ وتولى العرش فى سنة ١٨٩٢ ، وكان عمره (١٨) سنة ويتسم بالعناد ، والتمسك بإرادته ، والنفور من التقيد ، وساعدته هذه الصفات على تأكيد حقه فى الحكم ، فى مواجهة الإنجليز ، وعلى رأسهم اللورد كرومر ، المعتمد البريطانى الأشهر .

فى سنة ١٩١٤ ، دخلت إنجلترا الحرب العالمية الأولى ، ضد تركيا وألمانيا ، وفرضت الحماية على مصر ، وعزلت الخديو عباس حلمى الثانى ، الخصم العنيد ، المؤيد للخلافة العثمانية فى إستنبول .. وبعزله تجاوز الإنجليز نظام وراثة العرش ، ولم يمكنوا ولى العهد الأمير محمد على منه .. ولا الأمير محمد عبد المنعم أكبر أبناء الخديو عباس حلمى أيضاً .. وتولى السلطان حسين كامل الحكم فى سنة ١٩١٤ ، أصبح ابنه الأمير كمال الدين حسين ولياً للعهد .

وبوفاة السلطان حسين كامل فى سنة ١٩١٧ ، تجاوز الإنجليز نظام وراثة العرش مرة أخرى ، ولم يتولاه ولى العهد ، وإنما تولاه السلطان أحمد فؤاد الأول ، الذى أصبح ملكاً بعد ذلك ، بقرار من سلطات الاحتلال — التى عينته — أيضاً .. وقد كان يحلم بإنجاب طفل يرث عرشه .. بعد أن اختطف الموت ابنه من زوجته الأولى ، الأميرة شويكار ، وقد تحقق حلمه ورزق بالأمير فاروق الأول ، فى ١١ فبراير ١٩٢٠ ، من زوجته الثانية نازلى صبرى ، « وأعلنت البشرى من قصر عابدين ، وأصدر الملك أمره إلى رئيس الوزراء بإعلان ولادة ولى العهد » ... « ولم تكن الخارجية البريطانية قد حددت بعد نظام وراثة العرش فى عهد الحماية .. لذا أراد

فؤاد وحكومته الحصول على حق فاروق في الولاية ، ولم يمض إلا حوالى شهرين حتى أبلغت دار الحماية قصر عابدين في ١٥ إبريل ١٩٢٠ أن الحكومة البريطانية نظرت في نظام السلطنة المصرية ، واعترفت بالأمير فاروق ونسله من الذكور على قاعدة الأكبر لمن الأولاد ، فالأكبر من أولاده ، وهكذا ، ليكونوا أولياء للعهد^(٤) .

« وسعد فؤاد بهذا الاعتراف ، وعلى الفور بعث ببرقية شكر إلى الملك جورج

الخامس ، الذي رد عليه بإيجاز مؤكداً سلطة بريطانيا » على مصرع^(٥) .

وبذلك « ضمن فؤاد لابنه العرش من بعده » .. وضمن تأييد « الدولة الحامية » أيضاً .. « وعقب تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ ، أصدر فؤاد أمراً في ١٣ إبريل من نفس العام بوضع نظام للتوارث على عرش المملكة المصرية ، ونص على أن تنتقل ولاية الملك من صاحب العرش إلى أكبر أبنائه ، ثم إلى أكبر أبناء ذلك الابن ، وهكذا طبقة بعد طبقة ، وانتهى إلى إثبات أن ولاية الملك من بعده لفاروق^(٦) » .

وفي ٢٨ إبريل ١٩٣٦ ، لفظ فؤاد أنفاسه الأخيرة ، وأصبح فاروق ملكاً على مصر ، وكان عمره (١٦) سنة ، وأصبح الأمير محمد على ولياً للعهد .

وكان الأمير محمد على من أشد أمراء أسرة المُلْك والحكم في مصر ولاءً للإنجليز ، وكان يحلم بالعرش ، ويكره فاروق ، ويتمنى ألا ينجب ولى العهد الذى سيحرمه من السلطة ، وسيخرجه إلى الهامش .. وكان فاروق من جانبه لا يطيقه .. وكثيراً ما أشاع أنه مات .. من باب المداعبة الثقيلة ، التى تعكس رغبة دفينه فى أعماقه .. ومع أن فاروق كان يكره رقم (١٣) ويتشائم منه ، فإنه كان يريد بأى ثمن أن ينجب ولى العهد ، بالرغم من أن ابنه سيكون ولى العهد رقم (١٣) فى أسرة محمد على باشا الكبير .

□ □

ولاجدال فى أن شوقه لولى العهد ، ضاعف من الأزمة التى بينه وبين فريدة ، ويبدو أنه كان مثل والده ، سينجب ولى العهد من زواجه الثانى .

(٤) و (٥) و (٦) المرجع السابق — ص ١١ ، ١٢ .

ولم يكن ذلك فقط وجه الشبه بينهما .. كانت هناك وجوه شبه أخرى ، كثيرة .. منها الرغبة في امتلاك ما في يد الغير .. والرغبة في الزواج من فتاة مخطوبة لرجل آخر ، وعلى وشك الزواج منه .. نازلى عبد الرحيم صبرى كانت مخطوبة لسعيد ابن شقيقة سعد زغلول ، قبل أن يتزوجها فؤاد .. وناريمان صادق كانت مخطوبة للدكتور زكى هاشم قبل أن يتزوجها فاروق .. لإنهما كانا يشعران أن أشهى النساء في يد غيرهم من الرجال .. وأن خطف المرأة من خطيبها متعة أكبر — ربما — من متعة الزواج بها . وقد كان فؤاد بخيلاً .. مفلساً .. لايسدد ديونه .. ويقامر بنقود غيره .. ويجب نساء غيره .. ومثله كان ابنه فاروق ، الذى كان مصاباً بمرض الكربومينا ، أو مرض السرقة .. ويروى لى ياسين سراج الدين أنه شاهد بنفسه واقعة اختفاء ولاعة من الماس ، لسيده أرستقراطية ، كانت تجلس على مائدة قمار الملك فى الحجرة المخصصة له فى نادى السيارات .. وكانت هذه السيدة هى زوجة صيدناوى باشا ، صاحب سلسلة المحلات الشهيرة التى لاتزال تحمل اسمه حتى الآن ، بالرغم من تأميمها^(٧) . ويضيف ياسين سراج الدين : إن الملك فاروق كان يملك متحفاً « للمسروقات الملكية » .. وفى هذا المتحف نجد سيوف ، ومسدسات ، ونياشين ، ومجوهرات ، وتمائيل ، وساعات ، وولاعات ، ونقود تذكارية ، وخناجر ، وآثار فرعونية ، وقطع إسلامية ، وكان الكثير من هذه المقتنيات يخص توت عنخ آمون ، وجده محمد على باشا ، وعزيز المصرى ، وجورج لطف الله ، وشاه إيران رضا بهلوى ... وغيرهم من المشاهير ، والأثرياء .

إن مرض السرقة ، كان التطور الطبيعى لشعوره بحب الاقتناء ، وحب الاقتناء يدفع إلى الإعتداء على حقوق الآخرين ، وممتلكاتهم ، ونسائهم . وقد أزعج ذلك فريدة ، وجعلها تصر على الطلاق .

وفى ١٩ نوفمبر ١٩٤٨ — وبينما مصر مشغولة بحرب فلسطين — صدر بيان رسمى من الديوان الملكى ، يعلن طلاق فاروق وفريدة .. وتضمن البيان إعلان طلاق الأميرة

(٧) حوار مسجل معه جرى فى بيته بالجيزة مساء يوم ٢٤ يوليو ١٩٩١ .

فوزية ، شقيقة فاروق ، وشاه إيران محمد رضا بهلوى ، وكان السبب غير ا
كذلك ، هو عدم إنجاب الأميرة المصرية ولياً لعهد التاج الإيرانى ، وفى ذلك ال
كانت ابنتها الأميرة شهناز من الامبراطور الإيرانى قد تجاوزت ثمانى سنوات .
وعقب إعلان نبأ طلاق فريدة .. انفجرت « المظاهرات فى جميع أنحاء القطر
واحدة ، كأنها اندفعت كلها بزر كهربائى واحد .. وسارت مدارس البنات :
فى أسيوط وفى المنيا والقاهرة وطنطا والإسكندرية هتافات واحدة : لاملكا
فريدة !.. حذاء فريدة فوق رأس الملك !.. خرجت من بيت الدعارة إلى
الطهارة » (٨) .

وهكذا .. خرجت المرأة الطاهرة الوحيدة فى حياة فاروق .. وبعد حوالى
بدأ يفتش عن الزوجة الثانية .. وكان ذلك مسألة هامة لأكثر من سبب .. و
« غطاء » شرعى لنزواته .. تهدئة خواطر المصريين الذين أزعجهم طلاق فريد
وقبل كل ذلك وبعده .. الحصول على « رحم » قادر على أن ينجب له ولى العه
عقدة العرش المزمنة !.

وقد حُلّت هذه العقدة بالفعل .. وجاء الأمير أحمد فؤاد الثانى .. ولى العهد
(١٣) والأخير فى أسرة محمد على باشا الكبير .. فكان لابد أن تقول له فريد
« مبروك » .. حتى لاتتهم بالحق والغيرة ، والغيب .. وكان لابد أن يرد عليها ف
بكلمة : « شكراً » حتى يستثمر اسمها وسمعتها فى تجميل اسمه وسمعته .

□ □

وقد طار فاروق من الفرع عندما تسلم برقية فريدة .. ويقول عم الملك
مذكراته : إن فاروق استدعاه تليفونياً ليلحق به فى نادى السيارات ، قائلاً : «
تيجى علشان عندى خبر مهم لك » .. وفى النادى قام بضربه على كتفه بقوة
ناولته البرقية ، وهو يقول له : « إيه رأيك بقى ياواد ؟ » .. وقرأ مصطفى
البرقية ، وسيطرت على ملامحه الدهشة .. فقال للملك : « حاجة كويسة خالص

(٨) أحمد بهاء الدين : فاروق ملكاً - ١٩٣٦ - ١٩٥٢ - روز اليوسف ، بدون تاريخ نشر ، وأغلب الظن أنه نشر ٢
ص ٥٧ .

ملك بسرعة : « حاجة كويسة إيه .. أنت عارف أنا مبسوط ليه .. دول كانوا
إننى السبب ، وإننى مبخلفش صبيان » ! .
جاءت البرقية — المفاجأة على العقدة القديمة .. وأزالتها ! .

نیشان إلى امرأة مجهولة !

فجأة .. صرخ الملك فاروق .

— فين حافظ عفيفى .. فين حسن يوسف .. شفوهم .. هاتوهم حالا !
كان ذلك فى اللحظة التى دخلت فيها فاريمان حجرة الولادة .. وقد تذكر الملك حافظ عفيفى رئيس الديوان ، وحسن يوسف وكيله ، ليقوما بالإجراءات اللازمة لإعلان ولادة ولى العهد .

وربما .. لاتعرف الأجيال الشابة التى وُلدت بعد ثورة يوليو ١٩٥٢ .. أن ديوان الملك ، أو الديوان العالى ، كان رئيسه بدرجة رئيس الوزراء .. وأن معظم من تولوا رئاسته أصبحوا رؤساء وزراء فى وقت من الأوقات ، مثل توفيق نسيم ، وعلى ماهر ، وأحمد زيور .. والديوان العالى كانت تتبعه ثلاث إدارات .. الإدارة العربية .. والإدارة الإنجليزية .. وإدارة المراسم .. ويمكن القول : إن الديوان كان حلقة الصلة السياسية بين الملك والحكومة .. وكان يمثل السلطة العليا فى الجهاز الإدارى للقصر .. وإلى جانبه ولكن بدرجة أقل ، كانت هناك « الخاصة الملكية » .. و « الأوقاف الملكية » .. وكانت الخاصة الملكية مسئولة عن إدارة أملاك الملك ، ورحلاته ، وسياراته ، ومطابخه ، وضيوفه ، وقصوره ، وشئون أسرته ، وتعليم أولاده ، وكان ناظرها بدرجة وزير ، ويتقاضى مرتبه من الملك .. أما الأوقاف الملكية ، فاسمها يدل على وظيفتها .. إدارة أوقاف الأسرة المالكة .

كان إعلان ولادة ولى العهد من أهم شئون الديوان ، وهذا ما جعل الملك منزعجاً من عدم وجود رئيسه ، ووكيله ، وقد اتصل الملك بنفسه ، تليفونياً بحافظ عفيفى ، فأيقظه من النوم ، وجاء على عجل ، وكان فى مكتبه فى الساعة السادسة صباحاً .. أما حسن يوسف فكان ثقیل النوم ، فلم يوقظه تليفون الملك ، الذى أخذ يسبه ،

ويلعنه ، ويهدد بطرده إذا لم يصل إليه قبل طلوع الشمس .

وفي ثورة الغضب قال الملك :

— لازم يصحى .. لازم يجى .. مين يعمل الإجراءات ؟

وفشلت كل المحاولات لإيقاظه .

« ولم يكن من الملك إلا أن استدعى أحد ضباط الحرس الملكي ثم قال له :

— روح بيت حسن يوسف فى الزمالك وأكسروا باب شقته وهاتوه .

واصطحب الضابط عدداً من عساكر المطافئ وجنود الحرس الملكي ثم توجه

إلى بيت حسن يوسف .. وتنفيذاً لتعليمات الملك قاموا بكسر باب الشقة ، ثم دخلوا

على حسن يوسف ليجدوه لا يزال نائماً .. وفوجيء حسن يوسف والضابط بهزه

من كتفيه وهو فى سريره ، ثم طلب إليه أن يستيقظ ليذهب إلى القصر بناءً على

أمر الملك^(١) .

□ □

قبل حوالى الشهر كان الديوان قد اتخذ التدابير المعتادة لاستقبال المولود ، فى

الحالتين .. ذكر أو أنثى .. لم يختار الديوان أسماء الذكور لأن الملك كان قد اختار

اسماً واحداً فقط ، هو « أحمد فؤاد » .. ولكن الديوان أعد قائمة بأسماء الإناث تبدأ

بحرف الفاء ، وكان من بين الأسماء المقترحة : فضيلة ، وفاطمة ، وفوز .

وكان أكثر أسماء الإناث ترجيحاً اسم فضيلة .. والمدحش أنه الاسم الذى اختاره

أحمد فؤاد فيما بعد .. بعد (٢٥) سنة لزوجته الفرنسية الجنسية ، اليهودية الديانة ،

بعد أن أشهرت إسلامها ، وتزوجها ، وكان اسمها الأصلى دومينيك فرانس بيكارد .

□ □

بعد دقائق من ثبوت الرؤية ، وخروج الملك من حجرة الولادة ، أبلغ نبأ

« تشريف » ولى العهد إلى الديوان ، وطلب إليه إعداد الأمر الملكى الذى يبلغ إلى

رفعة رئيس الوزراء ، وقد وقعه الملك فور إعداده .

(١) جميل عارف : المصدر السابق — ص ١٤٢

« أمر ملكي رقم (٢) لسنة ١٩٥٢ .

بتبليغ ميلاد حضرة صاحب السمو الملكي الأمير أحمد فؤاد ولي العهد السعيد .

حضرة صاحب المقام الرفيع رئيس مجلس الوزراء .

أحمد الله تعالى ، حمد مُعترفٍ بنعمائه ، وأشكره شكراً كفيلاً برضائه سبحانه من إله كريم ، استوهبنا طمعاً في فضله فأجزل العطاء ، واستمنحنا أملاً في كرمه ، فمنح بسخاء ، فقد وهب لنا وهو ذو الفضل العظيم ، في الساعة الثالثة والدقيقة الثانية العربية من صباح يوم الأربعاء الثامن عشر من شهر ربيع الآخر سنة ١٣٧١ هجرية ، الساعة الثامنة والدقيقة العشرين الإفرتجية من صباح اليوم السادس عشر من شهر يناير سنة ١٩٥٢ ميلادية ، مولوداً ذكراً أسميناه أحمد فؤاد تيمنا باسم المغفور له والدنا العظيم وكان ذلك بقصر عابدين العامر .

وقد صارت له ولاية العهد على عرشنا وفقاً لأحكام الأمر الملكي الصادر في

١٣ من إبريل سنة ١٩٢٢ ، والمادة (٢٢) من الدستور .

لذلك أصدرنا أمراً هذا إلى مقامكم الرفيع لإثبات هذا الميلاد في السجل الخاص بأولادنا ، المحفوظ برئاسة مجلس الوزراء .. ونشر هذا النبأ السعيد على جميع الوزارات والمصالح الحكومية وفي جميع أنحاء الوادي شماله وجنوبه واتخاذ إجراء إبلاغه رسمياً لجميع الهيئات السياسية ، الأجنبية بالمملكة ، وجميع سفرائنا ووزرائنا المفوضين في الخارج ، وكل من ترون إبلاغه ذلك .

أسأل الله العلي القدير أن يجعل هذا الميلاد فاتحة خير وإسعاد وبشير يُمن للبلاذ فيكشف عنها الضيق ، ويهيء لها أسباب التوفيق ، وأن يبارك لنا فيه ، ويحقق للوادي أكرم أمانيه ، إله أعظم مستول ، وأكرم مأمول ، وسلام الله وتحياته عليكم .

صدر بقصر عابدين في ١٨ ربيع الآخر ١٣٧١ .

رقم (٢) لسنة ١٩٥٢ - ١٦ يناير ١٩٥٢ (٢) .

فاروق

(٢) الوقائع المصرية العدد رقم ٧ - غير الاعتيادي - لسنة ١٢٣ ، بتاريخ ١٦/١/١٩٥٢ .

□ □

بعد أن وقع الملك هذا الأمر ، التفت إلى حسن يوسف قائلاً :

— يا حسن فين جواب الست اللي تبتأت بولى العهد ؟.

— دول كثير يامولانا .

— لا .. الست الأخيرة !.

كان الملك يقصد الخطاب الذى أرسله قنصل مصر فى « الكاب » إلى وزير الخارجية ، يقول له : إن سيدة من جنوب إفريقيا كتبت له خطاباً تقول فيه إنها رأت فى منامها أن الملك فاروق سيرزق بولى عهده ، وقد أرسل إبراهيم فرج باشا هذا الخطاب إلى الديوان الملكى فأسعد فاروق أن يراه ، وتذكر حاجته فى اللحظة المناسبة ، ولم يتردد فى أن يقول لوكيل الديوان :

— يا حسن .. لو عندكم عنوانها ابعتوا لها نيشان !

□ □

وقرر الملك أيضاً ، إطلاق لقب أمير الصعيد على ولى العهد ، وهو لقبه السابق قبل أن يتولى العرش .

« أمر ملكى رقم (٣) لسنة ١٩٥٢

بإطلاق لقب أمير الصعيد على حضرة السمو الملكى الأمير أحمد فؤاد ولى عهد المملكة المصرية .

نحن فاروق الأول ملك مصر والسودان .

بعد الإطلاع على القانون رقم (٢٥) لسنة ١٩٢٢ الخاص بوضع نظام الأسرة المالكة .. ونظراً لاستحسان نسبة إمارة ولى عهدنا إلى إقليم يضاف إليه ، تنوياً بمكانه بين أفراد الأسرة المالكة ..

أمرنا بما هو آتٍ :

١ — يطلق على ولى عهدنا الأمير أحمد فؤاد لقب « أمير الصعيد » .

٢ — على رئيس ديواننا تنفيذ أمرنا هذا .

صدر بقصر عابدين ، فى ١٨ ربيع الآخر لسنة ١٣٧١ ، ١٦ يناير ١٩٥٢ .

فاروق



وقرر الملك كذلك أن يرفع علماً خاصاً بولى العهد فوق القصر إلى جوار علم الملك ، ولكن رجال المراسم فى القصر اعترضوا وقالوا : « إن مرسوماً ملكياً كان قد صدر على أثر تولية فاروق العرش يمنع رفع علم الأمير محمد على توفيق ولى العهد إلى جوار علم الملك » .. وأضافوا : هذا لا يلىق من ناحية البروتوكول !.

فغضب الملك ، وصرخ فى وجوههم :

— بروتكول إيه .. وبتاع إيه !

وتدخل مصطفى صادق ، عم الملكة ، وقال :

— بسيطة .. جلالة الملك يطلع مرسوم جديد يلغى المرسوم القديم .. ونرفع علم ولى العهد .

وأسعد الاقتراح الملك .. وقال :

— والله فكرة .. يطلع مرسوم جديد فى الحال^(٤) .

يقول مصطفى صادق فى مذكراته التى صاغها جميل عارف ، إن الملك أمسك . بسماعة التليفون ، وطلب إلى حسن يوسف إعداد المرسوم الذى اقترحته .. وصدر المرسوم فى أقل من خمس دقائق .. ورفع علم ولى العهد إلى جوار علم الملك .. والحقيقة أن علم ولى العهد رفع ، ولكن بدون مرسوم .. فتصوص الأوامر الخاصة بولى العهد — وقد اطلعت عليها كاملة — لم تتضمن هذا المرسوم .

وقد كان لولى العهد ثلاثة أعلام :

١ — العلم الرسمى وهو على شكل العلم الوطنى « لونه أخضر وفى قلبه هلال وثلاث نجوم » محلى بالتاج الملكى فى الزاوية العليا لعود العلم ، وهو يشبه علم الملك غير أن شكله مستطيل ناقص ، ذو سنتين من الجهة البعيدة عن عود العلم .

(٣) الوقائع المصرية ، العدد رقم ١٠ ، غير اعتيادى لسنة ١٢٣ ، بتاريخ ١٩٥٢/١/١٦ .

(٤) جميل عارف : المصدر السابق — ص ١٤٥ .

٢ — اللواء البحري وهو أزرق اللون مستطيل الشكل وفي وسطه شعار الدولة الأكبر ، تحيط به قلادة نشان محمد علي ، وفي كل زاوية من زوايا اللواء تاج ملكي ، ذو سنين من الجهة البعيدة عن عود العلم .

٣ — العلم الجوي وهو على شكل مستطيل ناقص ذو سنين من الجهة البعيدة من عود العلم ومكون من أربع قطع مستطيلة بيضاء ، وخمس قطع مستطيلة خضراء ، وتحلى بالتاج الملكي في الزاوية المجاورة لعود العلم^(٥) .

وكان رفع أعلام ولي العهد — على هذا النحو — أولى الضربات الموجهة لولي العهد السابق الأمير محمد علي ، فراح يشهر بالملك فاروق وكان أول من شكك في أن ناريمان حملت بولي العهد قبل زفافها .

□ □

بعد ميلاد ولي العهد مباشرة ، اتصل قصر عابدين بكريم ثابت مستشار « الإذاعة » وأبلغه النبأ ، ولم تمر دقيقة واحدة ، حتى أذيع النبأ في « الراديو » .. وكان الإرسال الإذاعي عادة يتوقف في ذلك الوقت ، ولكنه استمر حتى جاء الخبر . وكان رئيس الحكومة مصطفى النحاس في فراشه ، يعطس من شدة « الزكام » ، عندما وصلته المفاجأة ، فتوجه على الفور إلى قصر عابدين ، مع وزير الداخلية فؤاد سراج الدين ، لتقديم التهنئة للملك ، ثم اجتماعاً مع حافظ عفيفي ، لبحث الإجراءات التي ينوي مجلس الوزراء اتخاذها في هذه المناسبة .

وفي الاجتماع غير العادي لمجلس الوزراء ، تقرر أن يكون يوم ميلاد ولي العهد عطلة رسمية .. وتقرر توزيع (٣٠) ألف جنيه على أسر الشهداء والمصابين في منطقة القناة .. وإعفاء طلبة الجامعات المصرية من المصروفات التي لم يسددونها .. وإطعام (١٠٠) ألف فقير بالبحر في جميع أنحاء البلاد .. ومنح (١٠) جنيهات لكل مولود ذكر وُلد يوم ١٦ يناير ، وكان عددهم في القاهرة وحدها (٦٠٠) طفلاً .. وإنشاء مؤسستين اجتماعيتين ، أحدهما في القاهرة ، والأخرى في الخرطوم .

(٥) صدر الأمر الملكي بتحديد شكل العلم البري لولي العهد لـ ٣٠ مارس ١٩٤٦ ، والأمر بتحديد شكل العلم الجوي في ١٧ يونيو ١٩٤٦ ، والأمر بتحديد شكل العلم البحري في نفس التاريخ .

ورصدت وزارة الأوقاف (٥) الآف جنيه لأعمال الخير .. وأطلقت وزارة الحرية مدافعها .. وصدر النطق السامى بإطلاق اسم الملكة ناريمان على مستشفى « الأنجلو سويس » فى الإسكندرية .. وأخرج الملك فاروق من جيبه (٥٠) ألف جنيه للفقراء .. وقامت الأميرة فريال بتوزيع الحلوى على الأطفال المساكين فى ملاجئ « مصر الجديدة » .. وتقرر أن يسمى مباريات « البولو » باسم « أحمد فؤاد » .. وافتتحت جمعية « نهضة المرأة » مركزاً لتوزيع اللبن على الأطفال المساكين فى الجزيرة . واحتشد فى القصر مئات من ضباط الجيش والطيران ، يتقدمهم الفريق محمد حيدر القائد العام ، لرفع آيات التهئة إلى القائد الأعلى .. الملك .. الذى وافق على أكبر حركة استثنائية للترقيات .

وصدر عن مجلس الوزراء بيان يقطر عذوبة :

« من مجلس الوزراء إلى شعب وادى النيل

فى هذا اليوم المبارك الذى تتطلع فيه البلاد إلى مجدها ، وتجاهد فى سبيل استقلالها ووحدتها ، يزف مجلس الوزراء إليها البشرى بمولد ولى عهد للفاروق ملك مصر والسودان ، وحفيد لفؤاد العظيم .

وإذا كان ميلاد الفاروق العظيم قد حل يوم صاحت مصر أول صيحة لحريتها ، فتنفألت بمولده الأغمر ، وجنت فى عهده أطيب الثمار فقد شاء الله ، تباركت آلاؤه أن يمن على البلاد بولى عهد مبارك الطلعة ، بهى الإشراف ، هو حضرة صاحب السمو الملكى الأمير أحمد فؤاد ، أمير الصعيد ، فيستقبله الوطن بأسره بغبطة ممتزجة بالأمل يحدوه ، والرجاء يملأ حناياه .. بأن يكون مولده مبشراً للوادر بتحقيق آماله وانتصاره فى جهاده ونضاله ، ومطلعا لحياة رغد وسعادة للشعب الوفى الأمين الحانى على عرش الفاروق العظيم الفخور بتاريخ أجداده الأكرمين ، وأن يقر بسموه عين حضرتى صاحبى الجلالة الملكين الكريمين ويمتعه فى عزهما وعهدهما بحياة سعيدة موفقة مديدة ، فيها للبلاد عزة ومجد ، وللوالدين العظيمين والأسرة الملكية الكريمة يمن وإقبال .

وإن مجلس الوزراء — وهو يزف هذه البشرى السعيدة إلى شعب وادى النيل ،

مصره وسودانه ليسعده أن يرفع إلى مقام حضرق صاحبي الجلالة الملك المحبوب
والملكة المعظمة والأسرة العلوية المبجلة أعمق آيات التبزيك ، وأصدق عبارات التهنية
بولى عهد البلاد ، ضارعاً إلى الله أن يجعل مولده مطلع خير وبركة وإسعاد على
أبناء وادى النيل أجمعين » .
رئيس مجلس الوزراء

مصطفى النحاس باشا

وأمر غبطة الأنبا مرقس الثانى بإقامة الصلوات والابتهاالات فى جميع كنائس القطر
صباح يوم الأحد التالى .. ليوم الميلاد .. وأصدر حاخام اليهود الأكبر حاييم ناحوم
أفندى ، أوامره إلى جميع المعابد الإسرائيلية بأن تتلى فى صباح السبت التالى ليوم الميلاد
المزامير والأدعية .

وظلت موسيقات الحرس الملكى تعزف الأناشيد والألحان أمام القصر ليل نهار لمدة
(٧) أيام ، وسبّح ميدان عابدين فى بحيرة من الأضواء الكاشفة ، الملونة طوال هذه المدة .

□ □

وفى ظهر يوم السبت ١٩ يناير ، حلقت أسراب من طائرات السلاح الجوى الملكى
فوق ميادين العاصمة ، وأخذت تنثر أكياس الحلوى على الناس ابتهاجاً بمولد ولى العهد ،
واختصت طائرة الهيلكوبتر الخاصة بالملك فاروق ، بهذه المهمة أمام قصر عابدين .. وقد
كتب على أكياس الحلوى عبارة : « إهداء بمناسبة البشرى السعيدة » .

فى الوقت نفسه ، ولكن فى قاعة الاستقبال الكبرى ، بداخل قصر عابدين ، أقيمت
المأدبة الملكية الأولى ، لأمرء الأسرة المالكة .. وكانت قائمة الطعام مكونة من :
مشهيات متنوعة .. بوريك باللحم والجبن .. دجاج محمر بعش الغراب .. بامية
خضراء على الطريقة التركية .. لحم حَمَل محمر .. بطاطس بالفرن .. سلاطة بلاد
الغال .. أرز طاس كباب .. مهلبية بصدور الدجاج .. فطائر .. حلوى .. وفواكة .
وقال الملك للأمرء : « عقبالكم .. عقبال عندكم » .

وبعد المأدبة أهدى الملك ضيوفه علماً ثمينة من الذهب الخالص تذكراً لمولد ولى
العهد .

وبعد (٤٨) ساعة بالضبط كان (٦٠) من رجال الدولة على المأدبة الملكية الثانية ،

على رأسهم : صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا ، وصاحب السعادة على زكي العرابي باشا رئيس مجلس الشيوخ ، وعبد السلام فهمي جمعة باشا رئيس مجلس النواب ، وأصحاب المعالي الوزراء .

وكانت المائدة تضم : « لانيجوست » على الطريقة الباريسية .. فطائر ملكية .. ظهر خمل على طريقة الأمير .. خرشوف .. فول بالزبدة .. ديكة فيومية محمرة .. بطاطس محمرة بالزبد .. سلطة متنوعة .. أرز في الطاجن .. بقلادة بالفستق .. مثلجات .. حلوى .. وفواكة .

□ □

ثم .. جاء يوم « السبوع » .. وفي هذا اليوم ، توقع الملك أن تخرج جماهير الشعب في مظاهرات ضخمة ، لتهنئته ، خاصة وأنه من المقرر أن يخرج ليطل عليها — بهذه المناسبة — من شرفة قصر عابدين .. وجاء بعض البشر .. وكانت هتافاتهم ضعيفة .. باهتة .. ولم تكن تعبر عن الفرح المتوقعة بمولد ولي العهد ، كما لم تكن تدل على أى حب وولاء .. على حد قول عم الملكة ناريمان .. وهو شاهد من أهلها .

ويضيف الشاهد الذى شهد كل شيء .. إنهم حملوا ناريمان على كرسى ثم قربوها من النافذة التى تطل على الميدان ووقف الملك إلى جوارها يراقب « هذه الجماهير التى لم تعبر أبداً عن أى حماسة لمولد ابنه » .. وقالت ناريمان فى دهشة « الميدان فاضى » !.. فأحس الملك بالغيظ .. ولم يبق أمام النافذة .. وانسحب إلى الداخل ، وهو يقول : « الميدان فاضى خالص » .

فقبل له : « يمكن الجيش منتظر أوامرك » .

فقال : « هو اللى عاوز يظهر شعوره يستنى أوامر »^(٦) .

وكانت عبارة « الجيش منتظر أوامرك » بداية مسرحية مدبرة للء فراغ الجماهير فكان « استعراض الجيش فى ميدان عابدين مظاهرة مفتعلة لإنقاذ الموقف » ، على حد قول مصطفى صادق ، الذى أضاف معترفاً : « أنا الذى أوعزت بتنظيم هذا الاستعراض » .

(٦) عارف : المصدر السابق — ص ١٤٧ .

وهذا يفسر لنا وصول القوات المشتركة في الاستعراض متأخرة .. في الساعة الثالثة بعد الظهر^(٧) وكانت تمثل أسلحة الجيش والبحرية والطيران .. وقدموا باقة من الورد يعلوها علم ولى العهد لرفعها إلى الملك .. ثم بدأ عرض القوات بأعلامها ، تتقدمها قوات من الخيالة ، فالقوات المدرعة ، فسلح الحدود ، فالمدفعية ، فالمشاة ، فالبحرية الملكية ، فالسلاح الجوى ، فسلح المهندسين ، فسلح الإشارة ، والصيانة ، وأخيراً الخدمات الحربية .

وخلال العرض كان الملك يطل من الشرفة التى تكشف الساحة الداخلية للقصر ، وقد أدت له القوات التحية العسكرية وعزفت الموسيقى ، السلام الوطنى ، ثم أنشدت القوات ، نشيد « حفظ الله الملك » ثم نشيد « ولى العهد » وقد أعد خصيصاً لهذه المناسبة .

وبعد العرض اصطف في الساحة الداخلية للقصر حوالى (١٥٠٠) ضابط من مختلف الأسلحة والرتب ، يتقدمهم الفريق محمد حيدر القائد العام ، والفريق عثمان مهدي رئيس الأركان ، وقادة الأسلحة المختلفة ، وهدف القائد العام بحياة الملك ، وردد الضباط الهدف ، ثم هدف بحياة الأمير أحمد فؤاد وردد الضباط الهدف أيضاً . ورد الملك التحية .. واستدعى حيدر باشا ، وأصدر له ما سُمى بالنطق الملكي السامى والكريم .. وقال « إني أهدي إلى جيشي في هذا اليوم أعز شيء عندي هو ابني » .

وأذاع حيدر باشا النطق الملكي إلى الضباط بواسطة ميكبرات الصوت . وبينما كان الضباط يتلقون النطق السامى ، الكريم في الخارج ، كان الملك في الداخل ، وقد تخلص من ملابسه الرسمية ، يشعر بالقلق القديم ، يعاوده .. لقد تصور أن القلق سيدوب بمجرد أن يأتي ولى العهد .. ولكن .. ذلك لم يحدث .. فقد أدرك في ذلك اليوم أن لا أحد يحبه .. لا الشعب الذى لم يأت .. ولا الجيش الذى جاء بالأمر ، ومقابل التريقات الاستثنائية .. كان في أعماقه يشعر بأن ولى العهد لن ينقذ العرش .. وأن العد التنازلى لنهايتها قد بدأ .. وأن نبوءة والده .. ستتحقق !!

(٧) جريدة الأهرام — ١٩٥٢/١/٢٣ — ص ٢ .



كيم .. وعملية « الزير السمين » !

في يوم ميلاد ولي العهد « السعيد » لم تكن مصر سعيدة . كانت أنفاس الغضب ساخنة .. مستعدة للإفجار .. تمهيداً للثورة التي كانت تتحرك في أحشاء البلاد في الوقت الذي كان فيه ولي العهد يتحرك في أحشاء أمه . وبينما كان ولي العهد يصرخ طلباً للحياة ، كان النظام الملكي قد بدأ يشعر بأعراض الموت .. تضللت شرايته السياسية .. تسمم الدم ببولينا الفساد .. نخر سوس الطائفية في نخاعه العظمي .. لم تستطع عمليات التجميل الدعائية والإعلامية إخفاء كرمشة الوجه .. وتسبب روماتيزم الحاشية الذي استقر في مفاصله في عجزه عن الحركة .. ولم يستطيع الأطباء والزعماء تقديم الدواء المناسب ، لأنهم كانوا أصلاً مجموعة من المقاولين ، والوسطاء ، والسماسرة ، لا يهمهم أى شيء إلا نسبة العمولة .

لقد كانت مصر في ذلك اليوم حبل بالتمرد ، وتحلم بالتغيير ، وتسعى إليه ، وكانت قد يأست تماماً من أطراف الصراع الثلاثة على السلطة .. الإنجليز والقصر والأحزاب .. وكان كل من فيها يشعر بأنها تجلس على فوهة بركان على وشك أن يفتح فمه ، ويقذف من داخله شلالات اللهب .. وكان الجميع في حالة ترقب .. يسكون بساعاتهم في انتظار ساعة الصفر ، دون أن يعرفوا ما الذي سيأتى في هذه الساعة .

كل شيء يدفع إلى الترقب .. ويشير إلى أن حكم الملك فاروق تجاوز فترة الصلاحية .. وأنه لم يعد مناسباً للاستعمال الآدمي .. وأن السخب السوداء تتجمع فوق رأسه وأن الزمن توقف طويلاً — حتى تصوروا أنه مات — أن له أن يتحرك . كانت الصحف تتحدث عن معركة انتخابات مجلس إدارة نادى ضباط الجيش .. أول نجاح غير معلن لتنظيم الضباط الأحرار .. فقد فاز في هذه الانتخابات مجموعة

من الضباط اشتركوا — بعد حوالى ستة أشهر فقط — فى إسقاط النظام وإجبار الملك على التنازل عن العرش ، ومغادرة البلاد .. على رأسهم اللواء أركان حرب محمد نجيب بك ، القائد — الواجهة لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ — وأول رئيس جمهورية .. ومنهم الصاغ (رائد) أركان حرب جمال حماد ، واليوزباشى (نقيب) أمين شاکر ، واليكباشى (مقدم) جلال ندا .. أكثر من ذلك كان منهم البكباشى أركان حرب محمد رشاد مهنا ، الذى أصبح الوصى على العرش ... عرش الملك أحمد فؤاد الثانى .. الذى كان لا يزال ملكاً فى « اللفة » .. إن هؤلاء الضباط كانوا نجومًا ، تنشر الصحف صورهم ، وتتحدث معهم ، دون أن تتخيل أنهم رموز لحركة سرية ، فى الجيش ، تستعد للانقضاض على السلطة .

وحسب استفتاء أجرته مجلة « آخر ساعة » وظهرت نتائجه يوم ميلاد ولى العهد ، حول أقوى (١٠) رجال فى مصر ، فى ذلك الوقت ، فإن هؤلاء الرجال الأقوياء كانوا بالترتيب : محمد صلاح الدين باشا وزير الخارجية .. الدكتور عبد الرازق السنهورى رئيس مجلس الدولة .. وحسن المصطفى بك المرشد العام للإخوان المسلمين .. مصطفى النحاس باشا رئيس مجلس الوزراء .. والدكتور عزيز فهمى عضو مجلس النواب .. وأحمد حسين رئيس الحزب الإشتراكى .. وفؤاد سراج الدين باشا وزير المالية والداخلية .. وحافظ عفيفى باشا رئيس الديوان الملكى .. وأحمد نجيب باشا السياسى المعروف .. وأخيراً .. صاحبة العصمة زينب هانم الوكيل حرم مصطفى النحاس .

□ □

أما أشد الأحداث الوطنية ضرواة ، فكان الصراع الشرس الدائر فى منطقة القناة بين الفدائيين المصريين ، وقوات الإحتلال البريطانية .. وقد نجح الفدائيون فى قطع طرق المواصلات على قوات الإحتلال ، وحرموها من الوصول إلى مخازن التموين الرئيسية فى التل الكبير .. وراح الجنود الإنجليز يفتحون النيران — من باب الإنتقام — على الأهالى .. وراحوا ينبشون القبور فى « عرايشية » مصر بحثاً عن الأسلحة .. واعتقلوا — فى يوم ميلاد ولى العهد — (١٥٠) وطنياً بينهم عدد من النساء

والأطفال .. واقتحموا بعض المنازل في بلدة كبريت وجنيقة ، بعد أن حطموا أبوابها واستولوا على آثارها ، وهددوا أصحابها بإطلاق النار إذا حاولوا الاقتراب منهم . وبينما كبار رجال الدولة يتناولون طعام الغداء على مائدة الملك بمناسبة ميلاد ولي العهد ، يوم الاثنين (٢١) يناير ، كانت تجرى في الإسماعيلية معركة عنيفة بين القوات البريطانية والأهالي ، اشتركت فيها الطائرات لأول مرة ، واعتدى الإنجليز على مسجد فاروق هناك ، واحتلوه ، واقتحموا دارق المحكمة والنيابة ، وعبثوا بالملفات والقضايا .. وفي اليوم نفسه ، طالب ونستون تشرشل الغرب ، وعلى رأسهم الولايات المتحدة ، بالتدخل العسكري لاحتلال القناة .

وكان الإنجليز قد أطلقوا النار على راهبة أمريكية ، تدعى الأخت « أنطوني » واتهموا المصريين بقتلها ، وكان الهدف هو اقناع الولايات المتحدة بدعم التدخل العسكري لاحتلال القناة .

وبينما الملك يحتفل بسبوع ابنه ، أعلن السفير الأمريكي جيفرسون كافري : « أن السفارة الأمريكية لم تصل إلى نتيجة حاسمة لمعرفة مصدر الرصاصة التي قتلت الأخت أنطوني من راهبات دير سان فان دي بول في مدينة الإسماعيلية يوم السبت ١٢ يناير » .

وفي ذلك اليوم .. قرر الأمريكان التدخل سراً لتغيير النظام في مصر ، ولتحريرها من قبضة بريطانيا ، بشرط أن تقع في أحضانهم .

فكان أن وضعت وكالة المخابرات المركزية « الأمريكية » الخطوات النهائية في خطة العملية السرية المعروفة في ملفاتها باسم « الزير السمين » ! .
وكان المقصود بالزير السمين ، الملك فاروق شخصياً !!

□ □

أما الذى أطلق الاسم فهو رجل مخابرات نحيف ، يرتدى ثياباً تقليدية ، ويضع على عينيه عدسات طبية ، ويبدو وكأنه أحد علماء الذرة .. هو « كيرميت روزفلت » أو « كيم » كما كان يُدلى .. وقد كان مسئولاً عن قسم « الشرق الأوسط » في المخابرات المركزية .. وفي الفترة ما بين نهاية الحرب العالمية الثانية ، وبداية حرب

السويس ، كان الشخصية الرئيسية للمناورات التي تُدبر في الكواليس لهذه المنطقة .. ومن ثم كان على علاقة مباشرة ، وحميمة بأبرز نجوم تلك الفترة ، مثل فاروق ومحمد نجيب ، وجمال عبد الناصر ، ومحمد حسنين هيكل ، ومصطفى أمين .
وفي ملفه الشخصي أنه حفيد الرئيس الأمريكي « تيودور روزفلت » .. وُلد في فبراير سنة ١٩١٦ في مدينة « بونيس آيرس » .. درس في جامعة « هارفارد » .. أصبح أستاذاً لمادة التاريخ في جامعة « كاليفورنيا » .. انضم إلى إدارة الخدمة الإستراتيجية — التي كانت نواة المخابرات المركزية — في سنة ١٩٤٣ .. كان مجال نشاطه منطقة الشرق الأوسط — التي أصبح مسئولاً عنها في وكالة المخابرات المركزية بعد تأسيسها في سنة ١٩٤٦ — وكان مركزه الرئيسي في بيروت .. وبحكم دراسته الأكاديمية كان عمله في القسم الثقافي بالسفارة الأمريكية هناك ، وكان ذلك « غطاءً » مناسباً له .

في سنة ١٩٤٤ — وكان عمره (٢٨) سنة — عمل مساعداً لأستاذ جامعي آخر ، كان يعيش في لبنان هو د . تيتيفن بنروز ، الذي أصبح فيما بعد مدير الجامعة الأمريكية في بيروت .. ولم يمر وقت طويل حتى أدرك أن تحريك الأحداث في الظلام والخفاء يجذبه ، ويثيره ، ويستهو به أكثر من البحث وجمع المعلومات الجافة .. وفيما بعد اعترف في مذكراته بأنه كان يجد « لذة » لاحد لها في أعمال المخابرات الغامضة والسرية .. إن خجله وخوفه من الإساءة لسمعة أسرته الأرستقراطية ، جعلاه لا يقدر على ارتكاب الأفعال الطائشة المعتادة للمراهقين .. فلم يدخن سيجارة .. ولم يطلب فتاة للرقص .. ولم يَقلد سيارته بجنون .. ولم يقرأ رواية محرمة .. ولم يتصفح مجلة ممنوعة .. باختصار حرموه من عيوب المراهقة .. وهذا الحرمان جعله يتعامل مع المؤثرات السرية — فيما بعد وهو مسئول في المخابرات — وكأنه يتعامل مع امرأة لها سيقان « مارلين ديتريش » ونعومة « مارلين مونرو » ، وشخصية أمه الطاغية .. جعله يقلب النظم السياسية باستمتاع لم يصل إليه في علاقته الزوجية .. إنها تلك الرغبات الصغيرة المكبوتة ، التي حولته من أستاذ جامعي طيب إلى متآمر شرس ، بارد الدم والأعصاب^(١) .

(١) أشهر العمليات التي تُنسب إلى « كيريت روزفلت » هي العملية التي دبرتها المخابرات الأمريكية للإطاحة بحكم الدكتور عماد -

إن الإفراط في التفاصيل الشخصية لكيرميت روزفلت ، سببه أنه كان أخطر شخصية تنزل مصر ، في ذلك الوقت الذي كانت تستقبل فيه ولي العهد .. وكانت الصفة التي يستقبله بها الملك هي : « المستشار السياسي للرئيس الأمريكي » ، وكانت هذه الصفة مدونة في جواز سفره أمام خانة المهنة .

إنه الشخصية — المفتاح التي أغلقت باب مصر في وجه بريطانيا ، وفتحت في وجه الولايات المتحدة .. وقد كان صديقاً للملك فاروق وكان يزوره كثيراً في قصره كلما كان في القاهرة ، وكان يستمع إلى غضبه المكتوم من الإنجليز الذين أهانوه ، وكان يقوم بتطبيب خاطره قائلاً :

— بعد الحرب يا جلالة الملك ستقوم حقبة جديدة ، ستعم مصر فيها بسيادة حقيقية ويكون جلالتكم فيها « أول حاكم لأول دولة مصرية حرة منذ ألفى سنة » (٢) .

ولكن .. بعد مقتل الراهبة الأمريكية في الإسماعيلية ، تحول هذا الكلام الناعم إلى عمل جاد ، بأمر من آلن دالاس ، رئيس وكالة المخابرات المركزية الذي وافق على عملية « الزير السمين » ، فاستعد كيرميت روزفلت للتنفيذ .. وخلال فترة الاستعداد كانت الأحداث تجري في مصر إلى الهاوية ، وتعرضت القاهرة — بعد (١٠) أيام فقط من ولادة ولي العهد السعيد — إلى الحريق .. فضعف ذلك من الإصرار على تنفيذ العملية .

وهبط « كيم » في شهر فبراير ١٩٥٢ إلى القاهرة ، ولكن سرّاً هذه المرة ، وكان كل مايراهن عليه هو الود القديم الذي يحمله فاروق له .. وفي المطار ، سُمح بنزوله قبل أن يتحرك باقي ركاب الطائرة من مقاعدهم .. وتقدم منه شاب مهذب أخرجه

= مصدق في إيران ، في منتصف شهر أغسطس سنة ١٩٥٢ ، بعد تأميمه البترول الإيراني .. وتُعرف هذه العملة باسم « سوبر أجاكس » ، وانتهت باعتقال د. مصدق وعودة الشاه إلى الحكم ، بعد أن هرب إلى سويسرا .. وتكلفت العملية حوالي ٢٠ مليون دولار ، ولكن الأهم أن الشاه أصبح بعدها مديناً للمخابرات الأمريكية باستمرار عرشه ، فكان أن سيطرت على بلاده حتى قيام الثورة الحكومية ، وطرده إلى مصر حتى مات فيها بالسرطان .. لمزيد من التفاصيل ، نقتح الرجوع إلى كتابنا « عبد الناصر — الحروب الخفية مع المخابرات الأمريكية » . الناشر : الدار العربية . القاهرة — ١٩٨٩ .

(٢) مايلز كوبلاند : اللعاب واللعبة — بدون اسم مترجم — دار الحمراء بيروت — ١٩٩٠ — ص ١١٩

من دوائر الأمن والجمارك بسرعة .. وحملت السيارة التي أفلتها « الشعارات الملكية » .. وغطت نوافذها الستائر .. وعندما توقفت ، وجد كيم نفسه في استراحة الملك المطلعة على الأهرام .

وخلال حوار مع فاروق ، اقترح كيم عليه أن يستعيد ثقته بنفسه ، وأن يخفف من بدائنه ، وأن يزيل الأوهام التي علق بسيرته كنوع من « التجميل » السياسى ، قبل أن يقود البلاد إلى ثورة سلمية ، تطرد الإنجليز ، وتخفف من قسوة الاقطاع ، وتفرض ضرائب تصاعدية على الأرباح الرأسمالية .. ولا مانع من القليل من العدالة الإجتماعية ، مادام ذلك سيؤدى للتقليل الثورة الشيوعية الحمراء في مصر .

وسأله الملك عن البداية ؟

فأجاب روزفلت : « إن مصر دولة إسلامية ولا يمكن أن تحكمها دون أن تبنى الشعور الدينى عند شعبها .. إن هذا الشعور سيحميها من الخطر الشيوعى ، وسيحمى عرشك مما يهدده الآن ، ومع التخلص من الفساد ، ووجود مساحة أكبر من العدالة الإجتماعية ، سيضعف الشعب من حبه لك ، ويمكنك أن تستمر فى الحكم دون متاعب » .

إن روزفلت يحكم فهمه لمنطقة الشرق الأوسط ، والعوامل التى تحكمها ، وتؤثر فيها ، لم يكن من الصعب معرفة أن الأديان السماوية التى انطلقت منها ، هى أخطر هذه العوامل على الإطلاق ، وكانت خطته للسيطرة على فاروق تتلخص فى لفت نظره إلى خطورة ذلك .. ولا مانع بأن يتشبه بالخلفاء ، وأمراء المؤمنين .. ألم يطلق عليه والده اسم الفاروق إعجابا بعمر بن الخطاب ؟ .. ومع أن الخطأ كانت مثيرة للدهشة ، وربما للسخرية أيضا ، فإن روزفلت لم يتردد فى تنفيذها ، فنحن فى الشرق .. وطن المعجزات ، وألف ليلة وليلة .. وألف ليلة وليلة بالنسبة لنا ليس مجرد كتاب أسطورى نتسلى به قبل النوم وإنما أسلوب حياة ونظرية حكم وبرنامج سياسى .. مفرداته متنوعة ، متناقضة ولكنها تصب فى النهاية فى شريان واحد هو الذى يغذى العقل .. الخلافة .. الجنس .. شهر يار .. الحريم .. شهر زاد .. الثأر .. الشرف .. لقمة العيش .. الحشيش .. الطربوش .. المسيحة .. المسجد .. النشوق .. التكية ..

الأضرحة .. الدراويش .. الأدعية .. القهوة التركية .. السياف .. والحاكم الذى يحكمنا بأمره ويقول إنه يحكمنا بأمر الله .. هذه هى المفردات الأولية التى التقطها روزفلت قبل أن يسعى إلى تفجير معجزة تحويل الملك فاروق من زير سمين إلى ولى من أولياء الله الصالحين .

ولمدة أسبوعين حاول روزفلت إقناع فاروق بخطته ، ولكنه فشل .. والسبب أن فاروق كان « خفيف العقل » ، أو بعبارة أخرى لم يكن « من ذوى الأوزان العقلية الثقيلة » على حد وصف روزفلت نفسه^(٣) .

وكان روزفلت قد لاحظ أن الملك كان يوافق على اقتراحات العلاج التى مستنقذ عرشه ، ثم يحتفى فى اليوم التالى عن الأبصار ، فى نزوة من نزواته ، ينس فيها العرش ، وروزفلت ، والمخابرات الأمريكية .. أى أن سامية جمال أو كاميليا ، مثلاً ، كانتا أقوى عليه من الخطط والأحلام ، والثورات السلمية على الطريقة الأمريكية .. فسحر المرأة أحياناً أخطر من أجهزة المخابرات .

إن الملك فاروق الذى كان يريد ولى عهده بأى ثمن ، لتوريثه العرش ، لم يسعَ إلى أن يحافظ عليه ، أى أنه جاء بولى العهد ، وفرط فى العرش .. لقد كان العرش بلا ولى عهد من صلبه ، فأصبح ولى العهد الذى من صلبه بلا عرش ..

ومع أن روزفلت نفى يديه من فاروق — وذهب يبحث فى اتجاه آخر — فإن فاروق — عندما شعر باندفاع الطوفان ناحيته قرر اللعب باحدى الأوراق التى أوحى بها إليه المخابرات الأمريكية .. ورقة التدين الصورى .. ففى ٦ مايو ١٩٥٢ نشرت الصحف بياناً لنقيب الأشراف السيد « محمد البيلاوى » ، يقول فيه : إن نسب فاروق يرجع إلى السلالة النبوية من ناحية جده لأمه « محمد شريف » .. وجاء هذا الإعلان بعد أن طلب فاروق من وزير الأوقاف « حسين الجندى » ، وناظر الخاصة الملكية « مراد محسن » ، وغيرهما تشكيل لجنة من المشايخ لبحث هذا النسب . وحصل الملك على ما أراد مقابل التبرع للأزهر ، ومقابل خلع الرتب والنياشين

(٣) المصدر السابق — ص ١١٩

على من ضحكوا على أنفسهم ، وعلى الناس ، ومنحوه « خليفة المسلمين » ، واستهزأ الناس باللقب ، ووصفوا صاحبه بأنه « خليفة المسلمين في أوبرج الأهرام » ، بعد أن قالوا عنه .. « ملك مصر والسودان وسامية جمال » .

وبعد قرابة الشهر ، غادر روزفلت القاهرة إلى واشنطن ، وهو مؤمن بأن « لا مجال للعمل العقلاني في مصر طالما بقي فاروق متربعا على العرش » .. والمعنى .. أنه لا بد من الاطاحة بفاروق والبحث عن بديل مناسب له .. وهكذا .. في الوقت الذي كان فاروق سعيذاً بولى العهد ، قرر الأمريكان — القوة العظمى الوليدة بعد الحرب العالمية الثانية — التخلص منه .

□ □

ويمكن أن نجد صدى أفكار وخطة روزفلت في مقال مصطفى أمين الذى نشره تحت عنوان « ولى العهد » فى مجلة « آخر لحظة » .. الملحق اليومى لمجلة « آخر ساعة » .. « سيكون أول صوت يسمعه ولى العهد هو صوت هذا الشعب الذى ينادى بالحرية ويطالب بالجلاء . فولى العهد يُولد فى نفس الظروف التى وُلد فيها الفاروق .. فقد وُلد الملك أثناء الثورة ، وشب وهو يسمع صوت هذا الشعب المؤمن بحقه ، المطالب بحريته ، ولكن ثورة اليوم أهم من ثورة الأمس ، فالشعب لا يريد الحرية فقط ، بل يريد أن تقترن الحرية بالإصلاح ، وأن يقترن الإصلاح بالديمقراطية ، وأن تقترن الديمقراطية بالحكم « الاشتراكى » ، النزيه .

وإننا نرجو أن يكون مولد ولى العهد بداية عهد جديد لهذا البلد ، وأن تُولد معه النهضة ، وينمو معه الإصلاح ، وتكبر معه حرية هذا الشعب .. إننا نرجو أن يكون مولد ولى العهد فاتحة عصر جديد يُسَدل فيه ستار على الماضى كله ، وتفتح البلاد فيه صفحة جديدة ، تتفق مع أمانيتها ، وأن تحكم مصر حكما قوميا وطنيا لا استبداد فيه ولا طغيان ، ولا محسوبية ، ولا فساد ، وأن تكون المساواة كاملة ، والعدالة موفورة ، والدستور مستقراً ، وأن تكون المثل العليا محترمة ، وأن تكون نهضة مصر ، نهضة صحيحة ، شاملة لجميع وجوه الإصلاح .

إن مولد ولى العهد هو مولد أمل ، سيتحقق بإذن الله . ولقد عشنا السنوات

الطوال في انتظار هذا الأمل ، مؤمنين أن هذا الشعب الكريم العظيم ينتظر عهداً جديداً ، عصراً مشرقاً ، تتحقق فيه أمانيه في الجلاء ، أمانيه في الإصلاح ويسترد فيه حقه المسلوب في حياة كريمة .

مصطفى أمين

١٧ يناير ١٩٥٢

□ □

وفي اليوم الذي وُلد فيه ولي العهد ، كانت دموع المصريين تفيض أنهاراً على الشهداء الذين سقطوا برصاص الإنجليز في مدن وقرى منطقة القناة .. وكان أشهرهم الطيار أحمد عصمت ، الذي كانت جنازته مظاهرة وطنية ، طافت شوارع القاهرة وهتف فيها المشيعون بسقوط الخونة ، وداسوا صورة فاروق بالأحذية .

وقبل ساعات من هذا المولد كان مجلس الوزراء قد قرر حذف (١.٢) مليون جنية من ميزانية الحكومة ، كانت موجهة إلى مشروعات وخدمات هامة تمس حاجة الشعب ، مثل أغذية التلاميذ في المدارس .. مشروعات الري .. تكرير البترول في السويس .. المجارى .. المستشفيات .. التعليم الجامعى .. وتوزيع الأراضي المستصلحة على المعدمين .

وكالعادة ، لم تتردد الطائفية في استثمار هذه الظروف لصالحها ، فقفزت فوق السطح ، وراحت تنهش بأظافرها وأنيابها الحادة ، والسامة ما تبقى من جسد هذا الوطن الممزق ، والضعيف .. وكانت آخر انتصاراتها ، تخريب كنيسة في مدينة السويس قبل (١٢) يوم فقط من ميلاد الأمير أحمد فؤاد .. وفي يوم مولده ، كان مصطفى النحاس يزور البطرك ، وعبر عن أسفه واستنكاره للحدث .. وأكد أنه لن يسمح للعابثين بافساد جو « الاتحاد والائخاء » بين عنصرى الأمة .. وفي اليوم التالى قال مفتى الديار المصرية السابق ، الشيخ حسنين مخلوف في بيان مطبوع : « إن بيننا وبين إخواننا الأقباط أخوة رحيمة في الوطن ، وشركة في جميع المرافق ، وتشابك في جميع المصالح ، ووحدة في اللغة والعادات واتحاد في الأمل ، والآلام ، بل امتزاج كامل ، فيما عدا العقيدة .. والدين لله وحده .. والعبادة لله الواحد القهار .. »

وأصدر شيخ الأزهر ، الشيخ « إبراهيم حمروش » بياناً آخر ، طالب فيه المصريين بالوحدة الوطنية .. وأضاف : « هذه مصر بلادكم العزيزة ، ووطنكم المحبوب تتاديكم جميعاً ، شيباً وشباناً ، رجالاً ونساءً ، أقباطاً ومسلمين ، أن تكونوا سهاماً مسددة نحو عدوها » .

وفي مواجهة الفساد — الذى كان مثل غوريلا تزداد توحشاً — راحت الحكومة تتحدث عن قانون لمحاسبة ومحاكمة الوزراء ، وقانون آخر هو قانون من أين لك هذا ؟ .. وأعلنت صحيفة « أخبار اليوم » عن جائزة مالية ضخمة لمن يرشد عن حالات الفساد .. إبحث عن الفساد الذى غطى كل شيء فى مصر .. وكأن الفساد قاتل محترف ، يؤدى القبض عليه إلى الإصلاح فوراً .. كأنه ليس إفرازاً طبيعياً لنظام فقد عقله ، وراح يحكم بغرائزه .

ولم تنجح مسابقة « أخبار اليوم » بالرغم من أن الملك ساهم فى تمويل جائزتها المالية بخمسة آلاف جنية .. فالتاس كانت تعلم أنه رأس الفساد .. فكانت نكتة أن يمول الفاسد الأكبر حملة للقضاء على الفاسدين الأصغر .. وشاعت فى تلك الأيام نكتة أخرى تقول : إن سيدة من الطبقة الأرستقراطية ، سألت النحاس باشا :

— هو قانون هاكازاكا ماطلعش ليه ؟

فقال لها : هاكازاكا فى اليابان يا هانم .

ولكنها أكدت أن هاكازاكا قانون مصرى .. وظهر أنها تقصد من أين لك هذا ؟ إن مصر كانت فى أسوأ حالاتها وهى تستقبل ولى العهد .. إحتلال .. فساد .. رشوة .. طائفية .. فقر .. قهر .. عهر .. ومن ثم ، لم تفرح بمولده .. ولم تتفاعل .. ولم يسعدها أكياس الحلوى التى تنزل من السماء .. ولم تخرج لتهتف بحياته .. فماذا يكون ابن فاروق سوى صورة من أبيه ؟ .. وقد كانت مشغولة أكثر بكفاحها ضد الإنجليز فى منطقة القناة .. وكان الملك يقاتل فى سبيل اعتراف من بريطانيا العظمى بأنه « ملك مصر والسودان » .

وحاولت أجهزة الدعاية ، والصحافة المنحازة إلى الملك أن تربط بين ما يجرى فى القناة ، وتشريف ولى العهد ، فميلاده بشرى من السماء .. وآية على حد قول

الصحفى المشهور فى ذلك الوقت محمد توفيق دياب .. الذى كتب فى « الأهرام » يقول :

« وُلد ولى العهد وجهاد الوطن فى طوره الحاسم فجاء ميلاده آية (٤) كانت المقادير قد بخلت ببزوغ نجمه المرتجى سنوات ، حتى يتحول نومنا يقظة ، وهزلنا جدا ، ونكوصنا إقداما وعزما .

فلما ألفت المعاهدة ، وارتخت مصر الفتية أرواحها الغالية فى سبيل الحياة ، لا يردّها عن مطلبها الحق تخريب ديار عامرة ، ولا سفك دماء طاهرة ، ولا أن ينازل مائة من الذئاب البريطانية واحدا من الأشبال المصرية ، أو أن ينازل ألفاً منهم عشرة منا ، على ما فى أيدي الذئاب من مصفحات ودبابات تستطيع دك إيمان هذا الشباب القدائى ، المستميت ، الذى لا يكاد يُشيعُ إلى دار الخلود شهيداً حتى يطلب الشهادة مكانة مئات من إخوانه الأبرار .

لما تحولت مصر الفتية على هذه الصورة الرائعة من نوم إلى يقظة ، ومن هزل إلى جد ، ومن نكوض إلى عزم وإقدام ، تحول بخل القدر سخاء وجوداً ، فمن عليها ، وعلى صاحب عرشها المفدى بهذا النجم الملكى السعيد ، وكأن الغيب قد حفظه كنزاً مذكوراً يهديه لمصر يوم تستحقه بوثبتها الكبرى وعملها الجيد . أجل لما استحق الوطن بجهاده الحاسم رعاية القدر ، رعاه القدر ، فأنعم عليه وعلى مليكه بحضرة صاحب السمو الملكى الأمير أحمد فؤاد ولى العهد وأمير الصعيد » .

محمد توفيق دياب

١٨ يناير ١٩٥٢

وبعبارات أكثر نعمة .. يكتب فكرى أباطة فى مجلة « المصور » :

« استقبل الدستور المصرى ركنا من أركانه وعنصراً من عناصره وضييفا من ضيوفه : هو أحمد فؤاد ولى العهد وأمير الصعيد .. واعتز الملك ، واعتزت الملكة

(٤) كان عنوان المقال — ميلاد آية .

بأعز أماليهما بعد أن صبر « الوالد » الصبر الطويل الكريم ، وتمنت « الوالدة » أن
يشرح الله صدر « الزوج » بهذا الأمل الذى حققته عناية الرحمن .
وهكذا يملأ « المولود » العزيز منصبا من مناصب الدولة ، ويتأهل حتى يكبر
ويتعرع ليقوم بمهامه الملكية وواجباته الدستورية إن شاء الله .
والوافد الزاحف يفد فى أنبل ظرف ، وأروع فترة ، فهو ابن الكفاح ، وابن
الثورة ، وطليلة الاستقلال والحرية فى شعب مجيد ، وضد عدو أليم^(٥)
فكرى أباطة

٢٥ يناير ١٩٥٢

□ □

وفى يوم ميلاد ولى العهد كان حديث المجتمع ، سفر الراقصة السمراء سامية جمال
إلى تكساس ، مع خطيبها الأمريكى ، المسيحى ، شبارد كينج الذى غير اسمه إلى عبد
الله كينج .. وفى مدينة دالاس ، سُئل مستر كينج :
— كيف يتزوجها وهى مسلمة وهو مسيحى ؟
فقال : لا مانع عندى ولكن المانع عندها هى ، إذ ينبغى أن أعلن إسلامى .
— وهل هذا أمر سهل ؟

— ليس أسهل من ذلك فى مصر كما علمت من سامية .. أشرب فنجان قهوة
تركى مع شيخ من رجال الدين ، أو أى شئ من هذا القبيل وأوقع على قسيمة ،
وحينئذ أصبح مسلماً .. فالإسلام فنجان قهوة مع واحد شيخ ، والسلام عليكم !
وعلى مسرح الريحاني كانت تعرض مسرحية « لزقة انجليزى » .. بينا كانت فرقة
المسرح الحديث تقدم مسرحية « حورية من المرنج » .. لإخراج زكى طليمات .. أما
أكثر الأفلام نجاحاً فكان فيلم « الثمر » بطولة أنور وجدى ، ونعيمة عاكف ، وإخراج
زوجها حسين فوزى .
وكانت جوارب النايلون معجزة نسائية .. وشراب كينيلكس لعلاج الملاريا ..

(٥) عنوان المقال : ولى العهد .

وسمسون أكستر سيجارة شهيرة .. وشاى زوزو يرضى المزاج .. ويلمونكس ضد الكحة .. وعندى الراديو الألمانى القوى .. و« خذنى بعارى » الفيلم الأجنبى الذى كان الاقبال عليه واضحاً .

وكانت الجائزة الأولى من يانصيب مستشفى الملك فؤاد الأول بالإسكندرية — وقدرها خمسة آلاف جنية — من نصيب عامل مصعد بعمارة ، يعقوبيان بشارع سليمان باشا ، اسمه عبد المقصود سيد فرج ، وقد أخذ اليانصيب — وثمنها (١٠) قروش — بقشيشاً .

ووصفت الصحف الساخرة عبد المقصود فرج بأنه « أمير اليانصيب » . وهو الآن أمير سابق مثل ولى العهد .



وفى يومه العاشر .. احترقت القاهرة !

كانت المأدبة الملكية الثالثة بمناسبة مولد ولى العهد لضباط الجيش والبوليس من مختلف الرتب ، فى الساعة الواحدة والربع ، بعد ظهر يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٢ . وفى ذلك الوقت كانت القاهرة ... تتهرق .

فى اليوم السابق وجه الملك فاروق دعوة عاجلة إلى قائد الجيش ، وكبار ضباط حامية القاهرة ، وكبار بوليسها ، لحضور المأدبة ، وكان عددهم (٨٠٠) ضابطاً .. وحسب أوامر الملك ، كان الحضور إلى القصر فى الساعة (١٢,١٥) للتجمع وتسجيل الأسماء فى سجل التشريفات ، ثم الانتظار فى ساحة قصر عابدين ، حتى يخرج الملك إليهم ، حاملاً وليده ، وولى عهده ، فيقدمون له التحية ، ثم يدخلون إلى القصر على مائدة الملك .. « وبينما القاهرة تتهرق ، كانت مراسم الاحتفال تجرى على النحو المرسوم لها بدقة » .. أى أن احتراق العاصمة لم يمنع الملك من الاستمرار فى الاحتفال .. وكان ذلك شيئاً مثيراً للدهشة ، وخاصة أن الحرائق فى القاهرة اشتعلت فى الساعة (١٢,٢٧) ، أى بعد تجمع الضباط فى ساحة القصر بنحو (١٢) دقيقة فقط ، وكان من الممكن محاصرة النيران قبل انتشارها ، وكان الذين فى يدهم إطفاء ألسنة اللهب ، والحفاظ على الأمن والنظام ، يهتفون — فى ذلك الوقت — بحياة الملك المعظم ، وولى عهده السعيد .

بل ... أكثر من ذلك ، دخلوا القاعة الكبرى ، وراحوا فى هدوء يتناولون اللانجوست ، والمهلبية المطبوخة بصدور الدجاج ، والسردين المدخن ، وألبان كيك . وعلى المائدة العامرة ، قال الملك : « فكرت اليوم فى إلغاء هذه المأدبة بسبب الظروف الطارئة ، ولكنى عدلت عن ذلك لما لكم فى نفسى من مكانة ، ولرغبتي فى أن أتحدث إليكم ، ولم أجد مناسبة للإجتماع بكم والتحدث إليكم خيراً من مناسبة

مولد ابني ولي العهد .

إن مكانتهم في نفسه كانت أكبر من مكانة عاصمة بلاده .. ورغبته في الحديث إليهم كانت أشد من حماسه لانقاذ القاهرة من الخراب والهاباب والسرقة والنهب . والمذهل أنه بعد ذلك أضاف : « ويهمني أن أوجه نظركم واهتمامكم لموضوع تدركون جميعاً أهميته ، وفائدته في النظام العسكري ، وهو موضوع « الضبط والربط » الذي أود أن تعملوا جاهدين لتقويته والتثبيت به » . . . « إنني أود أن يعرف كل ضابط وأجبه نحو وطننا العزيز ، ويؤدي هذا الواجب كاملاً غير منقوص » !

كان الملك يتحدث عن الواجب ، الكامل ، غير المنقوص ، في هذا الوقت بالذات ، الذي حرم فيه ضباط الجيش والبوليس والمطافئ والمرور وبلوكات النظام — الذين يتحدث إلى قياداتهم — من القيام بهذا الواجب .. مع أنه — كما أضاف — يعرف « أن البلاد تجتاز مرحلة دقيقة ، وقد تمر بها مرحلة أشد وأقسى .. فليذكر كل فرد منكم هذه الحقيقة ليكون مستعداً دائماً لأداء واجبه عندما يدعى له » . وكأنه يريد أن يقول : اتركوا القاهرة تحترق ، ولا تدخلوا لانقاذها إلا عندما نطلب منكم ذلك .. فقط كونوا مستعدين دائماً لتنفيذ ما تؤمرون به .. هذه أصول الضبط والربط .

وللإنصاف فإنه اهتم بتفسير ما يجري ... « أما ما يحدث اليوم في البلاد من شغب ، فلا يفيد منه إلا أعداء الوطن ، ويجب أن تصدر جميع أعمالنا عن تدبر لا عن ارتجال ، فلكل شيء وقته ، ولكل عمل مناسبه ، وعندما يطلب من أى ضابط أن يقوم بواجبه فأنا أعرف تماماً أنه سيسارع إلى أداء ذلك الواجب ، كما أدرك تماماً شعورك ، وأعلم أن كل ضابط يدخر جهده للوقت الذي يدعوه فيه داعي الوطن » !

ولم يشأ الملك أن تمر هذه الفرصة دون الاشادة بنفسه وبأجداده .. فقال : « وقد مضت بلادنا ستين عاماً وأكثر تكافح الإستعمار . وأنا سليل بيت أصله من الجنديّة ، وقد جاهد أجدادي في سبيل مجد مصر وقوتها ، وكانت أمنية المغفور له والدي —

وهى أمنيته من بعده — أن تنال مصر كافة حقوقها .. فلتكن هذه الغاية نصب أعينكم دائماً ، ولتكن أعمالنا جميعاً متجهة إلى بلوغها !
وأنبى الملك نطقه السامى قائلاً : « وهناك مسألة أخرى هى توافر الوثام وتبادل المحبة بين جميع الضباط فيكونون قلباً واحداً وصفاً واحداً ، قبلتهم جميعاً مجد الوطن وسلامته .. وأحب أن يبلغ الحاضرون منكم رغبتى هذه إلى من لم تسمح لهم الظروف بالحضور »^(١) .

□ □

بدأ الحريق فى عز الظهر بحرق كازينو بديعة ، ثم سينما ريفولى ، ثم سينما راديو ، فكازينو أوبرا ، ثم توالى الحرائق حتى الساعة (١١) مساءً .. والتهمت (٧٠٠) محل وسينما وكازينو وفندق ومكتب ونادى .. « أكلت قلب القاهرة ، وامتدت من ميدان الأوبرا إلى الاسعاف ، إلى ميدان رمسيس ، إلى التحرير .. حتى الظاهر والعباسية .. وشارع الهرم »^(٢) .

ووصف قائد مطافئ مصر حينئذ بأنه « لم يسبق حصول حرائق مثل هذه فى أى بلد فى العالم .. فى وقت واحد .. ومعتمدة » .
« وأسفرت حوادث ذلك اليوم عن (٢٦) قتيلاً ، احترق منهم (٢٢) شخصاً ، وقتل أربعة برصاص البوليس ، وأصيب (٥٥٢) شخصاً بجروح وحروق ، وتشرد (٢٠) ألف شخص .. وقدرت الخسائر بأربعين مليون جنية استرلينى ، أو مائة مليون جنية مصرى » .

والثير للدهشة .. أن الجماهير فى القاهرة ، كانت تتفرج بهدوء ، ودون أن تهتز عندما اشتعلت النيران فى الفنادق ، والكازينوهات .. ولم تهتز .. ولم تتحرك ... وكأنهم كانوا « يتفرجون على عرض أو حفل سينمائى » .. وخارج نطاق مناطق النيران .. « كانت الحياة العامة تسير سيرها الطبيعى » .. وأظهر السكان « قليلاً من

(١) نص النطق الملكى كما حفظته سجلات ديوان كبير الامناء بقصر عابدين ، بتاريخ السبت ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢ .

(٢) جمال الشرقاوى : أسرار حريق القاهرة فى الوثائق السرية البريطانية — دار شهادى — ص ٢٣١ .

الإكتراث ، أو عدم الإكتراث » ... وكانت « الدكاكين الصغيرة على الأقل مفتوحة ويجرى التعامل فيها » .. وكانت حركة المرور — حتى بالقرب من النيران ، تحت تحكم رجال المرور^(٣) .

أما المثير للريبة فهو أن الحكومة طلبت من الملك تدخل الجيش للسيطرة على الموقف في القاهرة .. وماتل الملك ، ثم وافق .. وفي الساعة السادسة مساءً نزل الجيش إلى شوارع القاهرة ، وجرب لأول مرة سهولة السيطرة على الحياة المدنية .. وكان من بين الضباط الذين تحكموا في مداخل ومخارج العاصمة ، جمال عبد الناصر ، ورفاقه في تنظيم « الضباط الاحرار » .. الذين وجدوا أنفسهم يجرون « بروفة » حية ، بملابسهم وأسلحتهم الكاملة ، لما سيفعلونه بعد أقل من (٦) أشهر فقط . واجتمع مجلس الوزراء والدبابات تسد الشوارع ، وأعلن الأحكام العرفية .. وبعد ساعة واحدة ، تلقى مصطفى النحاس باشا من القصر خطاب إقالة وزارته من الحكم .. وكانت الوزارة الأخيرة للوفد .. ثم .. بدأت لعبة الكراسى الموسيقية .. أو الحكومية .

جاءت حكومة على ماهر وهى ترفع شعار التفاوض مع الإنجليز .. ولم تستمر إلا حوالى الشهر .

ثم جاءت حكومة أحمد نجيب الهملاى ، وهى ترفع شعار « التطهير ثم التحرير » ، وأغلب الظن أن هذا الشعار كان الخطوة الأولى فى تنفيذ خطة « كيرميت روزفلت » التى كانت بمثابة « مكياج » لتجميل صورة الملك ، تمهيداً لقيامه بثورة سلمية ، تحرم القوى الراديكالية وعلى رأسها الإخوان والشيوعيين ، من الوصول إلى الحكم .. وكان السفير الأمريكى جيفرسون كافرئ يؤيد وجود الهملاى فى الحكم .. ولكن .. الإنجليز كانوا ضده .. فنشروا فى صحيفة « الديلى اكسپريس » ، فى يوم ٧ يوليو ١٩٥٢ أن ممثلين عن الملك فاروق ، قبضوا نيابة عنه فى جنيف مليون جنية ، لطرد حكومة الهملاى .. الذى أدرك أن شعار التطهير الذى ترفعه حكومته لا يمكن أن يتحقق ، لأن

(٣) جمال الشرقاوى : المصدر السابق — ص ١١٨ و ١١٩ .

الفساد الذى يخاربه يمس الملك نفسه .

ثم جاءت حكومة حسين مرسى .. ولكنها أمام استهزاء الناس منها لم تبقَ في الحكم أكثر من شهر .. ولم يجد الملك مفرأ من إعادة الهلالى إلى السلطة مرة أخرى . ولكن .. إعادة الهلالى لم تقنع السفير الأمريكى بإعادة دعم بلاده السياسى للملك .. وكان قد تقرر البحث عن بديل له .. وكانت مهمة إيجاد البديل هى مهمة ضابط مخابرات أمريكى شاب ، سيلمع اسمه في الشرق الأوسط فيما بعد هو « مايلز كوبلاند »^(٤) .

لقد ترك له كيرميت روزفلت هذه المهمة ، التى كانت — كما شرحها في كتابه الأخير « اللاعب واللعبة » — البحث « عن زعيم مسلم ، قادر على سحر الجماهير ، ويكون رجلهم في مصر » .. بشرط أن لا يوجه مشاعره الدينية تجاه أمريكيا .. ولا تجاه الدولة « العبرية » في إسرائيل .. ولكن .. لأن المشاعر الدينية يجب أن توجه إلى « شيء » ما لتحريك الجماهير ، كان لابد من « خلق » هذا الشيء بحيث يكون أشد هولاً وتهديداً من الدولة العبرية ، والسيطرة الأمريكية .. الشيوعية مثلاً .. إنها يمكن أن تكون « العدو البديل ، المناسب ، والمقبول » .

وفي رحلة البحث عن « الهدف » استعان كوبلاند ، بصديقه القديم « ناصر الدين النشاشيبي » ، الصحفي الفلسطينى الأصل ، الذى يعرفه جيداً منذ كان يعمل في دمشق .. وكان يسميه « نصرى » .

وقد طاف كوبلاند ونصرى بأحياء القاهرة القديمة .. شارع الأزهر .. الغورية .. الحوارى الخلفية لمسجد « الحسين » رضى الله عنه .. والأماكن القريبة من مسجد « السلطان حسن » .. وفي مكان منها ، قاما بزيارة « جحر ميلو » .. وميلو من أصل يوغسلافى ، شاذ ، ومشعوذ .. اشتغل مخبراً — في الحرب العالمية الثانية — لدى أجهزة تجسس مختلفة .. وعندما انتهت الحرب وضع نفسه في خدمة البوليس السياسى

(٤) مايلز كوبلاند هو الذى كان عليه تمثيل دور جمال عبد الناصر في « لعبة الأمم » .. واللعبة باختصار هى أن يجلس مجموعة من ضباط المخابرات الأمريكية — بعد أن يتقمص كل منهم دور زعيم من زعماء العالم — على مائدة ، ويتصرفوا كما لو كانوا الزعماء الحقيقيين ، مما يتيح التوقع بالأحداث قبل وقوعها .

المصري ، الذى سمح له بالاقامة فى « قصر بناه أحد أمناء بيت المال أيام المماليك » فى القرن الخامس عشر .. وكان هذا القصر — أو جحر ميلو — يحتل بغرف وممرات وأروقة سرية ، أو مخفية استخدمها البوليس السياسى فى أنشطته غير المشروعة .. مثل التهريب والخطف والحبس واستجواب الجواسيس .. أما باقى الغرب فتركزت لميلو كى يحولها إلى ما أسماه « المربع الليل لكافة المذاهب » .. « حيث يمارس المشعوذون وأصحاب المذاهب العجيبة طقوسهم أمام السواح الأجانب ، هذا إلى جانب مذاهب أخرى « مؤقتة » يخترعها ميلو بنفسه لمزيد من الإثارة والتسلية »^(٥) .

ودخل كوبلاند والنشاشيبي جحر ميلو .. وفى تلك الليلة كانت « الفرقة » الرئيسية فى البرنامج ، حلقة « ذكر » لفرقة دراويش تهتز على إيقاع « طبلة » ضئير .. بينما السواح « يوشفون النيذ المصرى » ، على ضوء الشموع ، وكأنهم فى ملهى ليل وكانت الفرقة تلف حول نفسها وكأنها — بلغة اليوم — فى صالة ديسكو ، وهى تردد « الله حى » وأحيانا كان أحدهم يصرخ « أذكروا الله » .. « بغية إثارة نوبة جديدة من الشعور الروحى »^(٦) .

قال النشاشيبي :

— إن ذلك يكفى لصرف الاهتمام عن الظلم المتمثل فى إقامة دولة إسرائيل !
وسأله كوبلاند :

— ترى .. ما رأى هؤلاء فى التأيد الأمريكى لإسرائيل ؟

فأجاب النشاشيبي :

— لا رأى لهم .. إنهم مجانين .

ولم يكن من الصعب على رجل المخابرات الأمريكية — الذى يجيد اللغة العربية بمختلف لهجاتها — أن يفهم أن هؤلاء الفقراء يحاولون تحرير أنفسهم من صعوبة المعيشة فى بلادهم .. إنهم عاجزون عن التعامل مع الواقع ، ويريدون الابتعاد عنه ، والدخول فى عالم « غير مرئى » ، يتسم بالغيوبة ، أو « الوجد » ، وكأن من الأفضل أن يفقدوا عقولهم ، وانتمائهم إلى ما حولهم .. فالوعى يسبب لهم التباسا ، والانتفاء يفرض عليهم

(٥) و(٦) كوبلاند — مصدر سبق الإشارة إليه ، ص ١٢٠ ، وص ١٢١ .

المزيد من الأعباء .. والصوفية — ولو كانت على هذا النحو الخاطيء — تخفف من الألم ، والضغط النفسى ، والعصبية ، والاجتماعية ، والاقتصادية التى تحاصرهم من كافة الجوانب ، وليس صحيحاً أن هذا العالم يجذب الفقراء فقط وإنما يجذب أيضاً صفوة المجتمع من مهندسين ، ومحامين ، وأطباء ، وأساتذة جامعات ، وضباط كبار فى الجيش والبوليس .. ومن ثم فالكثير منهم ليسوا مجانين .

وذهب كوبلاند إلى ما وراء الكواليس ، وسأله شاب كان — قبل قليل — فى حلقة « الذكر » بأسلوب مهذب ، وبإنجليزية ركيكة : « هل تبحث عن المراهض ؟ » .. وقبل أن يجيب ، تقدم منه شاب يرتدى ثياب « الدراويش » ولكنه أمريكى ، وقال له : إنه شخص غير مرغوب فى وجوده « هنا » ، وأن عليه أن « يول فى مكان آخر » ، ثم انصرف بسرعة .

وعندما عاد كوبلاند إلى النشاشيبي ، روى له ما جرى من الشاب الأمريكى ، فقال النشاشيبي : « هل وصل الأمريكان إلى هنا ؟ » .. ثم انضم إليهما ميلو ، الذى تم تجنيده فى تلك الليلة ، وظل عميلاً للمخابرات الأمريكية حتى وفاته فى أوائل السبعينات .. « وقد قضى السنوات الأخيرة من حياته فى الإسكندرية ، يتقاضى بدل تقاعد شهرياً من وكالة المخابرات المركزية »^(٧) .

فى تلك الليلة أيضاً ، ولكن فى جناح كوبلاند — فى الطابق الأخير من فندق « سميراميس » القديم — كان الشاب الأمريكى قد سبقه إلى هناك ، وجلس أرضاً فى وضع من أوضاع « اليوجا » بالقرب من كرسى .. وأدرك كوبلاند بسرعة أنه زميل له فى الوكالة .

وبادره الشاب بالسؤال : « لم يقل لك فوكوايز أن تتركنى وشأى ؟ . وفوكوايز هو الاسم المستعار لكيرميت روزفلت فى الوكالة .. إذن هذا الشاب أحد رجال كيم » .. ورد كوبلاند على السؤال الهادى بسؤال غاضب : « قل لى بحق الجحيم ماذا تفعل أنت هنا ؟ » .. وكان لابد أن يتصارع العميلان .. لأن هدفهما فى النهاية واحد .

(٧) المصدر السابق : ص ١٢٢ ، ١٢٣ .

وقال الشاب — الذى أطلق عليه كوبلاند اسم روبرت :
— إن الملك فاروق أخذ أفكار روزفلت ، وسعى إلى تنفيذها بمفرده .. وأنه
راح يعمل سراً مع زعماء الإخوان المسلمين لإحداث انقلاب تسيطر عليها الحركات
الأصولية » .

وكان روزفلت قد أقنع فاروق بشراء الإخوان « بتقديم مبالغ كبيرة من المال إلى
حسن المضيى ، ولم يكن فاروق على علم كذلك بأن أموال الرشوة هذه تستخدم
لسد نفقات جانية تفرضها محاولة اجتذاب الجيش المصرى — بما فى ذلك تنظيم
الضباط الأحرار — إلى مخطط الإخوان الانقلابى عليه .. ولم يكن فاروق يعلم أيضاً
بأن « تلك الأموال فى حد ذاتها أدلة إضافية على مدى فسادة وإلحاده ، وذلك
أنه يحاول رشوة من اختاره الله » على حد تعبير روزفلت نفسه .

ويفهم من هذا .. أن روزفلت دفع فاروق لرشوة الإخوان .. وفى الوقت نفسه
أقنع الإخوان بضرورة التخلص من فاروق لأنه فاسد واستخدم الرشوة دليلاً على
صدق كلامه ، واستخدمها الإخوان لدعم ضباط الجيش فى قلب النظام الملكى .

□ □

إن هذه القصة المركبة من قصص كواليس ما بعد حريق القاهرة ، تفسر لماذا ترك
الملك القاهرة تحترق ، وهو يقدم ولى العهد إلى أكبر (٨٠٠) ضابط فى الجيش
والبوليس .. لقد ادخر جهدهم لمهمة أخرى غير مهمة إخماد مؤامرة حريق القاهرة ..
مهمة التخلص من الوفد .. حزب الأغلبية ، والصدام معه .

وكان التخلص من الوفد يتيح له اللعب بعيداً عن الدستور ، والبرلمان ، ومنحه
سلطة أكبر لتنفيذ ما يريد فى ظل الأحكام العرفية .. وكان مايريده هو استخدام الدين
كقناع يخفى وجهه ورائه .. ليلدو كمن يدخل مرحلة جديدة من حكمه .. أكثر
طهارة .. وقد تصور أن خطة الانقلاب من الداخل التى ينفذها ستدعم استقرار
العرش ، ليسلمه متيناً لولى عهده .. ولكنه .. لم يتخيل أن الذين اقترحوا عليه هذه
الخطة ، كانوا يسعون إلى تنفيذها ، فى مكان آخر ، بدونه ، وبواسطة قوة أخرى ..
الإخوان .. على اتصال قوى بالضباط الأحرار .

وقد كان فاروق فى ذلك الوقت يؤمن بأن الأمور يجب أن تصل إلى حافة الهاوية حتى يمكن إصلاحها بعد ذلك .. وفى مذكراته يقول أحمد مرتضى المراغى^(٨) : إن السلطنة ملك — زوجة السلطان حسين كامل التى كان فاروق يستشيرها فى الكثير من الأمور — اتصلت بالملك قبل حريق القاهرة بيوم واحد ، وقالت له : « إن البلد سائر إلى منزلق خطير ، وأن عليه أن يمنع ذلك » .. قال لها فاروق : « أوافقك يا سيدتى .. لكن لابد من إيصالها إلى أخطر منزلق حتى يمكن إصلاحها بعد ذلك »^(٩) .

وهذا يفسر تقاعس فاروق عن دفع الضباط إلى الخروج من قصره لانتفاذ القاهرة .. فقد أراد إيصال البلد « إلى أخطر منزلق حتى يمكن — كما تخيل — إصلاحها بعد ذلك » .

وفى مذكراته أيضا يقول مرتضى المراغى — وزير الداخلية الذى عُين بعد الحريق .. أو يوم السبت الأسود : « كان غريبا أن وزير الحرية مصطفى نصرت ، أو وزير الداخلية فؤاد سراج الدين لم يدعيا إلى هذه الوليمة — يقصد الوليمة الملكية للضباط — ويستوقف النظر كثيراً أن الوليمة حددت بعد (٢٤) ساعة أو أقل من إرسال الدعوة ، وأن الدعوة لم تكن مكتوبة فى بطاقات أرسلت باليد أو بالبريد ، بل أبلغت تليفونيا إلى قائد الجيش ، الذى أبلغها بدوره إلى قواد الوحدات ، الذين أبلغوها إلى الضباط .. وأن الوليمة بدأت فى الوقت الذى أخذت فيه القاهرة تَحترق » .

« السؤال الثانى : هل كانت مصادفة بحته أن يدعى جميع ضباط حامية القاهرة إلى وليمة تحترق القاهرة فى اليوم المحدد لها ؟ والجواب على ذلك أنه يمكن أن تكون مصادفة ، لو أن الدعوة وجهت قبلها بعشرة أيام أو أسبوع على الأقل ، أو أن

(٨) بعد مرتضى المراغى من رجال الملك والانجليز ، وهو شاهد كان يعلم بواطن الأمور ، وكان مدير الأمن العام ، ثم محافظ الاسكندرية حتى ٢٦ يناير ، ووزير الداخلية فى ذلك اليوم ، وقد أشرف على كل تحقيقات حريق القاهرة ، وهذه الاقتباسات من مذكراته ، مأخوذة من كتاب جمال الشرفاوى — مصدر سبق الإشارة إليه .

(٩) المصدر نفسه — ص ٢١٦ .

يوم ٢٦ يناير هو مناسبة من المناسبات كعيد الجلوس (على العرش) أو عيد الميلاد (ميلاد الملك) أو عيد ميلاد ولي العهد (أو يوم سبوعه) ولكن يوم ٢٦ يناير لم يكن مناسبة من المناسبات «^(١٠)» .

ثم سؤال آخر ، وهو : لماذا اقتضت الدعوة على حامية القاهرة فقط ، ولم يُدع كبار ضباط حامية الإسكندرية ، أو القنال ؟ .

« وأخيراً أليس من الغريب أن تكون الدعوة إلى جميع الضباط من صغار الرتب ، وهو ما لم تجر عليه العادة في القصر الملكي »^(١١) .

و ذات يوم اتصل حافظ عفيفي بمرتضى المراغي ، وطلب مقابلته .. فقابلته .. وما إن سلم رئيس الديوان وجلس حتى قال ضاحكاً و غليونه في فمه :

— إنت تاعب نفسك كثيراً في موضوع حريق القاهرة .

— وهل هذا عجيب ؟ فأى شيء أخطر منه ؟

— هذا شيء انتهى وفات .. والبلد لها مسائل أخرى كثيرة تستحق النظر أكثر ..

أرجو أن تقفل ملف حريق القاهرة .. هذا رجاء يا باشا .. وأنت حر !

— يا حافظ باشا .. هل هذا رأى شخصى أم هو رأى الملك ؟

— لا تنس يا باشا أنني رئيس ديوانه^(١٢) .

□ □

ولو صح ذلك ، فإن الملك يكون قد استخدم ولي عهده ، الطفل الرضيع — الذى لم يزد عمره عن (١٠) أيام — فى تنفيذ سياسة إصلاح الأمور بعد دفعها إلى الهاوية ، فقد كان الأمير الصغير ، هو الذريعة التى لجأ إليها الملك للإعتقال المهذب الذى جرى للضباط فى قصره ، والقاهرة تحترق .

ومهما كانت دوافع الملك فى ذلك اليوم الأسود الدامى ، الحزين ، والكئيب ، فإن المصريين اعتبروا ولي عهده — الذى لم تُطفأ حرائق القاهرة بسببه — فالأ سيئاً ، ونذير شئوم .

(١٠) و (١١) و (١٢) المصدر نفسه — ص ٢١٥ — ص ٢١٦ .

ولكن .. من ناحية أخرى كان يوم حريق القاهرة « هو اليوم الذى يمكن اعتباره
النهاية التاريخية للنظام الملكى فى مصر وللقوى الإجتماعية والساسية التى تعاونت معه
ابتداء من تطبيق دستور ١٩٢٣ وحتى يومها .. ولكن النهاية الفعلية للنظام لم تخبىء
إلا بعد ذلك بستة شهور ، صباح ٢٣ يوليو « (١٣) .

لقد بكى — فى ذلك اليوم — الأمير أحمد فؤاد .. ولكن .. لا أحد استطاع أن
يفسر هذا البكاء ، أو يفسره .. هل كان يبكى من مغمص فى أمعائه ، أم كان يبكى
على عرشه وعرش أجداده ؟ .

(١٣) محمد حسنين هيكل : ملفات السويس — الأهرام — القاهرة — ١٩٨٦ — ص ١٢٦ .



زوج ملكي .. بالسكة القلية !

حسب ما قرره البرلمان في سنة ١٩٣٦ ، فإن مرتب ولى العهد (٥٠٠) جنية في الشهر — أى (٦) آلاف جنية سنوياً — لا يستحقه إلا عند بلوغه السابعة .. ويزداد المبلغ إلى (١٢) ألف جنية سنوياً عندما يبلغ سن الرشد .

ولكن .. الملك فاروق تجاوز القانون والبرلمان واللوائح المالية ، ورفع مخصصات ولى العهد إلى (١٠٠) ألف جنية سنوياً .. وهى قيمة مخصصاته كملك أيضا .. وأمر أن تدفع له وهو لا يزال فى « اللقة » .

وفيما بعد .. خفضت حكومة الثورة هذا المبلغ إلى (٧٦) ألف جنية ، ثم خصمت منه مرتب الأوصياء الثلاثة على العرش — وهو (١٢) ألف جنية .. فأصبح المرتب الشهري للملك أحمد فؤاد ألفى جنية شهرياً فقط .

وقد تكلفت ملابسه وهو رضيع ، قبل الثورة (٨) آلاف جنية .. وقد أشتريت من محل « فيرون بلان » فى باريس .. وكانت لفافاته الداخلية من الحرير الخالص .. وقد طُرز التاج على كل لفافة منها .. مما أعطاه الحرية فى أن « يبول » عليه فى أى وقت يشاء دون أن يعاقب على ذلك بتهمة « العيب فى الذات الملكية » .. وهى جريمة كان من يرتكبها يستحق السجن مع الأشغال .

وكان الملك شديد الاهتمام بملابس ولى العهد الداخلية ، والخارجية ، حتى « إنه أوفد أحد مصممي الأزياء الإيطاليين من مصر إلى باريس ليشرف بنفسه على تنفيذ التصميمات المتفق عليها » .. وقد « دفع فاروق من ثمن ملابس ولده ستة آلاف جنية ، وبقي عليه أن يدفع الألفين الباقين ، ولكن طرده من عرش مصر حال دون الدفع ، فطالب محل نيرون بلان الحكومة المصرية بالمبلغ الباقي ، وقدم المستندات

التي تثبت حقه^(١) .

وتقول صحيفة « أخبار اليوم » : « إن الثمانية الآف جنيه كانت ثمن ملابس ولى العهد المستوردة فقط من محل واحد فى باريس .. « وفى سجلات السراى » مبالغ أخرى دفعت ثمناً للملابس الطفل ، واشترت من المحال المصرية^(٢) .

□ □

وبينا كانت القاهرة تحترق ، كان رجال الخاصة الملكية ، يجهزون جناح ولى العهد ، الصيفى ، فى التتزة بالإسكندرية .. وهو الجناح الذى ينام فيه ، هو ومريته السويسرية ، مس آن وشهد سيد ، أو مس جانيت دى ميو ، بالتناوب ، وكان الملك قد أحضرهما قبل الولادة ، لتشرقا على ولى العهد بعد ولادته .

وقد قامت الثورة ، وهو فى هذا الجناح ، فانتقل — مع باقى أفراد أسرته — إلى قصر رأس التين .. المقر الصيفى للملك .. الذى كان يدير منه شئون المملكة .. وكان ذلك فى ٢٥ يوليو .. أى قبل الرحيل بأقل من (٢٤) ساعة .

والجناح فى الدور الثانى .. عند مدخله كرسيان ومنضدية صغيرة وسجادة .. والمدخل يؤدى إلى باب ، والباب يفتح على حجرة المربية ، ومن حجرة المربية يمكن الدخول إلى حجرة ولى العهد .. الحجرة كبيرة ، واسعة ، لها بابان ، وأربع نوافذ تطل على البحر .. طلاؤها يغلب عليه اللون السماوى .. أما محتوياتها فكانت :

١ — سرير صغير مستطيل ذو حواجز خشبية ، عليه ناموسية من التل ، أما المرتبة والوسادة فقد صنعنا من الإسفنج السميك ، المستورد ماركة « أطلس » .

٢ — دولاب صغير إلى يسار السرير عليه لعب أطفال من الصينى والقماش والبلاستيك الناشف الذى كان يُسمى باغة .

٣ — دولاب فوقه مرآة على شكل كرة ، ملونة ، وعليه بطاقة من البلاستيك تعزف الموسيقى إذا ما تحركت ، وأباجورة .. وفى داخل الدولاب فستانان من الأورجاندى الأبيض بالبرودرى ، المشغول بالدانتيل ، مثل فساتين البنات ، كان الأمير الرضيع

(١) و (٢) أخبار اليوم — ١٩٥٤/٥/٢٢

يلبسهما منعاً للحسد ، جرياً على عادة المصريين العاديين عند إنجاب الذكور ، بعد طول انتظار ، وبعد خلفة البنات .. وفي داخل الدولاب أيضاً (١٤) شماعة معلق عليها ثياب متنوعة ، مستوردة من باريس .. أما أرضية الدولاب فعليها طاقم ملابس داخلية من الحرير ، ودربية سرير ، ووسادتان من الستان ، وكيس به مادة جافة كالبحور ، يحدث رائحة عطرة .

٤ — بارافان .

٥ — شيفونيرة ذات ضلفتين بهما بشاكير للحمام ، وفي الدرج الأول من أدراجها الأربعة ، ثلاثة قمصان للنوم من الحرير المشغول في فرنسا ، وفي الدرج الثاني فرشاة من الحرير ، وفي الثالث قميص داخل من الحرير أيضاً ، وفي الرابع (٣٦) غيار داخل من القطن .. وعلى الشيفونيرة أربعة مربعات من البلاستيك الملون ، ولعب أخرى .

٦ — كرسيان عاذيان وثلاثة كراسي فوتيل .

٧ — دولاب كبير ذو أربعة مصاريع ، في أيمنها رفوف ، تحتها أربعة أدراج ، ومحتويات هذا الجانب ، غطاء أزرق للسرير ، وكوفرتة للسرير كذلك ، و (١٣) ملاءة من اللينون عليها التاج الملكي ، وكوفرتة صوف تريكو للشتاء ، وصندوق من الكرتون يحوى ملاءات مشغولة بالألوان ، للفراش .. أما المصراع الثاني فيقفل على مرآة وعلبة بودرة في القسم العلوى منه ، وعلى أدراج ثلاثة بها أدوات للحمام ، وطاقم أكل لواحد فقط ، هو من الفضة الخالصة .. وفي النصف الأيسر من الدولاب ، وهو ذو مصراعين ، ترى أربع فساتين معلقة على شماعات وقبعتين للشمس ، وثلاثة أطقم سرير .

٨ — وفي المسافة بين الدولاب والشيفونيرة منضدة مستديرة حولها كرسيان من نوع الفوتيل للأطفال^(٣) .

□ □

كان من المقرر أن تسافر ناريمان إلى الإسكندرية مساء ذلك اليوم لتشرف بنفسها

(٣) آخر ساعة — ١٩٥٢/٩/١٠ .

على اللمسات الأخيرة لجناح ولى العهد بقصر المتزة .. لكن .. حرائق القاهرة فاجأتها .. فبقيت إلى جانب فاروق فى القاهرة .. وهى تحتضن ابنها الطفل .. وبقيت فى جناح الملك فى الطابق الأعلى ، وهى ترتعد ، خوفاً من الهجوم على القصر .. وكانت تردد فى هysteria : « دول عاوزين يقتلونا ! ».

كان الملك يخشى أن يخسر دور القمار الذى لعبه فى يوم السبت الأسود ، ويحترق بنيران القاهرة التى لم يتدخل لإطفائها ، فأمر جنود الحرس الملكى أن يضربوا فى « المليون » كل من يحاول الاقتراب من القصر ، وطلب طائرة « هيلكوبتر » تكون فى عابدين ، وجاهزة — عند تأزم الأمور — كى يهرب بها .. ولكن .. كانت كل طائرات الهيلكوبتر فى « العمرة » .. أى كانت تحت الإصلاح .. ولم ينم الملك فى تلك الليلة ، إلا بعد أن سيطر على القاهرة تماماً .

واستراح الملك فى اليوم التالى .

وبعد عدة أيام وصل أنطونى بوللى من إيطاليا إلى القاهرة .. ومعه هدية مثيرة إلى الملك .. حسناء من بلاد الإسبجتى ، سرقت عقل الملك ، وجعلت لعبه يجف ، وحولت قلبه إلى قبلة موقوتة .

وعرفت ناريمان بالفضيحة .. لكنها .. ابتلعتها ، عندما اشترى فاروق سكوتها ، بالسيارة « الكاديلاك » التى وعدا بها فى شهر العسل .. بشرط أن تنجب له ولى العهد .. ولم يكن قد أوفى بوعده .. ولم تترك ناريمان هذه السيارة أبداً .. فقد صُودرت بعد قيام الثورة ، لأن الملك لم يشتريها من أمواله الخاصة ، وإنما اشتراها من مخصصات القصور الملكية ، وهى جزء من ميزانية الدولة^(٤) .

ولم يف الملك بوعده آخر ، وعد به ناريمان لو أنجبت ولى العهد ، هو شراء عقد زمر لها .. « بس شدى حيلك وجيى الولد »^(٥) .

وهذه المرة جعلتها لاتسكت عن نزواته .. فهى لم تقبض الثمن .. ويذكر عمها فى مذكراته : « إنه قبل أسابيع قليلة من الثورة كانوا يتناولون الشاى على ظهر

(٤) و (٥) جميل عارف — المصدر السابق ص ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٢ .

الباخرة المحروسة .. فجأة قال له الملك :

— أنت تأخذ ناريمان تروحها وأنا رايح أسهر ..

فاحتجت ناريمان ، قائلة :

— فى كل ليلة تسهر لوحده ، أنا لازم أروح معاك النهاردة ..

ونثار الملك وهو يصيح فى وجهها أمام الخدم والسفرجية !

— أنت حفضلى لزقة ليه ؟.. يا شيخه روحى جاكى داهية !

وانهارت ناريمان .. وطلبت الطلاق .. وأصرت عليه لمدة (١٠) أيام .. وكان ذلك

فى شهر يونية ، ثم ، اكتفت بأن يعتذر الملك لها أمام الخدم والسفرجية .. لكنه وافق

على الاعتذار .. ولكن .. فى حجرة النوم .. أى بعيداً عن الآخرين ، حتى أمها^(٦) .

□ □

ولو كان فاروق قد طلقها لطار صوابها ، فهى تعبد لقب «الملكة» ، وهى فى

عز إحساسها بالزهو ، والقوة ، بعد أن أنجبت ولى العهد .. وهو إحساس كانت تبالغ

فى إظهاره ، لإخفاء حقيقة مزيرة كانت تعرفها .. هى أنها أنجبت لفاروق الولد الذى

يريده .. وانتهت مهمتها فى نظره .. فقد كان يتعامل معها على أنها مجرد رحم .. أو

مجرد وعاء للإنجاب .. لا مجرد أنثى لها كيان أو شعور .. أو أى حاجات بشرية أخرى .

وقد كانت فتاة جميلة يوم خطبها الملك .. وإن كان كل شيء فى وجهها على حدة ،

لا يثير الانتباه إلا شفتيها .. وكانت قصيرة القامة ، ممتلئة ، وقد عوضت ذلك بالكعب

العالى ، وارتداء الفساتين ، الديكولتيه ، العارية ، الضاغطة على الصدر ، للفت الأنظار

إليه ، بعيداً عن أية عيوب أخرى .. مثل سحبة الأنف ، وضيق العينين ، واكتناز

الوجه .. وقد أسعدها أن تصورها الصحافة العالمية ، وهى بالمياوية ، فى شهر العسل ،

إلى جانب فاروق الذى كان مثل زير سمين بالفعل .. وكانت تبدو إلى جواره مثل

ابنته ، لامثل زوجته .. وكان فارق السن بينهما حوالى (١٥) سنة .

وهى فتاة من عامة الشعب ابنة حسين فهمى صادق ، سكرتير عام وزارة

(٦) المصدر السابق .

المواصلات .. « الذى لم يكن يتمتع بسيرة حميدة » .. وقد وصل « إلى هذا المنصب بفضل زوجته »^(٧) .

وكانت زميلة الأميرة فريال شقيقة فاروق فى المدرسة^(٨) .. وبصورة عامة كانت تُوصف بأنها « بلدى »^(٩) .. أى غير أرستقراطية ، ولا تنتمى إلى المستوى الاجتماعى العالى .

وكان يريد أن يتزوجها يوزباشى فى الحرس الملكى اسمه صلاح الشعرواى ، ولكن خطبها دكتور فى القانون اسمه زكى هاشم .. وفى يوم ما من شهر نوفمبر سنة ١٩٥٠ ، دخلت هى وخطيبها محل الجواهرجى أحمد نجيب لشراء خاتم الخطوبة .. وكان أحمد نجيب هو جواهرجى الملك ، ومن الذين كلفهم الملك بالبحث عن عروسة له ، تعيد مافقده من هبة وسمعة ، وتنجب وريثا للعرش هو فى حاجة ماسة إليه . وبخلق فيها أحمد نجيب — الخبير فى النساء والمجوهرات — قليلاً ، ثم انفجرت أساريه ، ثم جمع الخواتم المنشورة أمامها ، وهو يقول : « إنك تحتاجين شيئاً أفضل من هذا بكثير .. عندى فى الإسكندرية خاتم فريد يناسبك تماماً .. إعطينى عنوانك ورقم تليفونك ، وسوف أتصل بك عندما أحضره هنا خلال يومين » .

لقد وجد فيها الجواهرجى الموصفات التى يريد لها الملك .. صغيرة .. عمرها لا يزيد عن (١٦) سنة .. وحيدة .. وتشبه الأميرة فاطمة طوسون التى أحبها فاروق لكنها رفضته ، واحتقرته ، وتركت له مصر هرباً منه .

وأبلغ الجواهرجى الملك بالنبأ : وجدتها .. وجدتها يامولاي ! .
وقرر الملك أن يراها بالنضارة الكبيرة من شقة عمارة أمام محل الجواهرجى ، ولم تكن ناريمان تعلم بذلك ، وكل ماعرفته أن أحمد نجيب أحضر الخاتم الذى وعدا به .. وكانت بصحبة والدها لاختطبيها هذه المرة .. وراها فاروق من النافذة ، ثم فجأة هبط عليها .. وبدون مقدمات سأها عن اللغات الأجنبية التى تتحدثها .. والباشوات فى عائلتها .. والأطيان التى تمتلكها .. وجاءت الإجابة — مع الإضطراب — بالنفى ..

(٧) و (٨) و (٩) هناك تناخل فى مصادر هذا الجزء ، وهذه المصادر هى مذكرات مصطفى صادق ، كما رواها لجميل عارف ، وكتاب فاروق للدكتورة لطيفة سالم ، وكتاب هوج ماكلين : « الملف السرى للملك فاروق » ترجمة أحمد فوزى — دار الهلال — ١٩٧٧ .

فلا باشوات ، ولا اطيان ، ولا لغات .. ولكن .. بالرغم من ذلك انهر الملك بجماها ، ثم لأنها كانت ستتزوج بعد أسبوع واحد ، وهذا أثاره أكثر ، وجعله يتحمس لخطفها من الرجل الذى اختارها ، ووافقت عليه .. وسأل أباه : وماذا نفعل يا جلالة الملك فى خطيب ابنتى ؟.. فقال الملك : قل له إن زواجه تم إلغاؤه بمرسوم ملكى !! . لم يكن الأب متحمساً لزواج ابنته من الملك ، وقد تسبب ذلك فى موته بالسكتة القلبية قبل إعلان الخطوبة .. أما الأم ، أصيلة هانم فكانت سعيدة للغاية لأنها ستكون حماة الملك .

وقبل إعلان الخطوبة رسمياً ، كان فاروق يكتب رسائل غرامية لناريمان .. باللغة الفرنسية .. « يرسم لها فيها قلوباً تقطر بالدم ، وقد اخترقتها أسهم كيوييد .. إله الحب الشهير » .. وكانت ناريمان ترد عليه بخطابات ، مقتبسة من كتب « رسائل الغرام » ، وعملاً بنصيحة أحمد نجيب ، كانت توقعها بشفتيها ، بعد أن تلونها بالروج الأحمر . وكان فى رأى فاروق أن « ناريمان فتاة عادية خالص ، ومحتاجة لتدريب طويل حتى تصبح ملكة » ، فأمر أن تسافر فى رحلة ثقافية إلى أوروبا .. لتتعلم الرقص ، والذوق ، وأصول البرتوكول ، واللغات الأجنبية ، وتحولت السفارة المصرية فى روما إلى صالة لتعليمها الرقص ، وفى باريس اشترت (٣٠) فستاناً مرة واحدة من مصممة الأزياء المعروفة وقتها جرمين لوكت .. وبعد (٧) شهور من التدريب ، عادت ناريمان من نابولى إلى الإسكندرية على ظهر الباخرة اكسكاليار ، وفى أول لقاء مع الملك ، أبدى إعجابه بجماها .. « والله احلويتى عن أيام زمان » .. ثم سألها عن مستواها فى اللغة الفرنسية .. « لازم بقيتى لبلبة فى الفرنساوى دلوقتى » .

وفى ١١ فبراير ١٩٥١ ، أعلنت الخطبة رسمياً .. وآثار ذلك الناس .. فاختلفت الآراء حول ناريمان .. البعض قال : « إنها ذكية ، وهادئة ، وحسنة الخلق » ، والبعض الآخر قال : « إنها لاشيء » .

وفى ٦ مايو من نفس العام عُقد القران فى قاعة إسماعيل بقصر عابدين وتكلف الحفل حوالى (٧٥) ألف جنيه .. أما ثوب الزفاف فتم صنعه فى أربعة آلاف ساعة ، وأعدته فرق من العاملات عملن ليلاً ونهاراً .. واستهلك العديد من الخابات ، ورصع

بعشرة آلاف من الفصوص وحيك بأسلاك الفضة ، وتكلف صنع الطرحة في فينسيا ألف جنيه ، ووضعت ناريمان عقداً من الماس يعتبر من أندر حلى العالم .. هذا في وقت تعاني فيه مصر من ضائقة مالية حادة .. ومن ثم لم يكن أى مرسوم ملكي بقادر على إرغام الشعب المصرى بالهتاف والاحتفال بزفاف ملك فقد ثقتهم واحترامهم ، لذلك فإن الشعب لم يشارك في احتفالات زواجه من ناريمان قط. ، وكان احتفالاً رسمياً .

واستمر شهر العسل (١٣) أسبوعاً ، كلف فاروق يوماً ألف جنيه ، غير قيمة المشتريات ، وخسائر القمار التي يقدرها عم ناريمان بحوالى (٢٠٠) ألف جنيه .. وقد توجه الملك وعروسه إلى تورميينا بجزيرة صقلية ، ثم إلى كابرى ، وفينسيا ، ثم إلى سويسرا .

وعند عودتهما من الرحلة ، كانت هناك أزمة بالغة الحدة في انتظار الملك .. « فالحالة الاقتصادية في البلاد ، وصلت إلى الحضيض ، وأسعار الخبز والحبوب وزيت الطهى بلغت أقصى حد لها ، وكان عدد العاطلين يزداد بصورة مطردة ، وكانت جماهير الفلاحين ساخطة وناقمة على الحكومة ، ثم جاءت أزمة القطن العظمى ، عندما هبطت أسعاره بصورة كبيرة ، فدخلت الحكومة لتحفظ أسعاره عند مستواها المرتفع مما أدى إلى بقاء معظم المحصول مخزوناً في الشون دون أن يباع ، وواجهت البلاد حالة من الإفلاس » .

□ □

ويمكن القول إن الخلافات بدأت بين ناريمان وفاروق في شهر العسل ، والسبب القمار والسهر والغواني .. وكانت ناريمان — التي كانت لاتزال امرأة صغيرة — تعبر عن غيظها بالبكاء في البداية كلما رأتة يخرج للسهرة ، ويتركها وحيدة في الفندق ، ثم بدأت تحتج وتطلب منه أن تسهر معه ، وعندما تجاوز كل الحدود ، ثارت وطلبت الطلاق ، واستخدمت في ثورتها عبارات مثل .. « أنا لازم أتطلق » .. « مش عايزة أعيش معاك » .. « عاوزة أتطلق دلوقتى » .. « ولم يستجب الملك لها .. خاصة وأن أعراض الحمل بدأت تظهر عليها .. وهو يزيد ولى العهد .. ويتشوق إليه .. ويتنظره

بفارغ الصبر .. وهذا ما جعله يغير من معاملته لها .. فأبدى اهتماماً أكبر بها .. فلم يعد يوجه إليها الإهانات ، أمام الخدم ورجال الحاشية « .. و « أخذ يهتم بطعامها وبالفيتامينات التى أمر بها الأطباء أن تتناولها أثناء الحمل » .. وكان « يسندها بنفسه ليساعدها على الجلوس » .. وكان « يضع لها الوسادات خلف ظهرها عندما تستلقى لتسترخ فى الفراش » .. وكان « يبدو فى تصرفاته الجديدة معها كمن يريد أن يحافظ على الجنين الذى تحمله فى أحشائها بأى ثمن » ، على حد قول مصطفى صادق ، عم ناريمان الذى رافقهما فى رحلة شهر العسل .

وبالرغم من أن ولادة ولى العهد ، رفعت من مكانة ناريمان ، وضاعفت من حجم ثقتها بنفسها ، فإن فاروق ، عاد إلى إهمالها من جديد ، ولم يتردد مرة أخرى فى إهانتها أمام أبسط الناس فى القصر .. لقد كان يشعر بأنه هو الذى رفعها من فتاة عادية إلى ملكة .. وإنه قادر على إرجاعها إلى ماكانت عليه .. إنه لم يعبد التمثال الجميل الذى صنعه ، كما تقول أسطورة بجماليون .. بل صنعه ليستمتع بتحطيمه !!.

وفى الأزمة الأخيرة بينهما ، قبل الثورة ، فى شهر يونيو ، انتهى اعتذار الملك لها ، بإعلان رغبته فى القيام برحلة بحرية ، معها ، ومع ولى العهد ، وكان من رأى رئيس الديوان : أن الظروف التى تمر بها البلاد لاتسمح الآن بهذه الرحلة .. لكن .. الملك سخر منه قائلاً :

— كل شئ فى ايدى .. يا حافظ !.

فتراجع حافظ عفيفى بعض الشئ وأضاف :

— إذن أرجو ألا يتعدى غيابك عن مصر يامولاي الأسبوعين !.

فلم يعلق الملك .

فتراجع رئيس الديوان أكثر ، وقال :

— وأرجو أن تكون الرحلة فى شرق البحر المتوسط .

فقال الملك :

— شرق إيه وغرب إيه .. أنت عارف إن أنا لا أستطيع مقاومة سحر جنوب

فرنسا .

ومع نهاية شهر يونيو ، راحت الأمور تختصر . وننحدر ، وتتدهور .. ومن ثم لم يتمكن الملك من تنفيذ هذه الرحلة البحرية .. التي خطط لها من أجل ولى العهد .. ولكنه .. فى ٢٦ يوليو ، قام برحلة بحرية أخرى ، رغم أنه .. فى اتجاه واحد .. بلا عودة .. وكان معه زوجته وابنه وبناته وأفراد من حاشيته .. وفى هذه الرحلة .. انطلق الملك إلى منفاه .. خرج ولم يعد

الجزء الثانى

- ٧ - فكر الملك .. ونفذ ضباط الجيش .
- ٨ - ماركيزة حافية من حوارى نابولى .
- ٩ - الأخرس والطرطور والبصمجى .
- ١٠ - فاصل من (الردح ، الملكى .
- ١١ - نام الملك .. تحيا الجمهورية .
- ١٢ - هل قُتل الملك فاروق .



فكر الملك ونفذ ضباط الجيش !

سأصف لك الآن قصر « رأس التين » .. المقر الصيفي للحكم الملكي .. آخر القصور التي نام فيها فاروق ، ووقع فيها آخر قرار في حياته .. قرار تنازله عن العرش لولي عهده الأمير أحمد فؤاد في ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٢ ، بعد (٣) أيام فقط من انقلاب الضباط الأحرار .. ثم خرج منه إلى المنفى .. وعندما عاد بعد سنوات طويلة إلى مصر ، كان محمولاً على ظهره .

القصر مساحته حوالى (١٨) ألف متراً مربعاً .. تحيطه مساحات شاسعة من الخضرة تصل إلى (١٢) فدانا .. عبارة عن حديقتين .. الأولى أمام القصر ، منسقة على الطراز الفرنسى .. وترتفع فيها أشجار النخيل الإفرنجى .. وفي الجهة البحرية منها نافورة ، من حوريات المرمر ، والأسماك فيها ملونة ، تسبح بين أوراق نبات اللوتس .. أما الحديقة الأخرى ، فوراء القصر ، وتميزها النباتات المتسلقة على سلاسل منحوتة من أحجار متنوعة .. نادرة ، مثل حدائق السلاطين العثمانيين في قصور أستانبول .

ويضم القصر (٨٠٠) غرفة ، وصالة ، وأمام بوابته الرئيسية ، محطة للسكك الحديدية ، أى أن القطار الملكى كان يصل إلى هناك ، وملحق به ميناء ، رست عليه السفينة « المحروسة » التي حملت فاروق إلى المنفى .. وحملت من قبل جده الخديو إسماعيل إلى نفش المصير بعد خلعه أيضاً .

وفي القصر أجنحة كبيرة ، للتشريفات ، والملك ، والأميرات ، والضيافة ، والملكة ، وولى العهد ، والأمناء ، والحرس ... بخلاف أماكن إقامة الخدم :

ويستخدم السلم الرئيسى للدخول الرسمى ، وهو مصنوع من الرخام الإيطالى النادر ، ويؤدى إلى الصالة « القوطية » .. الفاخرة ، حيث يتجاسن كل ما فيها بصورة نادرة .. الجدران ، السقف ، الأثاث ، الأرضية ، وزجاج النوافذ .. وليس أجمل منها

سوى الصالة البيزنطية في قصر عابدين ، أفخم صالات القصر على الإطلاق ، فجدرانها من المرمر الثمين ، وكان بها فضيات قيمتها (٤) ملايين جنيه .. وصور وتحف ومقاعد مطرزة ، وموشاه ، وأعمدة منقوشة ، وآلات موسيقية أثرية ، وساعة أهداها نابليون للخديو إسماعيل .. وتحف ثمينة ونادرة أخرى .. ابتلعتها « كروش » بعض الثوار الذين قاموا لإنقاذ مصر من الرشوة والفساد .. فقد سقط الملك ، وجاء ألف ملك .

تؤدى الصالة القوطية في قصر رأس التين إلى قاعة العرش التي يغلب عليها الطراز الإسلامي ، فعلى الجدران آيات قرآنية ، مكتوبة بخطوط فنية بديعة ، والنجفة الكبيرة تنتمي للعصر المملوكي ، وزجاجها ملون بالأزرق والأصفر .. أما الأثاث فمن طراز لويس الرابع عشر .. وملحق بقاعة العرش حجرة مكتب الملك .. وزخارفها من الجبس البارز على الجدران ، ويمتزج فيها لون الذهب ، بلون الفيروز .

تؤدى الصالة القوطية أيضاً إلى صالة الرخام .. أو صالة الولايم .. المخصصة للحفلات ، والطعام ، والرقص ، وعزف الموسيقى .. وبين الصالتين أربعة أبواب من الحديد المشغول ، محلاه من أعلى بلوحات مرسومة من القرن الماضي .. وملحق بالصالة الرخامية ، قاعة المائدة الملكية .. الفرنسية الطراز ، ومنها إلى الصالة المستديرة ، أو صالة « النجفة » .. وهي أجمل وأندر الصالات المستديرة في العالم كله .

وتكوّن هذه الصالات والقاعات .. جناح التشريفات .. الذي يحتل الدور الأرضي كله .. وفي الدور الأول يوجد الحرم الملك .. جناح الملك .. صالون استقبال الوزراء .. جناح الملكة .. قاعة الطعام البيضاوية ..

ثم نصعد — على سلام من الرخام المجزع — إلى الدور الثالث ، الذي يضم صالة مستديرة أخرى ، وصالون تشريفات الحرم الملك ، الذي تستقبل فيه الملكة ضيوفها . وتزين جدران الصالة المستديرة ، صور زيتية ، تمثل مشاهد غرامية .. وبها ثمانى أعمدة على هيئة دائرة .. وفي هذه الصالة وقّع فاروق وثيقة تنازله عن العرش .. ولذلك سُميت بصالة « التنازل » (١)

(١) لاجدال أن هذه الصورة — التي كان عليها القصر — قد تفتت كثيراً ، وهو ما حدث أيضاً لباقي قصور ، وممتلكات أسرة محمد على الكبير ، التي تضرعت إلى ٤١٧ عائلة أصغر ، وصُوّدت منها ١٢٤٧ قطعة تحف ومجوهرات لاديرة ، انطى الكثير منها ، وتعرضت —

كان مجلس قيادة الثورة — الذى أصبح يسيطر على زمام الأمور منذ صباح ٢٣ يوليو — قد قرر عزل الملك فاروق ، لكنه لم يقرر مصيره بعد العزل ؟.. الطرد .. النفى .. المحاكمة .. أم الإعدام ؟.. وكان من رأى المتهورين مثل صلاح سالم : أن يقتلوه !.. وكان من رأى محمد نجيب وجمال عبد الناصر ، أن يتركوه يرحل فى سلام ، تجنباً لأية تطورات مفاجئة غير محسوبة ، تجعل زمام الأمور ، يفلت منهم . وكسب العقل ، التهور ، وفى الساعة العاشرة من صباح يوم ٢٦ يوليو ، كان على ماهر — رئيس الحكومة الجديدة — يحمل الانذار الأخير إلى الملك ...

من الفريق أركان حرب محمد نجيب باسم ضباط الجيش ورجاله إلى جلالة الملك :

« إنه نظراً لما لاقته البلاد فى العهد الأخير من فوضى شاملة ، عمت جميع المرافق نتيجة سوء تصرفكم وعثكم بالدستور وامتنانكم لإزادة الشعب حتى أصبح كل فرد من أفرادها لا يطمئن على حياته أو ماله أو كرامته ، ولقد ساءت سمعة مصر بين شعوب العالم من قاديكم فى هذا المسلك حتى أصبح الخونة والمرشون يجدون فى ظلكم الحماية والأمن والثراء الفاخش والإسراف الماخن على حساب الشعب الجائع الفقير .

ولقد تجلبت آية ذلك فى حرب فلسطين من فضائح الأسلحة الفاسدة وما ترتب عليها من محاكمات تعرضت لتدخلكم السافر مما أفسد الحقائق وزعزع الثقة فى العدالة وساعد الخونة على ترسم هذا الخطأ فأثرى من أثرى ، وفجر من فجر وكيف لا والناس على دين ملوكهم .

لذلك قوضى الجيش الممثل للشعب أن أطلب من جلالتم التنازل عن العرش لسمو ولى عهدكم الأمير أحمد فؤاد على أن يتم ذلك فى موعد غايته الساعة الثانية

= للنهب ، وبيع بعضها ، فى مزادات علنية ، دون معرفة قيمتها ، المادية والتاريخية ، وبعض هذه المزادات كان صورياً ليرسو على نفر من الضباط الواصلين ، أو أقاربهم ، ولذلك لا يعرف أى شخص على سبيل المثال أين اختفت مجموعة طوابع فاروق النادرة التى كانت تساوى ملايين الجنيهات ، ولا أين تاج الملكة فريدة الذى يضم (١٠٥٦) حجراً كريماً ؟.. ولا أين ماسة « نجمة الشرق » التى تزن (٢٨٦) قيراطاً ، والتى كانت آخر ما اشتراه فاروق فى أوائل ١٩٥٢ ، وكان ثمنها يزيد عن المليون دولار .. إن هذا النهب لم يجد من يحقق فيه ، وبالرغم من الأصوات القوية التى طالبت بذلك . فمن أحد المريد ، لأن الإجابة — على ما يبدو — كانت ستتم رؤوساً كبيرة ، كانت فى الحكم .

عشرة من ظهر يوم السبت الموافق ٢٦ يوليو ١٩٥٢ والرابع من ذى القعدة سنة ١٣٧١ ، ومغادرة البلاد قبل الساعة السادسة من مساء اليوم نفسه .

والجيش يُحتمل جلالكم كل ما يترتب على عدم النزول على رغبة الشعب ، من نتائج . .

فريق أركان حرب

محمد نجيب

كان قصر رأس التين يضم قوة الحرس الملكي الرئيسية ، أى حوالى (٨٠٠) جندى ، وهذا ما جعله ينتقل إليه — هو وأسرته والحاشية — من قصر المنتزة ، الذى كانت قوته لاتزيد عن (٣٠٠) جندى وضابط .. وفى الساعة السابعة وعشر دقائق ، يوم الإنذار زحف مشاة الجيش إلى أسوار قصر التين ، ومعهم عربتان مدرعتان ، « ورأى أحد ضباط الياوران الطابور الزاحف فأطلق من مسدسه طلقة فى الهواء للتحذير من الاقتراب ، ومن ناحية الميناء ، أطلق جنود المهجانة بعض دفعات من مدافع الفيكروز على القوة الزاحفة التى ردت بالمثل .. وارتفع صياح مذعور من جناح الحرمك ، مصدره الوصيفات والكلفوات .. وأسرع فاروق — وكان منذ الحركة يستيقظ فى ساعة مبكرة جداً — بأمر الأميرالاي أحمد كامل قائد بوليس القصور الملكية بأن يتصل بقشلاق الحرس ويكلف أحد الضباط بأن يتوجه إلى الجيش لاييقاف الضرب .. وخرج من قشلاق الحرس يوزباشى يحمل علماً أبيض متوجهاً إلى قائد قوة الجيش التى تحاصر القصر ونقل له هذه الرغبة .. وقال قائد قوة الجيش إنه يسره جداً ألا يقع أى قتال بين مصريين » (٢) .

وجاء على ماهر يحمل الإنذار .

ودخل على ماهر إلى حجرة السلامك المطللة على الميناء ، كان فاروق ينتظره وهو فى أشد حالات التوتر ، والقلق ، فقال له : « يا مولاي .. الشعب تائر .. والجيش متحفز .. وأنا شايف إن جلالتك تضحى وتتنازل عن العرش فتحاشى أى احتكاك ،

(٢) أحمد بهاء الدين — مصدر سبق الإشارة إليه — ص ١٤٧ .

وتضمن العرش لابلنك .

وبعد لحظة واحدة قال فاروق : طيب !

وكانت شروطه الأخيرة : أن يأخذ معه ابنه .. الملك الرضيع .. الذى كان عمره بالضبط ٦ أشهر و ١٠ أيام و ٤ ساعات ، وأن تسافر معه زوجته ، وبناته ، وأن يكون الرحيل على اليacht « المحروسة » الذى بُنى سنة ١٨٧٠ ، وأعيد إصلاحه فى سنة ١٩٤٦ ، وتكلف مليون دولار ، وأصبح اسمه فيما بعد « الحرية » .. واشترط فاروق أن يودعه محمد نجيب شخصياً .. وأن يكون وداعه رسمياً ، فتودى له التحية الملكية ، وتطلق المدفعية (٢١) طلقة ، واستجاب مجلس قيادة الثورة لهذه الشروط ، لكنه رفض أن تصحب المحروسة حراسة من المدرعات حتى المياة الإقليمية .
أما أغرب الشروط التى فرضها فاروق ، فكان إصراره على أن تكون وثيقة التنازل عن العرش مكتوبة على ورق فاخر ، مناسب ، وبصيغة تحفظ كرامته !
وقد صاغ الوثيقة د . عبد الرازق السنهورى رئيس مجلس الدولة ، ونائبه سليمان حافظ ، وكان نصها :

« أمر ملكى رقم (٦٥) لسنة ١٩٥٢

نحن فاروق الأول ملك مصر والسودان

لما كنا نتطلب الخير دائماً لأمتنا ونبتغى سعادتها ورقياً

ولما كنا نرغب رغبة أكيدة فى تجنب البلاد المصاعب التى تواجهها فى هذه

الظروف الدقيقة ونزولاً على إرادة الشعب

قررنا النزول عن العرش لولى عهدنا الأمير أحمد فؤاد وأصدرنا أمراً إلى حضرة

المقام الرفيع على ماهر باشا رئيس مجلس الوزراء للعمل بتقتضاه .

صدر بقصر رأس التين فى (٣) ذى القعدة سنة ١٣٧١ (٢٦ يوليو ١٩٥٢) .

التوقيع — فاروق

وحمل وثيقة التنازل سليمان حافظ ، الذى قدم تقريره الرسمى ، بما جرى ، إلى على ماهر فى ١١ أغسطس ، وجاء فيه : « أن الأمر الملكى تُسخ على الورق المعد للمراسيم ، وحمله منفرداً ، واستقل سيارة من حرس مجلس الوزراء ، إلى قصر رأس

التين » ، « وفي طريقى إليه شاهدت بطارية من مدفعية الميدان الثقيلة أمام ثكنة خفر السواحل بالانفوشى ، مصوبة مدافعها إلى القصر وعلى استعداد تام للعمل » .. وعندما وصل إلى ساحة القصر الخارجية ، طلب منه أحد الضباط إذنًا مكتوباً بالمرور لم يكن معه ، وبعد ربع ساعة جاء أنور السادات فى سيارة جيب ليسمحوا له بالمرور ، وتبعه إلى الباب الخارجى للقصر ثم انصرف .

ودخل سليمان حافظ إلى مبنى الحرس ، ثم بعد قليل قادوه إلى فيلا أنيقة فى الجهة الغربية من الديوان الملكى ، استقبله على بابها بالملابس المدنية أحمد كامل « وأدخلنى إلى صالة فسيحة مستديرة فى وسطها منضدة كبيرة من الرخام الأسود المموه باللون الأبيض ، وفى محيط الصالة مقاعد كبيرة ، تتخللها أخرى صغيرة ، وإلى يمين الداخل إليها طريقة عريضة ، فأجلسنى على أحد المقاعد الكبيرة ، وغاب داخل الطريقة برهة ، ثم عاد إلّى بعد قليل ، وأخبرنى أن الملك قادم لمقابلتى » .

وبعد حوالى ربع ساعة ، جاء الملك « وهو يرتدى اللباس الصيفى لأدميرال فى البحرية » .. وقصد المنضدة التى فى وسط الصالة .. « فنهضت عند رؤيته وقصدتها كذلك حتى التقينا فى جانب منها ، فصافحنى ، وأخرجت وثيقة التنازل من غلافها وقدمتها له ، فتناولها » .

وسأله الملك :

- هل الوثيقة محكمة الوضع من الناحية القانونية ؟ .
- نعم !
- وماهى أسباب النزول عن العرش ؟ .
- إننا استلهمناها من مقدمة الدستور .
- ألا يمكن إضافة كلمة « وإرادتنا » بعد عبارة « ونزولاً على إرادة الشعب » ؟ .
- يامولاي لقد وضعنا نزولكم عن العرش فى صورة أمر ملكى .
- تريد أن تقول أن الأمر الملكى ينطوى على هذا المعنى ؟ .
- نعم .
- ليس هناك إذن ما يمنع من إضافة تلك الكلمة ؟ .

— إننا لم نصل إلى الصيغة المعروضة على جلالته إلا بضعوبة .
— إذن كانوا يريدون أن أوقع على ورقة أخرى ؟ .. قل لي يا بك ماذا فيها ؟
— لم أطلع عليها يامولاي ..
— أنت لا تريد أن تخرج شعوري ، لكنني أعدك ألا أتأثر مما أسمع .
— بشرفي .. لم أطلع عليها يامولاي .
وأمسك الملك القلم ، ووقع في ذيل الوثيقة كالمعتاد .. ولكن التوقيع جاء مضطرباً ، فقال :
— الامضاء واضح ؟
— نعم .
— لا .. أحسن أمضى ثانياً فوق ، علشان يجي الامضاء غير مضطرب !
« وكان وكأنه لا يريد أن يترك القلم .. وحين تركه ، كان قد فقد عرشه ، ولم يعد ملكاً »^(٣) .
وسأله سليمان حافظ :
— هل من رغبة أخرى يامولاي ؟
فقال :

« إن لديه في الخارج من المال ما يكفيه ليعيش عيشة بسيطة ، ولكنه يرجو لو بقيت أمواله في المملكة المصرية على حالها حتى تؤول بالميراث إلى أولاده فإن تعذر ذلك فإنه يود أن توزع عليهم من الآن بنسبة حصصهم الميراثية » .
— أعدك بالعمل ، قدر المستطاع على تحقيق ذلك .
وفي تقريره ، يقول سليمان حافظ إن هذه الرغبة « تحققت بالمرسوم بقانون رقم ١٣٦ لسنة ١٩٥٢ في شأن الحراسة على أموال الملك السابق » .

□ □

في لحظة التوقيع ، جاءت ناريمان من الحرمك فصرخ فيها فاروق : « أنت جايه

(٣) أحمد بهاء الدين — ص ١٥٠ .. أما الحوار بين الملك وسليمان حافظ ، فكتبت أول من نشر الوثيقة التي تضمنته ، في مذكرات محمد نجيب : « كتبت رئيساً لمصر » ، التي قمت بإعدادها ، ونشرت في سنة ١٩٨٤ .

تعملى إيه ؟ .. فعادت إلى الحرمت . وهى تحبس حزنها ، وخوفها ودموعها .
وسأل الملك ماتبقى من حاشيته ورجاله :

— أعمل إيه فى البنات ؟ .. دى مشكلة ١٩ .. وخصوصاً فريال « اللى على وش جواز » .. « دول حيتبوا لو سافروا معايا ، أو يقوا فى مصر » ..
وسمع اقتراحاً ببقاء فادية مع أمها ، فى مصر ، وأن يأخذ معه فريال وفوزية ..
فأمر باحضارهن من الحرمك .. ولما دخلن قال فاروق لفريال : « يا « فيرى » أنا شفت إن فادية حستى هنا .. وأنت وفوزية تسافروا معايا » .. وبكت فريال ..
وقالت له : « أنت لازم مش بتحبنا » .. وأغرورقت عينا الملك السابق بالدموع ..
« وقال إنه سيأخذهن جميعاً »^(٤) .

« ومضت ساعات العصر ثقيلة ، بطيئة .. لم يخل فيها الملك إلى جناحه الخاص إلا قليلاً .. أما أكثر الوقت فمضاه سائراً على قدميه فى ردهات القصر ، أو واقفاً عند نافذة ، أو تحت صورة »^(٥) .

ورأى الخدم يحملون الحقائب الكثيرة إلى الخروسة ، فقال :

— إيه الشنط دى كلها ؟

فقال له : إنها طعام للرحلة !

فأضاف : « أنا مش عاوز عفش كثير .. خذوا لى بدلتين « خفاف » بس » !
ونشرت الصحف أن عدد الشنط (٢٠٠) ، وقال أحمد بهاء الدين إن العدد (٢٢) حقيقية فقط ، ولكن أمين فهم ، سكرتير فاروق الخالص فى المنفى وأحد الذين استقبلوه فى إيطاليا ، فى ذلك اليوم أكد لى أن عدد الشنط كان (٢١٧) شنطة ، وأنه أحصاها بنفسه !

وقبل ذلك بسنوات ، قال لى محمد نجيب وأنا أسجل مذكراته : إنهم قرروا ..
« أن يأخذ الملك ملابسه وأمتعته ومجهوراته ومتعلقاته الشخصية » :

□ □

(٤) و (٥) المصدر السابق — ص ١٥١ ، ١٥٢ .

وحانت لحظة الوداع .. وكانت في تمام الساعة الخامسة والنصف .. كان على رصيف الميناء على ماهر ، وجيفرسون كافرى السفير الأمريكى ، وفرقة من حرس الشرف ، ونزلت ، ناريمان ، والبنات ، وذهبن إلى اليخت مباشرة ، وجاءت مربية أجنبية تحمل أحمد فؤاد ، الذى أصبح ملكاً منذ ساعات ، دون أن يعي ماجرى ، وما يجرى .. وبعد قليل ظهر فاروق .. وهو لا يزال في ثياب أدميرال البحر .. و « هبط سلم القصر ، وهو ينظر حوله نظرات زائغة .. وسار أمام قرقول الشرف ويرى الحرس ينزل من الصارى .. ثم تقدم إليه ضابط يحمل اليرق .. فأخذه ووضعه مطوياً على ذراعه »^(٦) .

.. وبكى على ماهر بشدة .. إنه لم ينس في تلك اللحظة أنه استقبله قبل (١٦) سنة وهو عائد من أوروبا ليتولى العرش .. وكان إحساسه في ذلك اليوم مختلفاً .. تماماً .

وحاول كافرى أن يتناسك وهو يقول لفاروق باللغة الإنجليزية : « حظ سعيد يا صاحب الجلالة » .. وأعادها مرة أخرى ، ثم .. انفجر في البكاء .

وفي السادسة إلا دقيقتين ، قال فاروق لعل ماهر :

— نجيب ماجاش .. أنا لازم أمشى بقى !

فيما بعد قال لى نجيب : إنه لم يتعمد التأخير ، وإنما كان زحام المرور السبب ، كما أن سائقه ضل الطريق ، فتوجه إلى ميناء خفر السواحل بدلا من ميناء الملك ، وعندما وصل كان الملك قد رحل منذ (٤) دقائق ، أى في السادسة تماماً حسب الإنذار ، وقال له على ماهر : « ده مشى خلاص » .. فأخذ محمد نجيب لنشاً حربياً ومعه حسين الشافعى ، وجمال سالم ، وإسماعيل فريد ، وأحمد شوقي .. ودار اللنش بهم دورة كاملة ، كما تقضى التقاليد البحرية .. ثم صعدوا إلى ظهر الخروسة التى كانت قد دخلت عرض البحر .. وتصافح الغريمان .. فاروق ونجيب .. وكان مما قاله نجيب لفاروق : « أنت تعرف يافندم أنك السبب فيما فعلنا » .. ورد الملك السابق : « إن

(٦) المصدر السابق — ص ١٥١ ، ١٥٢ .

مهتلك صعبة جداً فليس من السهل حكم مصر .. ولاحظ فاروق أن جمال سالم يحمل عصاه وهو يقف أمامه ، فأمره أن ينكسها .. ولكنه لم يستجب إلا بعد أن أمره محمد نجيب بذلك .. فوقف بصورة تنم عن اللامبالاة .
وقال فاروق لنجيب أيضاً : « أنتم سبقتُموني بما فعلتموه ، إلى ما كنت أريد أن أفعله » !.

وقد حيرت هذه العبارة الغامضة رجال الثورة ، والمؤرخين .. فلا أحد عرف ، هل كان الملك سيتنازل عن العرش قبل ذلك ، أم أنه تأخر في القبض على الضباط الأحرار ، فسبقوه في لعبة القط والفأر التي لعبوها معاً ؟ .
الآن .. نستطيع أن نسمع شهادة الملك فاروق نفسه ، ونعرف تفسيره لهذه العبارة الغامضة .. وينقل لنا هذه الشهادة أمين فهمي كما سمعها منه .
قال لي أمين فهمي :^(٧)

— في ١٤ إبريل ١٩٤٦ كلفني الملك فاروق بمأمورية خاصة في إيطاليا ، لجمع معلومات عن السنوات التي قضاها والده أحمد فؤاد الأول هناك بعد أن سافر كأمر صغير مع الخديو إسماعيل .. وقد استضافته أسرة « سافوي » في جنوب إيطاليا ، وعاش في قصر « لافورينا » .. وزرت هذا القصر — الذي أصبح مقراً للبوليس الإيطالي بعد ذلك — وفوجئت بصالوناته ، وقد حُفر على جدرانها آيات قرآنية ، كتبها خطاط أحضره أحمد فؤاد الكبير من تركيا .. والمعروف أنه دخل الكلية الحربية في تورينوتو ، المعروفة باسم « أكاديمية دي ابليكسيوني أيه جينو » .. وكان من أقرانه فيها الملك فيكتور عمانويل ، وعندما تخرج منها أحمد فؤاد الكبير التحق كضابط في الحرس الملكي الإيطالي .

رجعت إلى الملك فاروق بعد عدة شهور بوثائق وسجلات المرحلة التي قضاها والده في إيطاليا ، فأكسبني ذلك ثقته ، وأصبحت البئر الذي يلقي فيه بهوموه ،

(٧) اسمه بالكامل أمين محمد فهمي ، وهو من مواليد ٢٤ ديسمبر ١٩١١ ، وقد بدأ عمله في القصر الملكي سنة ١٩٣٢ ، مع زكي الأبراشي ناظر الخزانة الملكية في ذلك الوقت ، ثم نُقل إلى ديوان الملك ، وأصبح من المقربين إليه الذين يكلفهم بمأموريات خاصة يبعثها عن رئيس ديوانه ، وفي نهاية الأربعينات ، نُقل للعمل في سفارة مصر بإيطاليا ، وبعد الثورة ، اختبر رسمياً من عل ماهر ليكون سكرتيراً للملك في المنفى .

وأسراره ، وأحزانه .. وفى يوم من أيام تلك السنة ، وبعد أن تناول لعشا. عند الملحق الجوى الأمريكى ، أحسست أنه شارد الذهن ، فنجرات ، وسألته

— مالك يامولاي ، كفانا الشر .
— اسمع يا أمين .. أنا عارف إنك أمين .. سأروى لك ما حدث ولا تعيده

على أحد !

— أمرك يامولاي .

وروى الملك أنه قبل أيام ، وكان فى الإسكندرية ، وجد نفسه فى حالة زهق ، فأمر الحرس الملكى أن يبتعد عنه ، وقرر أن يمشى بمفرده فى المدينة .. وبعد قليل وجد نفسه على كورنيش البحر ، فأوقف عربة حنطور ، وطلب من « العربجى » أن يتمهل .. وفجأة فتح الملك الحوار التالى :

الملك : إيه رأيك فى الملك فؤاد ؟

العربجى : الله يرحمه كان ابن كلب !

الملك : وابنه ؟

العربجى : ألعن منه !

لم يكن الرجل يعرف حقيقة الراكب الذى يسأله ولم يعرف فاروق ماذا يفعل معه .. هل يضربه ؟ أم يجره إلى القصر ؟.. لكنه لم يفعل أى شئ .. وإن كان على حد قوله : « أنا ابتديت أفهم إن أنا لازم أسيب البلد » .. لقد سمع بأذنه كراهية البسطاء له ، فقرر الفرار .. ومنذ ذلك الوقت ، وهو يحول أمواله ، وسبائك الذهب إلى سويسرا !.

وأسأل سكرتير فاروق الشخصى :

— قيل أن فاروق فكر بالهرب بطائرة هيلكوبتر فى يوم حريق القاهرة ؟.

— لا أعرف ذلك ، لأننى كنت فى إيطاليا فى تلك الأيام ، ولكن فى المنفى قال لى فاروق : « إن ضباط الجيش سبقوه بستة أشهر ، فقد فكر فى تجهيز الياخت فخر البحار بكل ماهو ثمين ، ويأخذ أولاده ، وتحت زعم أنه طالع رحلة بحرية ، يذهب ولا يعود !.

□ □

لقد فكر فاروق ، ونفذ ضباط الجيش .
وغاب ملكه في البحر مع غياب شمس يوم رحيله .
وأخذ معه ابنه الملك — الطفل ، الذي لم يُقدّر له أن يملك ، أو أن يحكم ، وإنما
فرض عليه أن يعيش في المنفى ، هو الآخر ، كعضو في جمعية الملوك والأمراء السابقين
في أوروبا .. خصوصاً في باريس وجنيف .. وهي جمعية غير معلنة ، تُوصف —
بالمداخلة — بجمعية أصحاب الجلالة ، أصحاب السوابق .



ماركيزة حافية من حوارى نابولى !

ابتلع غروب شمس « الإسكندرية » اليخت « المخروسة » .. فاستقر — فى تلك اللحظات فقط — انقلاب « الضباط الأحرار » .. ويمكن أن نقول إنه نجح .
فى ذلك الوقت .. ولكن على ظهر « المخروسة » كان يرافق الملك فاروق الحلاق بيترو ، ومدرّب الكلاب كافيتسى ، وثلاثة حراس من الألبان .. أخطروهم شراسة ، يدعى « رستم » ، الذى أوكلت إليه مسئولية حراسة الملك الرضيع .. أحمد فؤاد الثانى .. وقد أحبه كثيراً ، وتمسك به أكثر وظل يرافقه كظله ، وينام أمام بابه ، حتى تجاوز مرحلة الطفولة .. إن رستم كان مخلصاً لسيدته الصغير حتى آخر لحظة ، ولم يجرؤ أى شخص أن يمسّه — فى وجوده — بسوء .. وكان مستعداً أن يموت فى سبيل الدفاع عن حياته .

وهذه إحدى صفات الألبان فى القصور .. الإخلاص حتى الموت .. وقد كانوا حراس جده ، أحمد فؤاد الأول .. الذى رُشح لتولى عرش ألبانيا ، ولكنه رفض .. واعتلاه — بدلا منه — أفاق .. استقبله الشعب هناك ، بالزهور ، والزغاريد .. ولم يكشفه إلا حبه للطعام .. فقد كانت أولى أوامره الملكية السامية ، أمراً بدعوته على العشاء كل يوم ، على مائدة أسرة من الأسر الثرية .. وقد هرب فى الوقت المناسب .
رافق الأسرة الملكية ، المنفية أيضاً مريتا ابنه ، آن وشر سيد ، وجانيت دى ميو ، وكان الأمر الوحيد الذى شدد عليه فاروق على الياخت ، أن يفتشا بدقة ، وكالعادة ، ملابس الطفل ، للتأكد من خلوها من الدبابيس « الإبرة » ، التى كان فاروق يكره استعمالها بأى صورة من الصور .. وكان — وهو ملك — يطمئن — عند قراءة التقارير خاصة تقرير الأمن الذى كان يحرص على قراءته يومياً — على أن الأوراق التى تعرض عليه بدون هذا النوع من الدبابيس .. والسبب أنه قرأ ذات مرة — فى

مجلة من مجالات الجاسوسية — عن إمكانية تلويثها بالسم ، أو الميكروبات القاتلة ،
التي تخترق الجسم بسنها .. وتضاعف هذا الهاجس بعد رحيله ، فأصبح يخشى على
ابنه من الإغتيال بهذه الطريقة .. أو بأى طريقة أخرى .

□ □

كان على قائد « المخروسة » ، جلال علوبة أن يُوصَل الملك وأسرته إلى نابولي
ويتركهم هناك ليعود إلى الإسكندرية باليخت الملكي .. الذى أصبح اسمه فيما بعد
« الحرية » .. وأصبح اليخت الرسمى لرئيس الجمهورية .
إن إيطاليا هى الدولة التى اختارها فاروق لتكون منفاه .. فهو يعشقها .. وكانت
منفى جده الخديو إسماعيل .. والمكان الذى تبنى وتعلم فيه والده ، الملك فؤاد
وهو يجيد لغة أهلها .. ويعشق طراز نسائها .. يضاف إلى ذلك سبب آخر ، يروى
لنا قصته ، سكرتيره الخاص ، أمين فهم الذى يقول :

— عندما سافرت إلى روما بحثاً عن تاريخ والد فاروق فيها^(١) ، رُحْتُ لتسجيل
اسمى فى سجل تشريفات الملك فيكتور عمانويل ، باعتبارى من موظفى الملك
فاروق .. كانت روما تحت الاحتلال الأمريكى ، بعد هزيمة الفاشية فى الحرب ..
وكان نفوذ الملك تحت الصفر .. وجاء ياور من التشريفات .. اسمه على ما أتذكر
كولونيل مارجریتوندى .. وقال لى : إن سمو الأمير أمبرتو ولى العهد ، يدعوهُ إلى
فنجان قهوة .. ورحبت بذلك طبعاً .. وفى الموعد المحدد .. قابلته .. وقال لى :
إنه سيكلمنى فى موضوع لا يعرفه سواه ، وهو أنه فى نية والده الملك أن يتنازل
عن العرش له « فهل جلالة الملك فاروق على استعداد لاستضافته فى الإسكندرية
كمبنى ، يقضى فيه أيامه الأخيرة وهو يصطاد السمك » .. قلت للأمير أمبرتو :
من الآن أستطيع أن أقول لسموكم أن جلالة الملك فاروق سيرد الجميل لجلالة الملك
عمانويل ، وسيقبل استضافته » .. وقطعت مهمتى ، ورجعت إلى القاهرة ، وفتحت

(١) فى الحلقة التاسعة من مذكرات أمين فهم التى نشرها مجلة آخر ساعة ، إن بحثه عن تاريخ الملك فؤاد لى إيطاليا ، كشف أن له
زوجة إيطالية ارتبط بها قبل توليه العرش ، وهى من تورينو ، وتزوجها سراً ، وقد أزعج ذلك الملك فاروق خشية أن يكون له أخ
من زوجة أبيه الإيطالية ، يطالب بحقوقه .

فاروق فى الأمر ، وكما توقعت لم يتردد فى الإستجابة ، وجاء الملك عمانوئيل ، وزوجته إلى الإسكندرية ، وخصص لهم فاروق قصر « انطونياوس » وذهب بنفسه لاستقبالهم .. وكنت معه كتشريفاتى ، وكان معى محمد فتحى رجب ، وحسين كفاى ، وكانا من ضباط البوليس (٢) .

لقد نفى إسماعيل إلى روما .. ونفى عمانوئيل إلى الإسكندرية .. وها هو الدور على فاروق ليكون منفاه فى روما .. وكانت نابولى المحطة الأولى فى رحلة المنفى .. وأرسل على ماهر ، يوم ٢٨ يوليو ، برقية إلى السفير المصرى فى إيطاليا عبد العزيز بدر يقول فيها :

من صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا

إلى سعادة سفير مصر لدى الحكومة الإيطالية

يصل اليخت المخروسة إلى ميناء نابولى ، صباح يوم ٢٦ يوليو ، وعلى ظهره حضرة صاحب الجلالة أحمد فؤاد الثانى ، والحاشية ، المرجو الإتصال بالسلطات الإيطالية لإتخاذ اللازم على ماهر والملاحظة البارزة فى البرقية أنها لاتخص فاروق ، وإنما تخص ابنه أحمد فؤاد ، الذى كان لايزال ملكاً ، وإن كان تحت الوصاية .. وقد اعتبر على ماهر — على ما يبدو — فاروق واحداً من « الحاشية » .

ولاجدال فى أن السفير عبد العزيز بدر قد أصابه الكثير من الإضطراب عندما قرأ برقية دولة « الرئيس » .. على ماهر باشا .. فهو الذى سبق أن استقبل ناريمان فى رحلة تدريبها على الأصول الملكية .. وكانت فى طائرة خاصة ، وهبطت مطار « كابتشينو » فى روما ، وكان مع السفير زوجته .. وسكرتير السفارة أمين فهم ، ودخلت ناريمان روما باسم « معاد صادق » .. ويشاء القدر أن يستقبلها — هو وزوجته وأمين فهم أيضاً — هذه المرة كملكة سابقة .. أو كفرد من حاشية ابنها ..

(٢) تطورت الأمور فى إيطاليا وزالت الملكية باستفتاء سياسى عام ، وغادر أمبرتو روما إلى منفاه فى البرتغال دون أن يتنازل عن العرش .. ثم .. جاء إلى الإسكندرية ليشهد عقد قران ابنة أخيه .. ولاحظ أن معاملة الملك فاروق لأسرته لم بعد طيباً .. وقد طرده من قصر أنطونياوس ، واستضافه مليونير إيطالى اسمه أمبرون .. وكان السبب هو أن الملك عمانوئيل تنازل عن مجموعة العملات التذكارية التى جمعها إلى الحكومة الإيطالية ، وكان فاروق يتوقع أن يتنازل له عنها .

إنها زوجة الملك السابق ، وأم الملك الحالي .

□ □

نزل الملك فاروق من اليخت وهو يرتدى بدلة بنية اللون ، فلا يجوز له الآن أن يرتدى زى الأدميرال البحرى الذى خرج به من الإسكندرية .. وكانت ناريمان ترتدى فستاناً لونه بنى أيضاً .. وكان أول ما قاله فاروق بعد أن صافح عبد العزيز بدر : « خرجنا من مصر بالهدوم الى علينا » !.

وبكى قائد اليخت والملك يودعه بالأحضان .. وبكى الملك كذلك .. وانفعل البحارة .. وأغمى على اثنين منهم .. وسقطا من طولهما على الأرضية . وجاء قارب بخارى صغير ، ليحمل فاروق وناريمان وفؤاد الصغير ، والحاشية إلى جزيرة كابرى .. وقبل أن يصل فاروق إلى الشاطئ خلع حذاءه ، وصلى ركعتين شكر على النجاة .. ولكنه سرعان ما واصل أشهر هواياته .. مطاردة النساء ، بمجرد استقراره في فندق « باراديزو » الساحر بكابرى ! يقول سكرتيه الخاص في مذكراته :

— كنا نجلس في بهو فندق باراديزو ، وهو أول فندق في جزيرة كابرى ، ولم تمض على جلستنا لحظات حتى دخل بواب الفندق وتقدم إلى فاروق حاملاً على صينية من الفضة مطروفاً عليه اسم « اليخت — اليانورا » ، وفض فاروق المظروف ، وقرأ الرسالة بسرعة ، ثم التفت إلى قائلاً : « دى رسالة من أصدقاء أعرفهم من زمان .. ويقولون إنهم جاءوا خصيصاً إلى كابرى لتقديم احتراماتهم » .. وأمرنى فاروق أن أبعث إليهم رسولاً يبلغهم بأنه سيزورهم على اليخت بعد ساعتين .. ثم طلبوا من يترو الحلاق أن يعد له بدلة البحرية .. الجاكت الأزرق ذو الأزرار الذهبية والبنطلون الرمادى والقبعة البيضاء التى يعلوها التاج .. وقلت لفاروق : هل يأذن مولاي أن أبلغ الملكة ناريمان كى تستعد هى الأخرى للزيارة .. ولكن فاروق تجهّم وقال فى عصبية : لا ياسيدى .. لازم تعرف من دلوقت إن الملكة منش مفروض تنط معانا فى كل حنة .

وانطلقت بنا السيارة إلى الميناء .. وهناك كان اليخت واقفاً وقد أضاء جميع

أنواره استعداداً لاستقبال فاروق .. وعلى الظهر كان ينتظرنا صاحب اليخت ..
وكان معه شخص آخر اسمه الكونت « بولاسكى » .. ورحب الاثنان بفاروق ..
ثم اتجهنا إلى صالون صغير .. وجلسنا ندخن السيجار .. ولم تمض دقائق حتى انفتح
باب الصالون .. وظهرت فتاة عيونها سود وشعرها فى لون الكستناء .

كانت تسيل رقة وحلاوة وهى ترتدى زياً بحرياً أنيقاً ، وقدمها لنا أصحاب
اليخت .. كان اسمها « جابى نيچ » .. من بلجيكا .. وما إن رأى فاروق جابى حتى
انصرف تماماً عن صاحبيه .. التفت إليها بكل حواسه .. وراح يسدد إليها نظراته
التمثيلية المعروفة التى يتظاهر عن طريقها بأنه رجل ذواقه خير بجمال النساء .. وكان
الموقف محرجاً .. ولكن الحرج سرعان مازال .. ليحل محله الحجل .. فقد دخل
خادم اليخت يحمل صينية كبيرة عليها أكواب من عصير البرتقال والليمون وأطباق
حافلة بكميات من الساندويتش ، والمشهيات .. وما كاد الخادم يضع الصينية على
يسار فاروق حتى استدار ليواجهها .. ثم يندج ، بصورة غريبة ، وبكل ما فيه من
حواس وتفكير فى التهام أكواب العصير والساندويتش .. وساد صمت طويل .. لم
يكن يقطعه سوى الصوت الصادر من فم فاروق وهو يرتشف العصير وأسنانه وهى
تلتهم الساندويتش^(٣) .

وهكذا ...

فى خلال ساعات المنفى الأولى نسي فاروق ما جرى له فى مصر ، واندفع نحو
النساء والطعام ، وكأنه لا يزال ملكاً .. أو كأنه لم يتعرض إلى أشد المواقف العصيبة
فى حياته قبل أيام تعد على أصابع اليد الواحدة .

□ □

فى خلال إقامته بكابرى ، جاءت موافقة الحكومة الإيطالية على منحه حق اللجوء
السياسى .. وفى المقابل تعهد إليها ألا يقوم بأى عمل يحمل معنى النشاط السياسى ! .
وبعد الموافقة انتقلت العائلة المالكة من كابرى إلى بلدة تدعى « سانتا ماريللا » .

(٣) الجزء الثالث — الحلقة السابعة من المذكرات التى سبق الإشارة إلى مصدرها .

تبعد عن روما بحوالى (١٧) كيلو متر .. وتطل على البحر .. لكن ، فاروق أحس بأنها غير آمنة فانتقلوا بعد شهرين إلى فيلا « دو سميث » فى ضاحية « جروتا فراتا » التابعة لبلدة « فرسكاتى » الشهيرة بإنتاج النبيذ ، وتبعد (١٠) كيلو مترات عن العاصمة .

والفيلا كبيرة .. تصل إلى مستوى القصر .. أمامها حديقة مساحتها كبيرة ، ومكونة من (٣) أدوار .. الدور الأرضى للإستقبال .. ويضم صالونات متنوعة الطرز .. وحجرة مكتب فاروق .. وحجرة مكتب سكرتيره .. وصالة الطعام .. أما الدور الثانى فيضم شقة للملك وزوجته ، وشقة أخرى للسكرتير .. والدور الثالث والأخير مخصص للأميرات والمربيات .. وفيه الجناح الخاص للصغير أحمد فؤاد .

وفى مبنى ملحق .. بالحديقة ، كان يعيش الحرس الألبان .. المسلحون بالمدافع الرشاشة أثناء تواجدهم فى الفيلا .. وبالمسدسات الأتوماتيكية عند مرافقة أفراد الأسرة فى الخارج .. وكان يشاركونهم فى حراسة الفيلا مجموعة من الكلاب القوية ، والشرسة ، والمدرية .. منها ماهو نصف كلب ونصف ذئب .. والمعروف أن الملك فاروق كان يهوى اقتناء الأنواع النادرة من الكلاب ، والمسدسات ، والخنجر ، وطوايع البريد .

وفى المنفى ، واصل ممارسة هذه الهواية .. وأضاف إليها هواية تسجيل علاقاته النسائية فى « مفكرة » خاصة ، وصفت بأنها « مفكرة الغرام » .. سجل فيها المعلومات الأساسية عن « حريم » المنفى .

وعكست هذه الهواية إحساساً هائلاً بالملل والفراغ .. فلا شئ آخر يستهويه .. لا القراءة .. ولا الرياضة .. ولا المسرح .. ولا الأوبرا .. ولا المناقشات السياسية .. ولا تأمل التجارب التاريخية .

وفى كل مساء كان يتوجه بسيارته إلى روما ، حيث يتناول عشاءه فى كافيه « دى بارى » .. أو قهوة باريس ، وهى قهوة مفتوحة فى الهواء الطلق ، بها مطعم داخلى ، مغلق ، كان يفضلها .. وبعد العشاء كان يتردد على النوادى الليلية ، بمختلف مستوياتها .. فقد كان زبوناً شهيراً فى « جيكى كلوب » وهو كباريه تحت الأرض ،

مبنى فى أحد سراديب روما القديمة .. و « أوبن جيت » أو البوابة المفتوحة .. وهو من أرق النوادى الليلية ، يتردد عليه صفوة الناس .. و « اليجال » وهو ملهى ليل متوسط المستوى .. بالإضافة إلى علب الليل الرخيصة المنتشرة فى شارع « فينتو » .. أو شارع الدعارة الذى انتعش بدولارات جنود الجيش الخامس الأمريكى بعد الحرب العالمية الثانية .

وكثيراً ماكان يتردد على كازينوهات القمار الصيفى ، القرية من ميدان « باربرينى » .. إنه الآن يقامر بأمواله ، فلا داعى للمجازفة .. كذلك فإنه يقامر كشخص عادى ، لا كملك ، كما كان فى مصر ، حيث كان الأثرياء يتعمدون أن يخسروا أمامه ، ليحققوا مطالبهم بعد ذلك .. إنها رشوة سامية الأسلوب .. ولا يمكن أيضاً أن يغش فى اللعب دون محاسبة ، كما كان يفعل وهو فوق العرش .. فالغش كانت أبرز صفاته فى لعبة « البوكر » .

وبالمناسبة .. يروى ياسين سراج الدين لى ، أنه كان يلعب القمار — فى حجرته المخصصة لذلك فى نادى السيارات — عندما قال فجأة لمن كانوا معه :

— أنا كسبت الدور !!

فقال شخص آخر لم يكن يعرف طريقته فى اللعب :

— كيف يامولاي ؟!

— معى أربعة رواه (أى أربعة ملوك) .

— ولكن أنا معى ورقة رواه ، والكوتشينه فيها أربعة فقط !

— أنا معى (٣) ملوك كوتشينة .. وأنا الملك الرابع .. أنا أكسب !!

لم يعد من الممكن أن يغش فاروق — فى القمار — على هذا النحو ، أو غيره .. ومن ثم كان يقامر بنقود قليلة .. كما كان يراهن كل أسبوع فى ملاعب كرة القدم الإيطالية .. والكثير من وقته — خاصة فى الصباح — كان يبدده فى احتساء عصير الفواكهة ، من الماكينات التى تقدمه ، بمجرد أن تضع فيها الليرات المعدنية .

□ □

وكما انخفض مستواه فى القمار ، انخفض ذوقه فى النساء .

كان مصدر الإعجاب به أنه ملك سابق .. وكان مدخله لكل امرأة أو فتاة يصادفها ، عبارة واحدة ، يقولها أصبحت شهيرة في كل كباريات روما : « آه لو رأيتك من قبل .. كنت جعلتك ملكة » .. ولأنه لا أمل في أن تصبح ملكة الآن ، فإنها تكتفى بمعرفة ملك سابق .

وحسب ما كشفه سكرتيره الخاص :^(٤)

— كان لفاروق طقوساً خاصة في التعامل مع النساء .. عندما يأتي بهن إلى البيت .. كان يتصل بخادمه تليفونياً ليتخذ التدابير اللازمة لاستقبال « الضيفة » .. وكانت هذه التدابير تختلف باختلاف المرأة .. وتتغير حسب الوقت الذي قرر أن يقضيه مع الصيد الثمين .. فإذا كانت المرأة ستقضى ليلة واحدة — وهي في هذه الحالة غالباً ماتكون من رائدات الملاهى أو نساء الليل — فإن التدابير تقتضى إعداد مائدة صغيرة أمام حجرتة عليها بعض الأطعمة .

أما إذا كانت من نوع أرق .. فإنه يأمر بالشمبانيا والفواكة والحلوى ، ويحرص على أن تنثر الزهور على المائدة وبجانب مخدعه .

وكان أيضاً يستعد للقاء الصيد بطريقته الخاصة .. كان يدلك وجهه ورأسه بعطره المفضل « ياردلى » .. ثم يرش العطر على مفرش السرير والسجادة ويقوم بعد ذلك إلى صيدليته في الحمام المجاور لغرفة النوم حيث يحتفظ بعدد من المركبات الطبية والوصفات البلدية التى يدخل في تحضيرها العسل النحل .

وإذا كانت المرأة ممن عرفهن عن طريق وسيطة أو وسيط .. فإن فاروق كان يحرص على أن يدعو من باب المجاملة من كان له الفضل في عملية التعارف .. وحيث كان يوفد الطبّاعين والخدم في أى ساعة من ساعات الليل لاعداد مائدة تليق بالمناسبة السعيدة .

وإذا كانت الضيفة من « سارحات الليل » أمر في ساعة مبكرة من الصباح بتاكسى يحملها من بيته إلى المدينة .. وكان يدفع لها أجراً يتراوح بين العشرين

(٤) المصدر السابق — الجزء الثانى — الحلقة الأولى .

والخمسين جنيهاً .. أما إذا كانت من النوع الآخر ، الممتاز فإنه يستقبلها لتناول معه طعام الفطور والغداء ثم يأمر بسيارته الخاصة لتوصيلها .. وكان يدفع للمرأة — من هذا النوع أحياناً — مبلغاً يصل إلى مائة جنيه .. ويعطيها هدية تقليدية من التي يحتفظ بعدد كبير منها .. كأن يعطيها فم سجائر من الذهب ، أو خاتماً ، أو بروشاً . يضاف إلى ذلك .. أنه استأجر شقة — جارسونيرة في شارع « برونو بوتس » .. وكانت تقع في الدور الثالث .. وتتكون من حجرتي نوم وصالون وحمام .. وإيجارها الشهري ٢٥٠ جنيهاً .

وكانت أولى عشيقاته .. شقراء أمريكية اسمها دورى .. أخذها فاروق من صديقها عازف البيانو الذى يكسب قوته من العزف أمام رواد الملاهى الليلة .. وقد احتقرته في البداية .. ووصفته بالسمين ، السخيف .. ولكن .. هداياه التي أغرقتها ، جعلته في عينيها رشيقياً ، خفيف الظل .. على أن ذلك .. لم يستمر طويلاً .. فبعد أن حصلت على ثمن سيارة ، حملت أكوام الهدايا ، وسافرت فجأة إلى باريس .. ولم تترك لفاروق سوى صورة كبيرة لها وهي نصف عارية .

□ □

وراح فاروق يبحث عن عشيقة جديدة . وقادته الصدفة إلى كازينو « بلنديردى روز » .. في ليلة كان الكازينو يقيم فيها مسابقة للجمال .. وفي طاوور عرض الفتيات وقعت عيناه على فتاة رشيقة .. حلوة .. جذابة .. عمرها (١٨) سنة ، هى إيرما كاييتش مينوتولو .. وبعد دقائق من الفحص والخيال ، استقرت في مزاجه .

كان ذلك في صيف ١٩٥٣ ، وكان فاروق خالياً ، فقد هجرته ناريمان ، طالبة الطلاق ، وسافرت إلى سويسرا .. وأسعده ذلك .. ولكن ما أسعده أكثر هو التعرف على إيرما .. لأنها تحمل المواصفات التي يفضلها في النساء .. الفم الشهى .. الصدر الضابط على الثوب وكأنه سيقفز من فتحة .. القوام المشوق .. الصوت الداعر .. والحنان الزائف .

وقد خسرت المسابقة .. وانهار حلمها في أن تصبح نجمة سينائية .. واحتج فاروق

على خروجها من المسابقة .. ودعاها إلى مائدته .. واستجابت على أمل أن تدخل
السيما من الباب الملكي .. حيث الثروة ، والشهرة ، وجنون العظمة .. ونجحت في
إقناعه بأنها « ماركيزة » من أسرة عريقة ، لاتقل عن عراقه أسرته .. فأحس أنه أخيراً
وجد ضالته المتشودة .. وقيل إنه أحبها بجنون .. وقيل إنها فهمت عقده النفسية
والجنسية ، فنجحت في الاحتفاظ به ، كما فعلت « كاميليا » من قبل .. والمؤكد أنها
ظلت صديقه حتى لفظ أنفاسه الأخيرة .. والمؤكد أنه ضرب بكل شيء عرض
الحائط ، ودعاها للإقامة في جناح فاريمان ، على بعد أمتار قليلة من بناته وابنه .. وقد
بدأ ذلك بنص سكرتيره الخاص ، قائلاً :

— الوحدة صعبة ، قاتلة ، وغير محتملة يا أمين .

— أبحث عما يشغلك يامولاي ، ويحطمها .

— أنت شفت إيرما في الكازينو .. بنت ناس طيبين ، حاتيجي تقعد معنا

— فين ؟

— في القصر !

— زوجة ؟

— لا .

— عشيقة ؟

— صديقة !

— وأولادك ؟

— ستكون بعيدة عنهم .

— إذن اسمح لي يامولاي .. عليها أن تكون في حالها .. ولا تفرض على الأولاد

أى شيء .. ولا تتعامل معهم ، أو تتصل بهم .. كذلك أنا .

— مفيش مانع !

وجاءت إيرما إلى القصر وهي تشعر بأنها ملكة .

ولكن .. بعد أسابيع وقعت مفاجأة .. فقد اتضح أن الماركيزة التي تنتمي إلى

أسرة مينوتولو العريقة ، هي ابنة سائق تاكسى فقير ، يعيش مع أمها في إحدى حواري

نابولى الفقيرة .. وكان أقصى ما يمكن أن تصل إليه أن تكون عاملة في محل بقالة ،
أو في مطعم بيتسا ، أو في بار رخيص .. وقد عملت بالفعل في صالون تجميل ..
ولكنها لم تستمر ، وإن خرجت منه بأعز صديقاتها .. آنا ماريا جاقى .. وما كشف
حقيقتها أن أسرة « مينوتولو » التى سرقت اسمها ، رفعت دعوى قضائية ضدها ، بعد
أن أفرطت صحف الفضائح الإيطالية في نشر أخبار 'علاقتها السيئة بالملك فاروق
وصورهما معاً !

والمذهل .. أن فاروق أصر على أنها على حق .. وكلف أربعة محامين بالدفاع
عنها .. وظل طوال سنة كاملة مشغولاً بهذه القضية .. وخلال هذه السنة كانت إيروما
تعيش في الفيلا معزولة .. لا يكلّمها أفراد الأسرة ، سوى فاروق نفسه .. حتى
الاحتفال بعيد ميلادها ، كان قاصراً على الملك السابق فقط .
وفي يوم من الأيام ، قال فاروق لأمين فهميم :

— أختي فائزة وصلت من باريس روح جبها من اللوكاندة تتغدى معانا .
وجاءت فائزة لتجلس على يسار فاروق .. « وفوجئنا بإيروما تجلس على يمينه ،
بعد أن جلست البنات ، وأنا بجوارهم ، فأصابتنا المفاجأة بالشلل ، ولم نقدر على
الانسحاب » (٥) .

وبعد الغداء قالت فائزة :

— أنا شايقة إنها مؤدبة ، وبنت ناس !
فأخذتها ابنة فاروق الكبرى فريال من يدها لتطل من نافذة حجرتها — التى
تكشف شرفة فاروق — فرأت شقيقها وإيروما وهما عاريان تماماً .
فقالت فائزة :

— دى مش مؤدبة ، دى سافلة ، وبنت ستين كلب !!

ثم استطردت :

— هى مالهش أهل يسألوا عليها !؟

(٥) حوار مباشر معه .

ولم تجد من يجيب على سؤالها .. ولكن بعد عدة أسابيع أخرى .. جاء الأب والأم يسألان عن ابنتهما .. وتأكد تماماً .. أن الماركيز — الأب لا يملك في جيبه ثمن تذكرة العودة إلى نابولي .. وأن الماركيزة — الأم كانت تخدم في البيوت باليومية .. ولم يُصدم فاروق .. واستأجر لهما غرفة في فندق صغير .. « أحضر شقيقة إيرما ، أو الماركيزة الصغيرة ، وكانت تبلغ حوالى الرابعة عشرة — وإن كانت تبدو في العشرين — لتعيش في البيت »^(٦) .

□ □

إن فاروق لم يكن يتراجع عن الخطأ حتى بعد أن تصبح الحقيقة واضحة ، وساخنة ، مثل قرص الشمس في الظهيرة .
ويمكن أن نجد له العذر في ذلك .. فقد زرعوا الفساد في تربيته منذ أيام المراهقة ، فحصد العث ، والاستهتار ، واللامبالاة في سنوات الرجولة .
وكان على عكس والده الذى كان يكفيه أنه أسس في مصر .. « الجمعية الجغرافية الملكية » .. و « الجمعية المصرية للقانون والاقتصاد والتشريع » .

وللإنصاف فإن فاروق أراد أن يتجاوز ابنه الاحساس بالجهل المترسب في أعماقه ، فسعى إلى تعليمه في أفضل المعاهد .. وفي فبراير ١٩٥٤ ، وكان عمر ابنه حوالى السنتين ، أرسل سكرتيه الخاص إلى لندن لحجز مكان لابنه في كلية « أيتون » ، وهى مدرسة ثانوية عسكرية شهيرة .. ترى وتعلم أولاد الملوك والأمراء في العالم ، ولا بد من حجز مكان فيها قبل سنوات طويلة .. وحجزت المدرسة بالفعل مكاناً لأحمد فؤاد .. ولكنه لم يشغله .. فقد مات والده قبل أن يصل إلى السن المناسبة لدخول هذه المدرسة .. واختار له القدر طريقاً آخر في الدراسة والحياة ، غير الذى كان يريد والده .
إنه تمنى لابنه حياة غير التى عاشتها .. ومصير غير الذى فرض عليه .. على فاروق .. تمنى أن يكون رجلاً ، صارماً ، يحترم الأصول ، ويفهم في التقاليد ، ولا يلعب القمار ، أو يحترف السهر مع الغواى ، أو يأخذ أشياء ونساء غيره .. لقد أراد به

(٦) نعيم : مذكراته — الجزء التالى — الحلقة الخامسة .

على عكسه تماماً .. أراد أن يتعلم الأدب من قلة الأدب ؟! .. كيف ؟ .. أن لا يفعل مايفعله .. أو يفعل عكسه تماماً . لم يرد فاروق أن يكون ابنه مثله .. وإنما أراد أن يكون نقيضاً له .. مؤدب مثقف .. ملتزم .. جريء .. شجاع .. لا يهرب وقت الشدة .. يواجه الأزمات .. غير مدلل .. يجيد الحديث .. جاد .. لا يهوى المقالب الطفولية .. بل .. أكثر من ذلك تمنى أن يزيل ابنه كل ما ورثه عن أسرته .. أراد أن ينظف خلاياه من بصمات انتقلت إليه من أقرب الناس إليه .. وجه جدته نازلي المكشوف .. سلاطة لسان جدته الأخرى ، أصيلة .. جنون العظمة الذى حكم تصرفات أمه .. والطيش الذى كان مفتاح شخصية أبيه .

ولعل المنفى أنقذ الطفل من ميوعة القصور التى أفسدت والده .. فقليل من الحرمان يصلح من تربية الصغار .. لقد أصبح عليه أن يعتمد على نفسه أكثر ، وأن يتعلم أفضل ، وأن تكون أخلاقه أرق .. وأصبح عليه أن يلقي بالماضى وراء ظهره .. وينظر إلى الأمام فى تحدٍ وثبات .. وكان عليه مسئولية خلق جيل جديد من أسرته يزيل سوء سمعة الأجيال التى سبقتة .

وقد وصل هذا السوء إلى حد أن والده .. كان يعاشر العاهرات .. على بعد خطوات من حجرة نوم بناته .. وكان على مربية الملك الصغير أن تعزله عن ذلك .. وعن أشياء أخرى .. كثيرة .. كانت كافية لتحطيم مدرسة أطفال ، لا طفل واحد .. وكانت العزلة المفروضة على أحمد فؤاد .. بأمر من والده .. وكان هذا الأمر هو الحسنة الوحيدة له فى المنفى .. فلا أحد مسئول عنه إلا مربيته .. حتى أمه .. ناريمان ، لم يكن من حقها تدليله ، ولا تقبيله ، ولا إطعامه ، إلا إذا سمحت المربية .. وكانت إذا احتجت ناريمان على ذلك ، تدخل فاروق لإنصاف المربية .

إنه التاريخ عندما يعيد نفسه ، لكن بعد أن يصحح مساره .
فلولا ذلك .. لكان أحمد فؤاد .. صاحب كبرية .. أو مدير كازينو قمار .. أو مسئول عن بيت مشبوه .. أو عضو فى عصابة لتهريب المخدرات .. كل الطرق كانت مفتوحة أمامه إلى هذا المصير الأسود .. لولا عزله .. ثم سفره .. وابتعاده عن هذا المأخور الذى يعيش فيه فاروق فى المنفى .

الأخرس والطرطور والبصحين :

لم يصدق الضباط الأحرار أنهم تخلصوا من الملك فاروق بهذه السهولة .
لأنهم لم يفكروا في طرده .. ولكن ، نجاح حركتهم المبدئية الخاطف ، والمفاجيء ،
وغير المتوقع ، جعلهم يفكرون في ذلك .. وشجعهم سياسى عجوز ، شهد تولى
فاروق العرش ، وشهد سقوطه من فوقه وهو على ماهر .. وضاعف من حماسهم
عجوز آخر .. كان يريد أن ترث بلاده الوجود البريطانى فى مصر ، وهى السفير
الأمريكى فى القاهرة ، جيفرسون كافرى .. الذى ضمن سلامة الانقلاب من تدخل
الإنجليز ، وضمن سلامة الملك من تهور بعض الثوار .
ولكن ...

من ناحية أخرى ، أهم وأخطر .. لم يقاوم الملك ، ولم يفكر فى المقاومة .. وأسقط
نفسه بنفسه .. أو سهّل على الأقل عملية إسقاطه .. إن ذعره ، ويأسه وتحلل
شخصيته .. لم يسمحوا له بالمقاومة أو المساومة .. وكان كل ما يزعجه فى ذلك
الوقت .. أن يفتح الثوار قبر والده .. « ويمثلوا بجثته » .. وهو ما لم يخطر على بالهم ..
وكان كل ما حرص عليه أن يخرج فى وداع رسمى .. أى المظهر لا الجوهر .
ولذلك .. يصفه ياسين سراج الدين بأنه « كان من أجبن الشخصيات التى خلقها
ربنا » .

س : والسبب ؟

ج : « كان الحرس الملكى المكون من (٥) آلاف شخص قوى معه ، والسلاح
البحرى أيضاً .. ونصف سلاح الطيران كذلك .. وبالرغم من هذا كله لم يظهر
أى مقاومة »^(١) .

(١) حوار مباشر معه .

والمغنى .. أنه خرج من البلاد مثل البرميل الثقيل ، أو الزير السمين .. لافرق .
على أنه فيما بعد .. لم يكن يكف — أمام زوجته وبناته — عن التباهى بشجاعته ،
يوم حاصر الجيش قصر رأس التين .. وحسب رواية سكرتيره الخاص ، فإنه قال :
— عندما حاصرت قوات الجيش ، قصر رأس التين لم أشعر بأى خوف أو اضطراب ..
لم أفقد رباطة جأشى وشجاعتى .. وعندما بدأ بعض الجنود يطلقون الرصاص على داخل
القصر ، سارعت إلى بندقيتى الرشاشة وخرجت إلى الشرفة لأرد على المعتدين .. وكنت
في هذه اللحظة أستطيع أن أقتل المئات منهم ولكن الذين حولى منعولى ! .
كان فاروق يتكلم وهو يلوح بيديه ويمثل دور البطل الشجاع .. وبعد أن
خرج ، همست ناريمان :

— ذهبت إلى شرفة القصر لأرى بنفسى القوات التى تجمعت حول القصر
وحاصرته ، ثم لحق بى فاروق وما إن وقف إلى جانبي حتى بدأت طلقات الرصاص
تتطاير فوق رأسينا فأخذ فاروق يجذب شعر رأسى ، ورمى نفسه على الأرض ،
ونام على بطنه ، وجذبنى معه لئلا تنجو من الموت .

وخرجت ناريمان من الغرفة عندما ناداها فاروق .. وإذا بفريال تقول :
— فى الساعة التى كان الجيش فيها يحاصر القصر أمسك والدى بمسدس فى
يده .. وكان منظره مضحكاً فى ذلك الموقف المؤلم .. كانت يده ترتجف وكان
المسدس يهتز فى يده المرتجفة .. وكان يهرول فى حركة جنونية .. يجرى من حجرة
إلى حجرة أخرى .. كان يبكى من الخوف والاضطراب واليأس .. وأقسم أننى
كنت فى منتهى الحجل من هذا المنظر .. كنت أتمنى أن أرى والدى فى هذه اللحظة
متأسك الأعصاب .. كنت أتصوره سيتلقى الهزيمة بنفس الأعصاب التى يتلقى بها
النصر .. وكنت أرى الوجوه كلها تنظر إليه .. وجوه الخدم والحرس والحاشية ..
وشعرت فى هذه اللحظة بذل غريب .. وتقدمت إليه وأنا أقول : « ماتتخفش
بابا .. ربنا معانا » .. ولكن بابا لم يسمعنى .. لقد دفننى يده وتركنى وأسرع إلى
جناحه وهو يبكى (٧) !

لم يستوعب أحمد فؤاد ماجرى في ذلك الوقت .. فقد كان عمره حوالى ستة أشهر فقط .. بينما كان عمر فريال أكثر من (١٤) سنة .. ولكنه فيما بعد قال : « إن والدى الملك فاروق وافق على الرحيل من مصر في ٢٦ يوليو ١٩٥٢ ، ورفض تدخل القوات الإنجليزية التى كانت معسكرة على طول القناة لتعمل على بقاءه »^(٣) .

والمقصود .. أن والده رفض البقاء فوق العرش بدعم من الإنجليز .. وفضل أن يكون ملكاً سابقاً ، على أن يكون ملكاً حالياً بتدخل قوات الاحتلال .. وهو تصور لادليل على صحته .. خاصة وأن الملك فاروق — فى حادث ٤ فبراير الشهير — استسلم لإرادة الإنجليز .. خوفاً على عرشه .. لا على كرامته .

ولكن .. فى موضع آخر ، يعترف بضعف شخصية والده .. وفساده .. ولم يتردد أيضاً فى تبرير تصرفاته .. فقد قيل له :

— الذى يتابع سلوك الملك فاروق ، يرى أنه كان شاباً لاهياً ، يفضل قضاء وقته فى علب الليل .. ولم يكن مؤهلاً للحكم .. مارأيك ؟

— قال :^(٤)

— لقد تولى الملك فاروق الحكم وعمره ستة عشر عاماً .. لقد كان صغيراً جداً .. نعم كان بالفعل يجب ذلك .. لأنه عاش طفولته مغلقاً عليه داخل القصر .. كان يجب التسلية .. ولكن عندما يكون المرء ملكاً .. فإنه يجب عليه تحمل المسؤوليات .. ولقد كان ذلك ضعفاً شخصياً .. ولكن لا يمكن أن نصدر حكماً على نظام بأكمله من خلال السلوك الشخصى فقط .. ولكن بتقييم ميزانية الدولة .. وحالة الاقتصاد .. والاشعاع الثقافى .. لقد كان الذهب المصرى فى البنك المركزى البريطانى يساعد الإنجليز — فى حالة الأزمات الاقتصادية التى كانت تعاني منها — ولا يجب أن ننسى أيضاً أنه كانت هناك حكومة مسئولة .. تنفذ سياسة أقرتها الأغلبية فى البرلمان .. إننى لا أقول إنه يجب تقديم العذر للملك فاروق .. أو التغاضى عن أخطائه .. ولكن يجب أن نكون عادلين فى تقييمنا للنظام بشكل شامل وكامل .

(٣) السياسة الكويتية — ١٠/٩ — ١٩٧٨ .

(٤) د . وليد وهسا — أحمد فؤاد يتكلم للمرة الأولى — مجلة آخر ساعة — ١٩/٦/١٩٩١ .

س : إن الملك فاروق فيما بعد لم يتلق تكويناً وتعليماً وإعداداً ، يسمح له بأن يكون ملكاً :

ج : لقد أرسله جدى الملك فؤاد إلى الأكاديمية العسكرية البريطانية وسنه ستة عشر عاماً .. ثم توفي جدى الملك فؤاد فى نفس العام .. وبدأت تظهر بوادر الحرب العالمية الثانية ، ورأى مجلس الوصاية أن هناك خطراً عليه .. كملك .. فعاد إلى مصر دون أن يتمكن من تنفيذ المخطط الدراسى الذى كان معداً له .. ورغم كل ذلك كان الملك فاروق يتمتع بشعبية كبيرة حتى أواخر الأربعينات .. وكان بإمكانه السير بعريته المكشوفة فى وسط القاهرة .. ولكن لابد من الاقرار بأنه فقد هذه الشعبية فى الستين الأخيرتين قبل مغادرته مصر .. حيث حدث شرخ بينه وبين الشعب .

□ □

إن أحمد فؤاد — الذى يتحدث بهذا الفهم — لم يشهد بنفسه ما يتحدث عنه .. فقد كان — يوم تنازل والده عن العرش وأصبح هو ملك مصر وحاكمها الشرعى — لا يزال يبول على نفسه .. ولا يزال يمص أصابعه قبل النوم .. وأكثر من ذلك كان فى المنفى .. وهذا ما جعل رجال الثورة يحكمون ، ويملكون ، ويتصرفون ، وكأنه غير موجود ، حتى كرمز للعرش .. ويمكن القول إنهم وافقوا على توليه العرش من باب إلغاء الملكية خطوة .. خطوة .. وليس مرة واحدة ، خوفاً من ردود فعل بريطانيا غير المتوقعة .. كما أنهم — من ناحية أخرى — لم يسارعوا بإعلان الجمهورية ، حتى لا يفقدوا أكبر حلفائهم فى ذلك الوقت الحرج .. الإخوان المسلمين .. الذين كانوا يريدون إسقاط الملكية وإعلان الخلافة الإسلامية .

وهكذا .. كان بقاء أحمد فؤاد ملكاً .. وتأجيل إسقاطه .. وتأجيل إعلان الجمهورية ، مسألة إجبارية فرضتها صراعات الكواليس على السلطة فى سنوات الثورة الأولى .. سنوات الحضنة .

ومن ثم .. كان لابد من تشكيل « مجلس وصاية على العرش » .. وحدث جدل قانونى ودستورى حاد ، انتهى بأن يكون الأوصياء على العرش هم : الأمير محمد عبد المنعم ، وبهى الدين بركات ، ورشاد مهنا ممثلاً عن الجيش فى المجلس .. ولأن رشاد

مهنا هو مندوب قيادة الثورة .. السلطة الجديدة فإنه كان الرجل الأقوى في مجلس الوصاية .. مع أن الأمير محمد عبد المنعم كان رئيس المجلس .

وقد أرسل فاروق إلى الأمير محمد عبد المنعم رسالة سرية ، طالبه فيها بما لا يطيق^(٥) « أخى وابن عمى العزيز

لست في حاجة إلى أن أخبرك بمقدار ارتياحى .. وأنى واثق أنك تعرف مسئوليتك العظيمة تجاه أسرة محمد على في هذه الظروف ، وإننى أتوقع منك أن تحافظ على حقوق ابنى الذى أصبح ملكاً .. وأن تحافظ كذلك على حقوق وحقوق زوجتى وبنائى .

إننى أرجو أن تستطيع استخلاص مجموعة النقود الأثرية ، ومجموعة الطوابع البريدية الخاصة بى ، والموجودة فى القصر ، أرجو أن ترسلها لى فى إيطاليا .
إن كلا منها مجموعة عزيزة علىّ .. أمضيت كل شبائى فى جمعها ودراستها .. إنها ستكون لى أحسن سلوى فى منفاى .

فاروق

ووصلت البرقية إلى الأمير .. لكنه مزقها على الفور من الخوف .. خاصة وأنها كانت مختومة بخاتم فاروق الرسمى .. الذى كان لا يزال يحتفظ به .. ويستعمله .. وطلب الأمير من الوسيط الذى حمل الرسالة ألا يعود فاروق إلى الكتابة إليه مرة أخرى .. وقال له وهو فى شدة الغضب :
— أنا لا أستطيع أن أفعل لفاروق شيئاً^(٦) .

وعندما عرف فاروق بما جرى ، علق بأسلوبه الساخر قائلاً :
— كنت فاهم أنه سيتحول من طرطور إلى وصى على العرش .. لكن ..
الطرطور ، طرطور حتى لو حولوه إلى ملك !!

أما الذى كان يتصرف كملك فى غياب الملك ، فهو رشاد مهنا .. مع أنه كان ثلث ملك — حسب القانون — فقط .. وقد أزعج باقى أعضاء مجلس قيادة الثورة

(٥) فهم — مذكراته — الحلقة التاسعة .

(٦) المصدر السابق .

أن يعاملهم كصاحب الجلالة .. بعد أن كان واحداً منهم .. فكان أن أقالوه من منصبه في ١٣ أكتوبر ١٩٥٢ .. أى قبل أقل من (٣) أشهر .
وقد روى لى رشاد مهنا ما جرى .. (٧) .

وقال :

— بعد الثورة جاء جمال سالم وقال : احنا اجتماعنا وقررنا إنك تبقى وصى على « العرش » وقبلت .. فقال جمال سالم : « إذن لابد أن تدخل الوزارة كخطوة ضرورية قبل أن تصبح وصياً على العرش » .. وأصبحت وزيراً للمواصلات .. ومن الوزارة رحت مجلس الوصاية .. ولكنهم تجاهلوني في كل ما يصدرونه من قرارات .. فكان أن استدعيت محمد نجيب ، وقلت له : إني لست بصمجياً يأنجب حتى أوافق على قراراتكم دون أن أشارك في إصدارها .

س : ماذا كان تبريرهم لتجاهلك ؟

ج : قالوا : أنت وصى .. تملك ولا تحكم حسب الدستور .

س : ولماذا قرروا إقالتك من موقع الوصى ؟

ج : أرادوا أن يتفردوا بالسلطة .

س : وجددوا إقامتك أيضاً ؟

ج : نعم .. فى بيتى .. ثم اقترح جمال عبد الناصر إبعادى كسفير لمصر فى الهند .. وهددوني إما القبول وإما المؤبد .. ثم اتهموني بتحريض ضباط المدفعية للإنتقال عليهم ، وحكموا على بالإعدام ، ولم يعترض على الحكم سوى جمال عبد الناصر وكان هذا الإعتراض كافياً لعدم شئنى .

وهكذا .. سقط الملك البديل الذى اختاره الثوار .. لأنه رفض أن يكون « بصمجياً » .. بل أكثر من ذلك جاولوا نفيه مثل الملك فاروق .. ولكن إلى الهند لا إلى إيطاليا .. أى إلى مكان أبعد .

وبقى فى مجلس الوصاية .. « الطرطور » .. الأمير محمد عبد المنعم حسب وصف

(٧) حوار مباشر معه جرى بحضور شقيق زوجته السفير عيسى سراج الدين ، ول مكتبه بوسط القاهرة .

الملك فاروق .. و « الأخرس » .. بهي الدين بركات .. حسب الدور الذى رسمه منذ اللحظة الأولى لاختياره .. فهو لا يملك ولا يحكم .. ولا يتكلم ولا يتحرك .. وهو يعرف أن دوره مؤقت .. حسبة أشهر إن لم تكن حسبة أيام .. وهو ما حدث بالفعل . □ □

فى ذلك الوقت بدأ الصراع الداخلى يشتد تحت جلد الضباط الأحرار .. وتسلى « فيروس » الفساد ليرفع من درجة حرارة هذا الصراع ، الذى كان واضحاً أنه على السلطة ، والقوة ، والنفوذ ، والوجاهة ، وشهوة الحكم ، وتمع الحياة أيضاً .. ومن ثم .. قيل .. بعد أقل من شهرين على نجاح الحركة : « ذهب فاروق وجاء (١٤) غيره » .. ورقم (١٤) هو عدد أعضاء مجلس القيادة .. والعبارة شهيرة ، مؤلمة .. ولكن كان هناك ألف دليل على صدقها وصحتها .

فقد انتهى أحد أعضاء القيادة البارزين .. الأميرة فائزة ، شقيقة فاروق ، وتساءل بينه وبين نفسه عن « طعم » الأميرات .. فترك بيته ، وسكن بجوار قصرها ، وقد سمحت له بالكثير .. مع أنها كانت متزوجة من النبيل محمد على رؤوف ، وفى المقابل استغلته أكثر .. فكان أن ساعدها فى تهريب مجوهراتها وأموالها إلى الخارج .. وحسب شهادة الضابط الذى تولى حصر ممتلكاتها الثمينة ، فإنه كان فى خزانة ملابسها .. « حقيقتين كبيرتين مملوءتين بالماس » .. وكان قصرها « عبارة عن مخزن ، كل شيء مكسوس فى الحجرات ومربوط فى إحكام فى انتظار نقله إلى جهة غير معروفة .. عشرات الحقائق الكبيرة المليئة بالملابس ، عشرات الصناديق التى نقش فوقها اسم كريستيان ديور .. صندوق ضخيم كبير يحتوى على كل أدوات اللعب والفيشات .. لوحات زيتية ثمينة لُفّت وكُدست فى إحدى القاعات .. تحف نادرة لا حصر لها .. مكتبة كاملة من الكتب الإنجليزية والفرنسية ، وضعت فوق بعضها البعض .. وحقائب وصناديق مغلقة لا حصر لها تحتل أغلب حجرات القصر » .. وعثر على كراسي كانت الأميرة فائزة تكتب فيها شعراً عاطفياً باللغة الفرنسية .. كما عثر على مجموعة كبيرة من الصور فى الألبومات لها وهى على شواطئ فرنسا .. بالمليو .. وقدمت رئيسة الخدم الشركسية الأصل « زليخة » إلى رئيس لجنة المصادرة البكباشي

(مقدم) محمود يونس ، بعض السيوف الأثرية ذات المقابض الذهبية ، ومسدسين من الحجم الكبير .. ولوحظ أثناء المعاينة وجود أكثر من ثلاثين صندوقاً من صناديق المجوهرات القطيفة .. فارغة .. سعلت زليخة عن المجوهرات التى كانت فيها فأقسمت بأنها لاتعرف عنها شيئاً .. وأغلب الظن أنها المجوهرات التى خرجت بها إلى استانبول ومنها إلى باريس ، بمعاونة عضو مجلس القيادة ، الحبيب المنهور ، الوهان .. بعد أن نالها .. وقيل إن سر شغفه بها أنه رآها قبل الثورة بليلة واحدة وهى تراقص الملحق الجوى الأمريكى .. وقيل إنها كانت الأقرب فى طباعها إلى الملكة نازلى .. وقيل إنها أحست بأنها أهانت جسدها ، وفرطت فى كرامتها مقابل أشياء تملكها ، فراحت وهى فى باريس ، فى غيبوبة الخمر ، واستهواها التقاط المتشردين من الأرصفة والملاهى الليلة الرخيصة .. أى أنها عاقبت نفسها بمزيد من الإهانة .

واعترض عضو آخر فى القيادة هو بهال سالم .. على إضافة عبارة : « إن الإسلام هو الدين الرسمى للدولة » عند وضع الدستور الجديد وقال : « أنا لا يهمنى أن تتزوج ابنتى يهودياً أو أمريكياً » .

واستغلت زوجة عضو ثالث فى القيادة — هو عبد المنعم أمين — نفوذ زوجها فى المضاربة على القطن فى البورصة ، وكانت تجلس فى نادى السيارات ، وتقول : « الجيش على يمينى ، والبوليس على شمالى » .. فلا أحد أقوى منها .

ووقع عضو رابع فى القيادة .. هو .. أنور السادات ، فى هوى ناهد رشاد ، زوجة طبيب الملك يوسف رشاد .. ومؤسس « الحرس الحديدى » .. وكان على علاقة بالسادات من قبل ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .. وكانت ناهد رشاد من أبرز وصيفات القصر الملكى .. وقد أعجب بها السادات منذ سنوات ، لكنه لم يجرؤ على الاقتراب منها .. أو التودد إليها إلا بعد أن أصبح فى السلطة .. وقد كانت أنيقة ، مثيرة ، جذابة ، ورشيقة ، تتسم بالذكاء والقوة وسرعة التصرف ، وظهر ذلك بوضوح عندما وقفت أمام محكمة الثورة .. وهو ما استفز المحكمة والصحف ومجلس القيادة .. فصُودر ما تبقى من ثروتها .. وعاشت وهى تعانى متاعب مالية حادة .. وحاول السادات أن يعوضها ما خسرت بعد أن أصبح رئيساً للجمهورية .. وكان يساعدها

ماليا .. وكانت مساعدة لوجه الله .. ففى السبعينات كانت ناهد رشاد امرأة عجوز .. مجرد ذكرى لأنوثة قديمة .

إن ذلك كله ، وغيره موثق بمستندات ما يعرف بقضية انقلاب المدفعية ، فى يناير ١٩٥٣ ، وكنت أول من نشرها ، وأول من صُدم بفضائحتها من الجيل الذى لم يعيشها^(٨) .

وقد سهلت هذه الفضائح والانحرافات على ، جمال عبد الناصر — الذى تميز بالاستقامة الشخصية — أن يحسم الصراع لصالحه ، وأن يمسك كل خيوط السلطة فى يده .. فبدأت مرحلة جديدة ، مختلفة ، من حكم مصر .

□ □

وفى هذا المناخ المتفجر بالتوتر والتحفز لم يعد للملك أحمد فؤاد أى وجود ، من ناحية الفعل ، أو الشكل ، أو الرمز .. فقد نزع فى ٢٩ يوليو ١٩٥٢ الشارات الملكية التى كانت تميز ضباط وجنود الحرس الملكى ، وبوليس القصور الملكية ، وأصبح زيهم لا يختلف عن زى رجال الجيش والبوليس .. واستبعدت وزارة التجارة والصناعة اسم « فاروق » — المكتوب بالخط الكوفى — من دمع الذهب والموازين والمكايل ، دون أن تضع بدلاً منه اسم الملك الجديد ، وقرر وزير التجارة والصناعة إبراهيم عبد الوهاب ، أن تكون علامة دمع الذهب على شكل أحد الطيور .. وعلامة دمع الفضة على شكل زهرة اللوتس .

وحسب العرف الدولى كان من الضرورى — بعد تنازل الملك فاروق عن العرش — أن تجدد أوراق الدبلوماسيين المعتمدين فى مصر باسم الجالس الجديد على العرش .. أى الملك أحمد فؤاد الثانى .. وكذلك أوراق الدبلوماسيين المصريين المعتمدين فى الخارج .. ولكن ذلك لم يحدث .. فلم تشأ القيادة الجديدة .. قيادة الثورة .. أن تصبح أوراق الدبلوماسيين باسم ملك ، قررت اسقاطه أيضاً ، وتتحين الفرصة لذلك .

(٨) هذه الوثائق عبارة عن محاضر التحقيق مع الضباط المتهمين فى قضية انقلاب المدفعية ، وقد حصلت على النسخة الوحيدة منها ، التى كانت موجودة فى مخزن بيت ؟ محمد نجيب بالمرج ، ونشرتها فى كتاب « نهاية ثورة يوليو » — مكتبة مدبولى — ١٩٨٢ .

والثير للدهشة .. أنه السفارات المصرية في الخارج ، ولا السفارات الأجنبية في الداخل ، تلقت رسمياً ما يفيد أن الملك فاروق تنازل عن العرش لابنه وولى عهده الأمير أحمد فؤاد .. وسارع بعض الدبلوماسيين المصريين ، في خارج الحدود ، بالقول : إنهم في خدمة مصر وليس في خدمة شخص الملك ، وحاولوا بذلك الخروج من مأزق عدم الشرعية الدبلوماسية الذي وجدوا أنفسهم فيه .
ومن ثم .. لم يحدث أى اعتراف سياسى ، أو دبلوماسى بالملك الجديد .. فقد كان كل هم رجال السلك الدبلوماسى الأجنبى في مصر .. « صيانة مصالح » رعاياهم .. ومراقبة ما يحدث بقلق وتوتر .

وفي ٣١ يوليو ١٩٥٢ .. غيرت وزارة الأوقاف ، صيغة الدعاء للملك الجديد .. واختفى من الدعاء الإفراط في وصف حسنات الأسرة الملكية .. ودورها العريق في خدمة الوطن والإسلام .. وأصبح الدعاء — بعد صلاة الجمعة وصلاة العيدين — في المساجد على النحو التالى :

« اللهم إنا نسألك أن تعز الإسلام ، وتنصر المسلمين ، وأن تعلى بفضلك كلمة الحق والدين ، وأن تشمل برعايتك وعنايتك ، ملك مصر والسودان أحمد فؤاد الثانى أيدى الله .

« اللهم احفظه ، وأنبته نباتاً حسناً ، واجعل أيامه أيام خير ، وبركة ، وإسعاد لأمته .. يارب العالمين » .

وفي الوقت نفسه شُطب لقب « السيد » إلى الملك أحمد فؤاد الثانى عند الدعاء له في المساجد .. ولقب « السيد » هو لقب السادة المنتسبين إلى السلالة النبوية الشريفة .. وقد حصل عليه الملك فاروق ، قبل سقوطه بعدة أشهر ، ليصبح مثل الملك عبد الله بن حسين (الأردن) والملك إدريس السنوسى (ليبيا) والسيد عبد الرحمن المهدي (السودان) .. وغيرهم من الملوك والزعماء الذين كان فاروق يرى أنهم يقلون عنه .. وقد كلف وزير الأوقاف حسين الجندى شخصاً محترفاً في وصل الأنساب مقابل منحة مالية مناسبة ، بعد أن عجز باحثو الوزارة عن إثبات النسب .. ووافقت نقابة الأشراف على منح فاروق اللقب .. ولكن .. بعد سقوضه . ونفيه ،

أعيدت الأوراق ، مرة أخرى إلى وزارة الأوقاف لتعيد النظر في صحة نسب الشريف ، وقررت الوزارة أن النسب باطل ، لأنه « ليس ثابتاً من الظهر » .. وبهذا فقد أحمد فؤاد لقب « السيد » قبل أن يفقد لقب « الملك » ..

وقبل أن يأتي يوم عيد ميلاده الأول بعشرة أيام .. نشرت الصحف أنه لا احتفال بهذا اليوم .. وكانت العادة قد جرت على أن يحتفل بعيد الملك ، وأن تعطل فيه مصالح الحكومة والمعاهد والمدارس والكلليات ، وأن تعد السجلات في القصر لقيد الأسماء ، وأن يستقبل المديرون والمحافظون الأعيان في تلك المناسبة .. وقد صورت « النتائج » الحكومية وفيها إشارة إلى تعطيل الدواوين والمصالح يوم ١٦ يناير احتفالاً بعيد ميلاد الملك فؤاد الثاني .. « ودارت بحوث ، وأبدت آراء ولكن الظروف خلقت الحل .. ذلك أن يوم ١٦ يناير يقع يوم جمعة ، فالمصالح والمعاهد معطلة فيه بطبيعتها .. وقد تقرر ألا تعطل في اليوم الذي يليه (السبت) كما كان متبعاً من قبل حين كان يقع عيد ميلاد الملك في يوم عطلة .. وسيستغنى أيضاً عن قيد الأسماء في القصر ، وعن استقبالات المديرين والمحافظين »^(٩) .

أكثر من ذلك لم تعطل البنوك والشركات الأجنبية التي تعمل يوم « الجمعة » .. في يوم ١٦ يناير .. وكان يوماً عادياً بالنسبة لها^(١٠) .

والمؤكد أن مثل هذا الإهمال لم يستفز الشعب المصري .. فهو بالنسبة له مجرد طفل لا يستحق كل هذا التكريم .. كما أنه كان خارج البلاد .. لكن .. السبب الأهم ، هو أن الصحف راحت تنشر بإفراط فضائح الأسرة المالكة .. وأعد كتاباً أسوداً عن أعمال والده الملك فاروق التي ارتكبتها في حق الشعب المصري .. يضاف إلى ذلك أن الثورة لم تكن قد كشفت عن عيوبها وأخطائها .. بل كانت في بداية إنجازاتها .. قانون الإصلاح الزراعي .

وفي ذلك الوقت سئل على ماهر :

— ما رأيكم فيما سبق أن قاله فاروق ، في مأدبة غداء أقامها بقصر عابدين ،

(٩) أخبار اليوم — ١٩٥٣/١/١٠ .

(١٠) آخر لحظة — ١٩٥٣/١/ ١٤ .

بمناسبة مولد الملك الطفل ، أحمد فؤاد الثانى ؟.

عقّال رئيس الحكومة :

— مالى قاله فاروق فى ذلك اليوم ؟.

— قال إنه سبرى ابنه تربية تجعله منائاً للوزارة والبرلمان !!.

— إن ذلك لن يحدث .. فعندما يبلغ جلالة الملك أحمد فؤاد الثانى السنة الخامسة

من عمره ، سيدأ مرحلة التربية والتعليم بعناية فائقة فى روضة أطفال مصرية .

— هل هذا يعنى أنه سيعود إلى مصر عندما يصل إلى السنة الخامسة من عمره ؟.

— نمنى ذلك !!.

وفى الوقت المحدد ، لم تتحقق الأمنية .

فصل من « الروح » الملوك !

فى يوم ١٤ مارس ١٩٥٣ ، قال مراسل صحيفة « ديلى اكسپريس » البريطانية فى روما .. إن الملك المصرى الطفل أحمد فؤاد الثانى ، ظهرت عليه أعراض الملل ، بعد أن ابتعدت عنه الملكة السابقة ناريمان .. « وهو الآن فى السن التى تظهر فيها أسنانه .. وقد بدأ يتعلم المشى .. ولكنه تأخر فى الكلام .. وهو قليل البكاء » . والمقصود .. أن فراق الأم أثر على صحة الطفل النفسية .. وكان عمره (١٤) شهراً .. أى فى سن الانتباه العاطفى .. وفى سن التفرقة بين مشاعر الخوف والقلق ومشاعر الحب والحنان .

وقد ابتعدت ناريمان عن ابنها بعد أن عجزت عن احتمال زوجها .. لقد كانت تحتل نزوات فاروق من أجل أن تظل ملكة على العرش .. ولكن العرش لا وجود له الآن .. فأصبحت نزواته بلا مقابل .. وبلا مبرر وبلا معنى .. كما أنه من جانبه لم يكف عن هذه النزوات .. أو لم يخفف — على الأقل — منها .

وقد انفجرت المشاحنات بينهما فور الاستقرار فى روما .. ووصلت إلى حد إهانتها أمام الخدم والمرقيات .. « أنت جزمة فى رجلى » .. ثم زادت حتى قفزت إلى مستوى الضرب .. ضربها بقبضة يده .. فسقطت على الأرض ، فاقدة الوعى .. وكادت أن تموت — من الصدمة — بسكتة قلبية .. لولا أن سارع طبيب « الضاحية » لانقاذها .. وقد ذهل الطبيب .. وسيطرت على ملامحه علامات الدهشة .. ثم حل محلها الاستنكار .. ثم خرج وهو فى حالة اشتزاز .. « فهذه هى المرة الأولى فى حياته التى يسمع فيها أن ملكاً ضرب ملكة .. علة ١ » (١) .

(١) مصدر هذه الرواية — أمين فهم — المذكرات — الحلقة الأولى .

: واحس فاروق — الذى كان يرتدى روبا على اللحم — بالاضطراب .. لكن اضطرابه تحول إلى إعجاب بنفسه ، وبقبضة يده ، بعد أن استردت ناريمان وعيها .. فشعر بنشوة خاصة ، جعلته لا يتردد فى أن يلقي — على سكرتيره الخاص أمين فهم — محاضرة فى فن تربية الزوجات .. وقال :

« لعلها تستفيد من هذه العلة .. إننى أردت أن أعطيها درساً .. أظن أن هذه الضربة سوف تؤدبها !.. أحسن طريقة لمعاملة الزوجة أن تضربها علة !.. ألا تعرف أن أولاد البلد يضربون عرائسهم علة ليلة الدخلة بغير سبب .. ذلك لإشعار العروس أنها خادمة الزوج ! » .

ثم .. استطرد :

« أنا لو كنت ضربت فريدة علة يوم الزفاف لما حدث الطلاق ، ولكانت زوجتى حتى الآن !.. ولو أننى ضربت ناريمان ليلة الزفاف لمشت مثل الكلبة !.. ولكنى غلظت أنى عاملت ناريمان وفريدة كملكات .. فشعرت كل واحدة منهما أنها مثل .. تماماً » .

وقد بدأ الطريق إلى العلة ، بسهرة فى ملهى « جيكى كلوب » .. كان فاروق خلالها لا يكف عن العبث والاستهتار ومغازلة الراقصات .. فأحست ناريمان بالخرج .. وطلبت منه أن يحترم وجودها .. لكنه لم يستجب .. وأمرها أن تغلق فمها .. و « تخرس » .. فخرست .. وأحست بالغيظ .. والاختناق .. وتماسكت حتى لانتهار تبكى .. وفى طريق العودة ، انطلق فاروق بالسيارة بسرعة جنونية .. وهو فى نشوة ن صرختات الفزع التى انطلقت من ناريمان .. وكلما صرخت ، كلما انطلق سرع .. وفى القصر انقلبت ناريمان إلى « غمرة » شرسة .. متوحشة .. مستعدة أن تهم من يحك على أنفها .. وراحت تصرخ فيه !

— أنت كنت عاوز تموتى .. أنت عاوز تقتلى .. كفاية إنك هزأتى قدام لناس !.. كفاية إنك بهدلتى أمام الراقصات !! .

وفى جناحها .. واضلت تأنييه .. فإذا به يرد عليها بقبضة يده . وحسب مارواه أمين فهم ، فإن ناريمان بعد أن أفادت ، كان وجهها متورماً ..

وعليه آثار الضرب الشديد .. وكانت فى يدها مرآة تنظر إليها لترى آثار الرضوض فى وجهها .. ثم فجأة راحت تتحب وتقول :

— يصح يا أمين إن الملك يضربنى زى أى واحد فى الشارع ما يضرب مراته ! ..
يصح إنه كان ح يوتنى .. كنت حاروح فى شربة ميه !!
ثم .. قالت :

— أنا مش ممكن أقعد معاه .. لازم أمشى .. لازم أسافر !!
وأضافت :

— راح أوديه فى داهية قبل ما يودينى فى داهية !!
— اهدنى يامولاتى .. حتى نعرف كيف نفكر !
— أنا مستعدة أن أهدأ ، وأبقى ، وأسكت ، وأكتم الفضيحة .. ولكن ..
بشرط !!

— وماهو هذا الشرط ؟

— أن يدفع الملك الثمن !!

— ثمن .. ثمن إيه ؟

— أيوه .. ثمن العلقه .. ثمن ضربه للملكة .

— وماهو هذا الثمن ؟

— (١٠٠) ألف جنيه !!

وفوجئ فاروق بالمبلغ .. ورفض أن يدفعه ، وتصور أن الاعتذار لها يكفى ..
لكنها لم تقبل الاعتذار .. وأصرت على المبلغ ، وهددته بالفضيحة .. فقبل أن يدفع
ألف جنيه ، ثم رفع المبلغ إلى (٢٠) ألف جنيه .. فهزت ناريمان كتفها وقالت : « أنا
ما بيعش ترمس » .

وأضافت : « مائة ألف جنيه يعنى مائة ألف جنيه ... هذه فرصتى الوحيدة
الآن .. ولو لم أستغلها فسيجىء اليوم الذى يطردنى فيه من البيت .. يجب أن أفكر
فى مستقبل من الآن .. أنا لأريد أن أخرج من هنا لأشحت فى الشوارع .. لابد
أن يدفع المائة ألف جنيه .. إنه الآن خائف من الفضيحة .. وبعد (٢٤) ساعة سوف

يتغير الموقف قد تختفى آثار الكدمات .. قد يقول الناس لماذا لم تغادر القصر بعد أن ضربها مباشرة ؟ .. إما أن يدفع الآن وإما أن أخرج الآن .. وأنا أعرف فاروق جيداً .. المائة ألف جنيه أحسن من عينه .. أنا أعرف أنه جبان .. وأعرف أنه خائف من الفضيحة .. وأعرف أنه يحب الفلوس .. بهذه الطريقة لن يضربني مرة أخرى .. سيتذكر قبل أن يرفع يده أنه سيدفع ثمن العلة .. وهذه الطريقة الوحيدة أحمى نفسي من الضرب ، وأنقذ حياتي من الموت» (٢) .

واستسلم فاروق .. ووافق على دفع المبلغ المطلوب .. وحول من حسابه إلى حساب ناريمان — في أحد البنوك السويسرية — (١٠٠) ألف جنيه .. ولكنه قال وهو يوقع بإمضائه على خطاب التحويل :

— « هذه عقلية كباريات لاعقلية قصور .. ياسلام .. مائة ألف جنيه من أجل علة ؟ .. إن هذا تفكير راقصة لاتفكير ملكة » .

واستقامت الأمور بينهما بعض الوقت ...

ولكن .. ذلك لم يستمر فترة طويلة .. فذات مساء قال فاروق لناريمان :

— سنسهر الليلة .. معاً .

وأحست ناريمان بالسعادة .. سعادة ملكة تسترد تاجها .

كانت السهرة في ملهى « أوبن جيت » .. أكثر الملهى الليلة أرستقراطية في روما ، في ذلك الوقت .. وكان فاروق في أفضل حالاته .. يتعامل معها برقة وحنان وحب واحترام .. وشياكة .. لم يغازل راقصة .. لم يحنك بامرأة .. لم يعث بما حوله .. ودُهِشت ناريمان .. وأحست بالثقة ورد الاعتبار .. فتعمدت استعراض نفسها .. وقامت لتر بين الموائد — بحجة الذهاب إلى التواليت — لتشاهد النساء ثوبها الأنيق ، ومجوهراتها الثمينة .. وحسب وصف أمين فهميم .. « مشت تتبختر » .. وفجأة ضج المكان بالضحك .. ولم تعرف السبب إلا بعد أن اكتشفت في مرآة « الحمام » أن فاروق « الجتلتمان » علّق على ظهرها ورقة كتب عليها بالغة الإيطالية « ناريمان جارية

(٢) المصدر السابق — الحلقة التالية .

فاروق » .

ومرة أخرى كاد قلبها أن يتوقف من الفضيحة !.

□ □

إنه الجحيم بعينه .. حقاً .

رأته ناريمان على يد فاروق في المنفى .. فهو يضربها .. ويشتمها .. ويعاملها بخشونة متعمدة .. يضاف إلى ذلك أن بناته كن يسخرن منها .. ويعاملنها دائماً كزوجة أب .. وكن يعتقدن أن اختفائها سيعيد الحياة إلى مجاريها بين فاروق وفريدة .. ولم يكن لها أى علاقة مباشرة بابنها على الإطلاق .. فقد كانت أوامر فاروق الصارمة .. أن كل شيء يتعلق بالطفل يجب أن يصدر منه هو شخصياً .
والمعنى .. أنها لاشيء .

فلا هي أم ، ولا هي زوجة ، ولا هي ملكة ، ولا هي إنسانة :
ثم .. إنها صُدمت في كل أحلامها الوردية .. أحلام العرش .. والترف ، والماس ، والسمو الملكي .. وفوجئت بأن هذه الأحلام تحولت إلى كوابيس .. متقى .. ومرض ، وإهانة .. ولأنها لم تكن قد نضجت بما فيه الكفاية .. فإنها وجدت الحل الوحيد أمامها هو الهروب .. واستغلت مرضها .. وقررت السفر إلى سويسرا للعلاج .. وخشى فاروق أن تخطف ابنها .. فوضعه تحت حراسة مشددة ، مسلحة .. وأصبح الملك الطفل مجالاً لصراع لا ذنب له فيه .
وفي سويسرا قابلت ناريمان أمها أصيلة هانم .. إن الأم — التي عُرف عنها سرعة التفوه بألفاظ حادة — كانت على علم — أول بأول — بكل ماجرى لابنتها .. وكان المصدر خطابات ، وتليفونات خادمة ناريمان « فيوليت » المتعاطفة معها .. وأحست الأم — التي أصبحت تصف نفسها بأنها جدة الملك الصغير — بأنه آن الأوان للتدخل .. لقد أفسدت حياة ابنتها ، عندما وافقت على أن تتزوج الملك ، لتصبح ملكة لمدة سنتين فقط .. وفسخت خطوبتها على شاب ، مثقف ، ناجح ، سيصبح ثرياً ولامعاً وصاحب مكتب كبير للاستشارات القانونية فيما بعد .. عليها أن تتدخل الآن .. ولكن بالأسلوب نفسه الذى يخلو من الفطنة .. والكياسة .

إنه تدخل أعمى .. حول الكارثة — التي تعيشها ابنتها — إلى لعنة لاتزال تطاردها .

كيف ؟

حسب رواية سكرتير فاروق الخاص في المنفى ، فإن ناريمان عادت إلى إيطاليا ، ومعها أمها .. واستقبل فاروق حماته — التي لا يطيقها — بلهجة يمتزج فيها الترحيب بالسخرية .. على طريقة .. « وحشتينا .. أنستينا .. شرفينا .. إيطاليا كلها نورت » .. ولكنها .. لم ترد التحية .. وكالقطار الذى يندفع بلا فرامل .. قالت : — لاؤاخذنى يامولانا .. نفرض لاسمح الله جرى لك حاجة : مفيش ضمان لبتنى فى المستقبل !.

وثار فاروق :

— أنا لأسمح بهذا الكلام .. كل كلامك أنت وبتك فلوس .. عاوزين بس فلوس !!

ويقول لى أمين فهم .. إن فاروق استدعاه فى تلك اللحظة وقال له : — يأمين .. شوف « الولية » دى عايزة إيه .. اتكلم معاها !!

كانت مطالب أصيلة هانم .. « الولية » دى :

١ — الحصول على التاج الماسى « دياديم » الذى أعطاه فاروق لناريمان يوم الزفاف .

٢ — هدايا عقد القران الملكى ، وكلها تحت يد فاروق .

٣ — كتابة خطاب إلى الحراسة فى مصر لتسترد ناريمان مبالغ حسبها الحراسة عليها ، وكان على فاروق أن يدفعها .

ثم .. تذكرت أصيلة هانم .. أنها اهتمت فقط بالفلوس .. فأضافت :

— والمعاملة .. إنه يعذبها .. يضربها ويشتمها ويهددها أمام الناس .. إنه يهزأ بها أمام المريات .. إذا اختلفت « بنتى » مع مربية نصرها (المربية) ضد الملكة .. ابنتى خدامة هنا والمريات هن الملكات .. وأنا لن أسافر من هنا إلا إذا أجيبت هذه الطلبات الثلاثة .. إما أن ينفذها الملك .. وإما آخذ « بنتى » معايا .

وعلق فاروق على هذه الطلبات قائلاً :

— هذا إنذار .

وسأله أمين فهم :

— والطلبات ؟

— كلها مرفوضة !

— كلها ؟

— نعم !

— معنى هذا الطلاق !!

— طُظ !! (٣)

ولكنه .. بعد أيام أعلن عن قبوله الإنذار ، وقال إنه موافق على الطلبات ، بشرط أن تسافر حماته .. وكانت مناورة للتخلص منها .. فبعد أن سافرت رجع في كلامه . وعادت ناريمان تستغيث — عبر التليفون — بأُمها .. « الحقيني يا ماما قبل ما أموت » .

وسافرت الأم من القاهرة إلى روما — بعد أن استأذنت السلطة العسكرية الجديدة — لانقاذ ابنتها .. وبمجرد أن دخلت القصر ، وقبل أن تستريح فجرت ما عندها من قنابل .

عندنا أكثر من رواية للحدث .. نعرضها استناداً لمصادرها .

الرواية الأولى ، مصدرها عم ناريمان مصطفى صادق ، كما نشرها الصحفي جميل عارف ، ويمكن تلخيصها — بقليل من التصرف غير المخل — على هذا النحو .. الذى يمكن وصفه بأنه « فاصل » من الردح الملكى :

أصيلة : أنت واطى ، ودون ، وعمرك ما بتعرف الأصول ، وأنا عاوزة بتى معايا .

فاروق : مفيش مانع .. بس اسكتى وبلاش فضايح .

(٣) المصدر السابق .

أصيلة : مش حاسكت إلا إذا أخذت بتنى معايا .
 فاروق : اخرسى .. أنا مش عاوزك تتدخلى فى شئونى .
 أصيلة : هو أنت أخذت البنت علشان تهدها فى الغربية .. الحق عليها الى
 سافرت معاك .. واحدة غيرها كانت سابتك وقعدت فى بلدها .
 فاروق : هو أنا عملت فيها إيه ؟
 أصيلة : ولا حاجة يا سى فاروق ، كان ناقص تعلقها من شعرها وتنزل فيها
 ضرب .. كفاية الى أخذته على وشها .
 فاروق : اسكتى أحسن لك .. يا أمين شوف الست دى عايزة إيه .. ياناريمان
 خللى الولى أملك تسكت أحسن أوريبها شغلها .
 أصيلة : عاوزة البنت .. حاخذها معايا .
 فاروق : خديها .. وروحي أنت وهيه فى داهية .. بس علشان تمشى لازم تنسى
 إنها كانت مراقى فى يوم من الأيام .. وتنسى كان أن لها ابن منى .. ده ابنى مش ابنها ا .
 ناريمان : يعنى مش عاوزنى أشوفه قبل ما أسافر ؟
 فاروق : ولا ده كان .. تمشى من غير ما تشوفيه .
 ناريمان : عاوزة أبوسه بوسه واحدة .. إعمل معروف .
 فاروق : أنا قلت كلمة واحدة .. مادام حشافرى ، مستحيل تشوفيه .
 ويضيف مصطفى صادق : « أن ناريمان تسللت إلى حجرتها لتدس فى إحدى
 حقائبها صورة كبيرة لابنها .. كما أخذت معها قطعة صغيرة من ملابسه ، كانت عبارة
 عن « بافتة » حريرية .. ظلت تحتفظ بها بصفة دائمة فى حقيبة يدها حتى التقت
 بابنها بعد أن أصبح شاباً كبيراً .. وبعد وفاة فاروق » (٤) .

□ □

أما الرواية الأخرى .. فإن مصدرها هو بطلها .. وبطلها هو أمين فهيم الذى
 يقول : إن الملك فاروق رفض أن يناقش ناريمان وأصيلة فى أى شىء .. وأحالهما

(٤) عارف — مصدر سبق الإشارة إليه — ص ١٨٢ .

عليه .. باعتبار أن ما سيتحدثان فيه هو من شأن السكرتير الخاص .. الذى يلخص
مادار على النحو التالى :

أصيلة : إن الملك يعامل ابنتى أسوأ معاملة .. وهو يهمل حقوقها الزوجية ..
وجعلها فى عذاب لا يطاق .. إنها ابنتى الوحيدة وليس لى غيرها وأنا لم أبعث بها
للإهانة .

أمين : إن مولانا حريص دائماً على مرضاة الملكة .. إننى حولت باسمها (١٠٠)
ألف جنيه إلى سويسرا .

ناريمان : خلاص .. لابد أن أغادر هذا المنزل .. لن أبقى معه مهما عمل .
أمين : يجب ألا تنسى أنك سجلت اسمك فى التاريخ بضعجتك .. وملازمتك
لزوجك فى المنفى .. وإنها لتضحية كبيرة قدرها الناس لك فى إعجاب .. ثم إن من
المصلحة أن ينشأ ابنك فى أحضان والديه .. فاتركى التاريخ يحكم لك .. أو عليك !
أصيلة : التاريخ ؟ .. إنه التاريخ ده ؟ .. ح نعمل به إيه ؟ .. ح نشربه ؟ .. ح
ناكله ؟ .. ح ينقذ حياة البنت ؟ .. ح يسعدها ؟ .. شى الله يأسى تاريخ !
ناريمان : أنا صبرت طويلاً ولن أغير رأى .. إذهب وقُل للملك إن هذا هو
قرارى الأخير .

وفى حوار معى .. أضاف أمين فهم :
قلت لأصيلة هانم : أنت غلطانة .. لو تصورتى أن بنتك حتنزل مصر ليعاملونها
باعتبارها أم الملك .. أو أنهم حيسبوها تعيش فى قصر عابدين .. صدقنى هذا لن
يحدث .. اللى راح راح .

أصيلة : ابنتى هى أم الملك .. والملكية لم تسقط .

أمين : يا عالم !!

أصيلة : احنا أحرار .

ورحلت ناريمان .. ولم تعامل — كما تخيلت أمها — معاملة أم الملك .. ولم تحظَ
أصيلة هانم باللقب الذى يسعدها .. جدة الملك .

وأصر فاروق على أن تسافر ناريمان وأمها بلا وداع .. واستقلا سيارة تاكسى

من القصر إلى المطار .

وعندما ذهبت تودع ابنها .. وجدت المربية والحارس الألباني في حجرته .. وبقياً حسب تعليمات فاروق وهى تودعه .. « ولم يذ على الولد أنه يعرف أن أمه سوف تفارقه إلى الأبد .. كان يلعب ويضحك .. ولم يكن فى عينى ناريمان أية دموع .. وكانت نظرات أصيلة هانم جامدة »^(٥) .

□ □

ومهما اختلفت تفاصيل الروايات .. فإن المؤكد أن أحمد فؤاد ابتداء من الآن سيعيش بلا أم .. وسيظل هكذا .. حتى يموت الأب .
إنها إحدى الحقائق التى لازمتها طوال سنوات عمره الواعى .. يفقد الأم فى وجود الأب .. ويسترد الأم عندما يفقد الأب .. وكان ذلك جزء من قدره الذى لم يستطع الفرار منه .

ويعتقد ياسين سراج الدين — الذى تعرف عائلته ناريمان جيداً — أن أخت أحمد فؤاد من والده ، فريال ، هى التى قامت نفسها بتربيته .. « إنها شخصية قوية ، ومضحية ، تفرغت لتربيته ، وحالت بينه وبين سيطرة أمه عليه ، بعد وفاة فاروق » . كانت الأم البديلة .. أو الأم الحقيقية .

وكان عمرها (١٤) سنة يوم تركوا مصر ، و (٢٧) سنة يوم مات والدها .

□ □

وسافرت ناريمان وأمها إلى سويسرا ، لتذيع خبر انفصالها عن فاروق ، من فندق « دى برج » بجنيف .. ونجحت فى كسب عطف الدنيا بما قالت .. فأحس فاروق بأنه خسر الجولة .. ونصححه الصحفى البريطانى نورمان بريس أن ينشر له نداء عاطفى — حتى ولو من وراء قلبه — يستعطفها فيه .. ويحمل مسئولية ما حدث لأمها .. ليبدو أمام العالم فى صورة المجنى عليه .. ولم يتردد فى استخدام الطفل فى هذه اللعبة الخالية من الصدق .. وكانت الفقرة الخاصة بالطفل هى الفقرة الأولى فى

(٥) نهيم — المصدر السابق .

النداء ... « آه ياناريمان .. تمسكى بالشجاعة إذا كنت ترغين فى العودة إلى ..
وعليك أن تذكرى دائماً أنى أحب طفلاً .. وأنى سأحبك دائماً لأن فى طفلاً جزءاً
من دمك وروحك » .

ومن جنيف طارت ناريمان إلى القاهرة .. وفى القاهرة رفعت قضية طلاق ضد
فاروق .. ووكل فاروق المحامى السورى إحسان الشريف للدفاع عنه .. وكانت
شروطه قبل الطلاق : أن تتنازل ناريمان عن قضية النفقة التى رفعتها ضده وطلبت
فيها (٥) آلاف جنيه شهرياً ابتداء من ١٢ مارس ١٩٥٣ .. وأن تتنازل ناريمان وأصيلة
هانم وجدتها نعيمة هانم عن حقهن فى حضانة الطفل .
وقبلت ناريمان بالشرطين .. وتم الطلاق .

لم تتردد فى التضحية بابنها .. ويمكن القول إنها نسيت .. فبعد حوالى السنة من
توديعه فى إيطاليا ، تزوجت من الدكتور أدهم النقيب .. ابن الدكتور أحمد النقيب ..
طبيب زوجها السابق — الملك فاروق — وصديقه .. وأول مدير لمستشفى
« المواساة » فى الإسكندرية .

ووصف فاروق هذا الزواج بأنه .. « خيانة » .
وتصور أنه جزء من مؤامرة أكبر دبرها مجلس قيادة الثورة لخطف ابنه — الذى
كان لا يزال ملكاً — للتخلص منه .. وراح يحضن قصره بالمدافع الرشاشة ، وكلاب
الحراسة ، استعداداً لصده الهجوم الذى توقعه لخطف ابنه الطفل .. إن فاروق — حتى
ذلك الوقت — كان يتصور أن لا أمل فى استقرار الحكم العسكرى الجديد فى مصر
إلا بقتل ابنه .. الملك الطفل .. فكان خوفه الشديد عليه .. حتى من أقرب الناس
إليه .. كما أنه كان حريصاً على عدم تعريضه للهواء أو للمرض .. للمزيد من الحرص
على حياته .. فقد كان لا يزال يأمل أن يتولى العرش عندما يكبر ..

□ □

لم يستمر زواج ناريمان وأدهم النقيب طويلاً .. وإن انتهى بعد أن أنجبا طفلتهما
أكرم .. وهو محامى الآن فى الإسكندرية .. وكان زواجه فى صيف — (٩١) المناسبة
التي استثمرها أحمد فؤاد لزياة مصر ، بعد غياب استمر حوالى (٣٩) سنة .. قضاهما

في الغربية أو المنفى .. لافرق .

وتدل تحرياتي عن هذه الزيارة — التي أثارت الانتباه — أنه جاء من باريس على طائرة « مصر للطيران » .. ودخل بجواز سفر مصرى عادى ، يحمل رقم (٣١١٨٤٥) ، صادر عام ١٩٧٣ ، بأمر من الرئيس السابق السادات ، الذى فعل ذلك بعد أن قاد أحمد فؤاد مظاهرة — فى العاصمة الفرنسية — لتأييد حرب أكتوبر ، وبعد أن تبرع بمبلغ ٥٠ ألف جنيه لضحايا وشهداء الحرب .. وقد قبل السادات التبرع ، ولكنه حوله لتحسين أحوال الأسرة المالكة فى مصر .

وكان فى استقباله والدته ناريمان .. وآخر أزواجها الدكتور إسماعيل فهمى .. والبرنس محمد وحيد الدين ابن الملكة شويكار الزوجة الأولى لجده الملك أحمد فؤاد .. وأخوه أكرم النقيب .. وكان يرتدى بدله « كحلى » وكراقة « نيتى » .. وطلبت أمه عدم السماح للمصورين بتسجيل لقائهما بابنها (١١) .. ووافقت على تصويره بمفرده .. والتقت به بعيداً عن عيون الكاميرات فى استراحة كبار الزوار .. ثم .. غادروا المطار فى سيارة بيجو رقم (٧٤٣) ملاكى الإسكندرية .

□ □

إنه اللقاء الأول بين ناريمان وابنها على أرض مصر .

أما اللقاء الأول بعد طلاقها من الملك فاروق فكان فى سويسرا .. فى مدينة زرمات .. بعد أن أذن والده بالزيارة .. ولكنه اشترط أن تكون بمفردها .. وفى حضور محاميه الإيطالى كالدو داميليو .. وقد خشيت ناريمان على نفسها .. فاستأجرت حارساً خاصاً يتبعها .

لقد أقسم فاروق أن لا ترى ناريمان ابنها بعد الطلاق .. لكنه حث فى يمينه بعد أن اكتشف أن وثيقة الطلاق لا تحرمها — هى وأمها — من حق رؤية الطفل .. وتجنباً للفضيحة ، استسلم لمشيئتها .. ووافق على أن ترسل إلى ابنها اللعب والهدايا فى عيد ميلاده .. ثم وافق على أن تراه .

وفى الموعد المحدد ، ذهبت ناريمان بمفردها إلى القصر الذى اختاره فاروق لإقامة ابنه وبناته فى « زرمات » .. وفوجئت بأن ابنها تحت حراسة صارمة .. يشترك فيها

حارسه الألبانى .. وثلاثة حراس من الشرطة السويسرية .. وكلب بوليس ضخمة ،
شرس .

وكانت قد حملت معها إليه دراجة صغيرة حمراء ، ولعب أخرى .. ولم يُسمح
لها بتقييله ، ولا أخذه في أحضانها .. وحسب أدق الروايات ، فإن الطفل بمجرد أن
رآها ، قال « بنجور ماما » .. لكنه لم يندفع إليها .. ثم .. « دار بينهما الحديث
بالفرنسية والإنجليزية » .. حول نوع الطعام الذى يتناوله .. ومواعيد ذهابه إلى
الفراش .. ونوعية الألعاب التى يمارسها .. وغيرها من المعلومات التى تعرفها الأم
عادة .

وفجأة .. قطع الطفل استرساله فى الحديث بالنسبة له .. وأشار إلى القبة التى
تضعها فوق رأسها ، وقال :

« إن لونها لا يعجبني ! »

ثم .. تركها وانصرف إلى اللعب التى حملتها إليه .

وكانت هذه الزيارة هى الزيارة الوحيدة التى سمح بها الملك فاروق .. حتى مات .

□ □

باختصار ...

لم تساهم ناريمان فى تربية ابنها من فاروق .

بل .. ولم تساهم فى تربية ابنها من أدهم النقيب .

لقد أحست بأن أدهم النقيب يعاملها ببرود .. ولايدلها كملكة .. ويشعرها بأنها
أقل ثقافة منه .. كما أنها لم تحتل إمكانياته المالية الأقل مما تعودت عليه .. وتركته
وسافرت إلى سويسرا .. ومنها إلى لبنان .. ومنها إلى السعودية ، لتطلب من الملك
سعود بن عبد العزيز أن يتوسط لطلاقها من أدهم النقيب .. الذى كان قد طلبها
فى بيت الطاعة .

وتم الطلاق .. وبشرط أن تتنازل عن طفلها .. ووافقت .. ومرة أخرى تنازلت
عن دورها كأم .. وقد حملت هذا الدور نيابة عنها ، زوجة أدهم النقيب الجديدة ..
« ثاليا » .. وهى إنجليزية .. كانت متزوجة من « لورد » إنجليزى .. وانجبت منه

.. بنتين .. وقد أقامت مع أدهم النقيب في الإسكندرية .. وكانت إحدى نجوم المجتمع هناك .. وقد اكتشفت بعد ساعات من وفاة زوجها أدهم النقيب ما لم يسعدها .. وما جعلها تخلع السواد فوراً .. وتقيم حفلاً بدلاً من المأتم .. إنها — أغلب الظن — امرأة أخرى .. وجدت ما يشير إليها في خزانة « المرحوم » .

□ □

تقول أسطورة الملك « ميداس » .. إنه كان كلما لمس شيئاً تحول إلى ذهب .. حتى طعامه وشرابه وبناته .. فأصابته لعنة الذهب .
وهي لعنة غير لعنة الفساد التي أصابت الملك فاروق .. فكل مايلمسه يفسد .. وكل من يلمس شيئاً سبق أن لمسه يفسد أيضاً .
إنها لعنة .. تنتقل بالعدوى .
ويصعب النجاة .. منها .

نام الملك .. تحيا الجمهورية !

في ٢٢ إبريل سنة ١٩٥٣ ، سافر إحسان عبد القدوس إلى فرنسا لحضور مؤتمر رؤساء تحرير الصحف ، المنعقد في مدينة « كان » وكان معه — في الوفد المصري — محمود عزمي ، وحسين فهمي ، نقيب الصحفيين في ذلك الوقت .
وفي يوم وصوله .. عرف إحسان عبد القدوس أن فاروق .. في « كان » .. ثم قال له أحد الأصدقاء : إنه شاهد أمين فهمي يسير في الشارع .. وكان صديقاً له منذ فترة ما قبل الثورة .

وحسب ما سبق أن قاله إحسان عبد القدوس فإنه فكر في مقابلة فاروق وفي مقابلة أمين فهمي .. « كنت أطمح في أن أقوم بتحقيق صحفي عن فاروق .. أنشره في مجلة روز اليوسف » .. وشيء آخر .. « أردت أن أذهب إلى فاروق لأقول له إن عهد الملكية في مصر قد انتهى .. ولن يكون ابنه أحمد فؤاد ملكاً .. وأن الجمهورية المصرية ستعلن بعد أسابيع ، ثم أنصح به بأن يندو مؤيداً للثورة ، حرصاً على راحة عائلته » .. مجرد رأى .. ونصيحة لوجه الله .

وفي بار فندق « ماجستيك » التقى إحسان عبد القدوس وأمين فهمي :
وحسب مقاله أمين فهمي لي — فيما بعد — فإنه عرف من إحسان عبد القدوس — لأول مرة — بخبر إعلان الجمهورية ، وأنه قال مستطرداً : « ما رأيك لو أن الملك فاروق يرسل برقية يبارك فيها العهد الجديد ، ليصبح من حقه ، ومن حق أولاده ، بعد ذلك حمل جوازات سفر مصرية ؟ » .

— يا أستاذ إحسان .. إننى بصفتي سكرتيراً للملك لا أستطيع إلا أن أبلغه ذلك .. ولكن .. لنفرض أن الملك يرغب في مقابلتك ليحدثك في هذا الموضوع .. فهل تقبل ؟ .

— ولم لا ؟ .

إذن .. ليكن موعدنا المقبل ، في البار في الساعة الرابعة بعد الظهر .. غداً .

— اتفقنا .

وراح إحسان عبد القدوس يتفرج على مهرجانات الزهور والسينما التي كانت تشهدها « كان » بينما ذهب أمين فهم إلى فاروق ليخبره بما حدث ، وكانت معه صديقتها ، المغنية الفرنسية « جاني فرييه » التي أصر على أن تفهم ما يقال ، فكان الحوار باللغة الفرنسية .

اشتعل فاروق غضباً عندما عرف بما يريد به إحسان عبد القدوس ، وفي الوقت نفسه أحس بالخوف على حياته ، فقد قال لسكرتيه الخاص :

— بتقول إحسان كان فين ؟

— كان هنا في الفندق !

— هنا في الفندق ؟!

— نعم !

— وتكلمت معه ؟!

— نعم !

— وكيف سمحت لنفسك بذلك ؟

— الموضوع خطير جداً يامولاي .

— ولماذا لم تقتله ؟!

— إنه سيحضر غداً في الساعة الرابعة بعد الظهر .

— سأقتله أنا عندما يجيء غداً .. سأضربه بالرصاص في الساعة الرابعة بعد الظهر .

وفي الموعد المحدد وصل إحسان عبد القدوس إلى بار فندق ماجستيك .. ولكنه

لم يجد فاروق .. ولم يجد سكرتيه الخاص .. فقد تركا الفندق قبل ربع ساعة .

□ □

والمقصود من هذه الرواية .. أن فاروق عرف بسقوط عرش ابنه أحمد فؤاد قبل

(٥٦) يوم من إعلان الجمهورية في ١٨ يونيو ١٩٥٣ .. وقد أعلنت الجمهورية في

مصر بسهولة .. مجرد بيان ، صدر من مجلس قيادة الثورة :

من مجلس قيادة الثورة ...

إلى جمهور الشعب المصرى ...

لما كانت الثورة عند قيامها تستهدف القضاء على الاستعمار وأعوانه ، وقد بادرت في ٢٦ يوليو ١٩٥٢ إلى مطالبة الملك فاروق بالتنازل عن العرش لأنه يمثل حجر الزاوية الذى يستند إليه الإستعمار .. ولكن من هذا التاريخ ومنذ إلغاء الأحزاب .. وجدت بعض العناصر الرجعية فرصة حياتها ووجودها مستمدة من النظام الملكى الذى أجمعت الأمة على المطالبة بالقضاء عليه ، قضاء لارجعة فيه .. وإن تاريخ أسرة محمد على فى مصر كان سلسلة من الخيانات التى ارتكبت فى حق هذا الشعب ، وكان من أول هذه الخيانات إغراق إسماعيل فى ملذاته ، وإغراق البلاد بالتالى فى ديون عرضت سمعتها وماليتها للخراب حتى كان ذلك سبباً تعللت به الدول الإستعمارية للنفوذ إلى أرض هذا الوطن الآمن ، الأمين ، ثم جاء توفيق فأتم هذه الصورة من الخيانة السافرة فى سبيل محافظته على عرشه ، فدخلت جيوش الاحتلال أرض مصر لتحضى الغريب على العرش ، الذى استنجد بأعداء البلاد على أهلها .. وبذلك أصبح المستعمر والعرش فى شركة تبادل المنافع ، فهذا يعطى القوة فى نظير المنفعة المتبادلة . وقد فاق فاروق كل من سبقوه من هذه الشجرة فأثرى وفجر ، وطغى وتجبّر ، وكفر ، فخط لنفسه نهايته ومصيره ، فآن للبلاد أن تتحرر من كل أثر من آثار العبودية التى فرضت عليها نتيجة لهذه الأوضاع .

أولاً — فنعلن اليوم باسم الشعب إلغاء النظام الملكى وحكم أسرة محمد على مع إلغاء الألقاب من أفراد هذه الأسرة .

ثانياً — إعلان الجمهورية وتولى الرئيس اللواء أركان حرب محمد نجيب قائد الثورة رئاسة الجمهورية مع احتفاظه بسلطاته الحالية فى ظل الدستور المؤقت الصادر فى ١٠ فبراير ١٩٥٣ .

ثالثاً — يستمر هذا النظام طوال فترة الانتقال ويكون للشعب الكلمة الأخيرة فى تحديد نوع الجمهورية ، واختيار شخص الرئيس عند إقرار الدستور الجديد .

فيجب علينا أن نثق في الله وفي أنفسنا وأن نحس بالعزة التي اختص بها الله عباده المؤمنين .. والله المستعان والله ولى التوفيق .

مجلس قيادة الثورة

□ □

والمدهش .. أن أول قرار جمهوري ، وقعه الرئيس محمد نجيب ، كان قرار رفع عبد الحكيم عامر من رتبة صاغ إلى رتبة لواء .. وتعيينه قائداً عاماً للقوات المسلحة .. وكان هذا القرار البذرة الضعيفة التي أثمرت كل عيوب الثورة ، وعوراتها ، وأشهرت أخطائها وخطاياها .. تفضيل أهل الثقة على أهل الخبرة .. صراع الكواليس بين الرئاسة والمؤسسة العسكرية .. فساد القيادات العليا .. ثم .. هزيمة يونيو ١٩٦٧ .. حيث فقد النظام شرعيته بعد أن فقد حدوده .

لقد بدأت عوامل النحر والانهار في جسد النظام الجديد ، تتفاعل ، وتتحرك ، في اليوم الأول لإعلان سقوط النظام الملكي القديم .

□ □

ومن الملاحظ أن بيان إعلان الجمهورية لم يشر — من قريب أو بعيد — إلى الملك أحمد فؤاد الثاني ، وتجاهله تماماً .. وكأنه لا وجود له .

ومن الملاحظ أيضاً أن البيان ربط بين الملكية والاستعمار وبرر سقوط الأولى برغبة « الأمة » في التخلص من الأخير .. والمعنى أن الخطوة الأولى لطرد الاحتلال كانت إزاحة « حجر الزاوية » الذي يستند إليه .. النظام الملكي .

لذلك .. لم يكن مثيراً للدهشة أن يكون إعلان الجمهورية ، في وقت كانت فيه مفاوضات الجلاء بين مصر وبريطانيا ، متعثرة ، وكانت بريطانيا ، لاتزال تأمل في إعادة الملك فاروق إلى عرشه ، وتعليق مجلس قيادة الثورة في حبال المشانق .. وهذا ما جعلها تتردد في الاعتراف بالنظام الجمهوري ، عندما أخطرتها الحكومة المصرية ~~تحت~~ مثلها مثل باقي الدول الأعضاء في الأمم المتحدة — بتغيير النظام المصري من ملكي إلى جمهوري .. وأعلنت الحكومة البريطانية أنها سوف تعترف بالجمهورية في مصر على أساس واقعي فحسب .. « وأما الاعتراف القانوني فإنها سوف تقدمه فيما بعد ،

وفي الوقت الذي تراه مناسباً»^(١) .

وقد سعت بريطانيا إلى التآمر على النظام الجديد .. وراحت تبحث عن قوى أخرى .. ربما لا يكون في استطاعتها إحداث تغيير ، ولكنها قد تستطيع إحداث تأثير يؤدي ولو إلى شرخ في الوضع المصري يسهل معه بعد ذلك استغلاله»^(٢) .
وانتج تفكير بريطانيا إلى الأمير محمد عبد المنعم ، الذي كان رئيساً لمجلس الوصاية على العرش ، ثم أصبح — بعد التخلص من رشاد مهنا — الوصي الوحيد على العرش ، وعلى الملك أحمد فؤاد .

والأمير محمد عبد المنعم هو ابن الخديوي عباس حلمي ، وكان على عكس والده ، شخصية ضعيفة ، ومهزوزة .. لاحول له ولا قوة .. وهو ماجعل فاروق يصفه بأنه « طرطور » .. أما مركز قوته فكان زوجته الأميرة نسل شاه .. التي « كانت تدارى قوة شخصيتها بوجه جميل يخطف الأنظار ويلهبها عن النفاذ إلى ما ورائه .. ومن المحتمل أنها لم تكن تراودها مطامع سياسية .. ولكنها بالتأكيد كانت تشعر بالنفوذ من القيادة الثورية في مصر ، التي تمكنت من خلع الملك ، وهزت بذلك قوائم الأسرة المالكة في مصر .. وكان التأثير الأكبر عليها من محمود توجاي السفير التركي في القاهرة .. وكان متزوجاً من إحدى قريبات الأسرة المصرية والأسرة المالكة العثمانية ، التي كانت تحكم تركيا حتى سقوط الخلافة»^(٣) .

وبواسطة السفير التركي جرت الاتصالات بين بريطانيا والأمير محمد عبد المنعم . ومن ناحية أخرى ، دفعت الحكومة البريطانية ، الصحفي نورمان بريس إلى استغلال صداقته بالملك فاروق .. لاقتناعه بالاتصال بالأمير محمد عبد المنعم سراً ، وكتابة رسائل لتوصيلها إليه ، تدفعه إلى استثمار أخطاء الثورة ، في تقوية نفوذه ، تمهيداً لعودة النظام القديم إلى سابق عهده .

وعندما قال فاروق :

— إن الأمير محمد عبد المنعم طرطور .

(١) و (٢) محمد حسين ميهل : « ملفات السويس » — مؤسسة الأهرام — القاهرة — ١٩٨٦ — ص ٢١٢ ، وص ٢١١ .

(٣) ميهل — المصدر السابق — ص ٢١١ ، وص ٢١٣ .

قيل له :

— أبدأ .. إنه « مكار » .. يريد أن يكسب وقتاً .. وإنه « يتمسكن حتى يتمكن » .. ثم إن زوجته الجميلة ، القوية سوف توجهه .. وسوف تجعله يقف على قدميه .. حتى يستطيع أن يستعيد سلطة الملك التي أصبحت منذ قيام الثورة « صفراً » .

« والأرجح أن الاتصالات بالأمير محمد عبد المنعم لم تصل إلى شيء قاطع معه ، فقد كان متردداً ، كما أن الأميرة نسل شاه رغم ذكائها كانت على خذر .. وفي الغالب فإن كل ما استطاع الإنجليز الوصول إليه عن طريق السفير توجاى هو أنه : « إذا تأزمت المفاوضات المقبلة بين مصر وبريطانيا وطرأت بعد ذلك حوادث عنف في منطقة القناة استتبعها إضرابات في القاهرة على نحو ما حدث في حريق القاهرة .. فإن الأمير محمد عبد المنعم قد يكون في مقدوره بوصفه وصياً على العرش أن يوجه دعوة إلى الحكومة البريطانية للتدخل العسكرى المباشر لانقاذ الأرواح بما فيها أرواح الأجانب في مصر » .. وهكذا يكون تدخل الإنجليز عسكرياً في مصر قائماً على أساس شرعى ، وبدعوة من الوصى على العرش »^(٤) .

وعجل ذلك بإعلان الجمهورية .

فبسقوط الملكية ، لم يعد الأمير محمد عبد المنعم وصياً على العرش .

« وبعدها بقليل تخلص جمال عبد الناصر من السفير التركى محمود توجاى أيضاً .. فقد قابله ذات مساء في احتفال عام أقيم في دار الأوبرا ، ثم لاحظ أنه تحدث إليه بطريقة غير لائقة ، وطلب إلى وزارة الخارجية على الفور أن تعتبره شخصاً غير مرغوب فيه في مصر وأن عليه مغادرة أراضيها في ظرف ٤٨ ساعة »^(٥) .

ويضيف محمد حسنين هيكل :

« كانت هناك مؤامرة ملكية أخرى .. وكانت في الحقيقة فقاعة صغيرة لم يشعر بها أحد .. فقد حاول الملك « زوغو » ملك ألبانيا المخلوع عن العرش — والذي كان

(٤) و (٥) هيكل — المصدر السابق — ص ٢١١ ، وص ٢١٣ .

لاجئاً في مصر من أيام الحرب العالمية — أن يجمع بعضاً من أعضاء وعملاء أسرة محمد على السابقين ويحرضهم على استغلال اتصالات سابقة لهم مع عدد من كبار ضباط الجيش القدامى ، بهدف القيام بانقلاب مضاد « قبل أن تقتلع كل جنود أسرة محمد على من الأرض وتقع مصر تحت حكم الشيوعيين ، كما وقعت بلاده ألبانيا » .. وذهب أحد سفراء وزارة الخارجية المصرية إلى الملك السابق « زوغو » في قصره بالإسكندرية ليقول له بأدب « إن مصر الجمهورية لم تعد حريصة على بقاء الملوك المنفيين فيها » .. وحمل الملك « زوغو » زوجته « جيراالدين » وحقائبه ورحل عن مصر ، وفرقت الفقاعة دون أن يشعر أحد ^(٦) .

□ □

كان الملك الصغير أحمد فؤاد يغط في نومه ليلاً عندما وردت الأنباء من القاهرة بأنه لن يتولى الملك طول حياته .

كان عمره في ذلك الوقت (١٧) شهراً .. وكان فاروق متغيباً في فرنسا .. وعندما حاصر الصحفيون القصر الذي يعيش فيه .. لم يجدوا من يتحدثوا إليه سوى مربيته التي قالت : « لقد أودعنا الطفل في فراشه في الساعة السادسة مساءً كما جرت العادة ، ثم جاءت أنباء سقوط الملكية في بلاده .. فكانت صدمة لنا ومفاجأة » .

□ □

تلقى فاروق أبناء القاهرة وهو في جنوب فرنسا .. كان حوله مجموعة من الصحفيين ، يوزع عليهم أوراقاً من فئة الجنيه ، وهو يقول : « هذه أجمل صوري » !! أما الذي أبلغه الخبر فكانت أمه الملكة نازلي التي كانت تعيش في الولايات المتحدة .. وقال له بالحرف الواحد : « الآن يابنى انتهى إلى الأبد كل شيء » . كانت نازلي في منفاه وراء المحيط تحاول أن تنسى أنها السبب في كل ما جرى لابنها .. وكانت معها هناك ابنتها فتحية التي أحبت رياض غالى ، وأقنعت بإشهار إسلامه ثم تزوجا .. وسط مشاعر من السخط ، شملت كل أفراد الأسرة المالكة ..

(٦) المصدر السابق — ص ٢١٥ .

وفيما بعد .. انتهت هذه العلاقة بمأساة مروعة اختلط فيها الدم بالجنون .
لقد شاء القدر .. أن تكون الأم — التي دقت المسمار الأول في نعش العرش —
هي أول من يخبر فاروق نبأ الدفن .. إنها ميلودراما الحياة التي لاينجو من عبثها
حتى الملوك .

وفي البرنامج التليفزيونى الفرنسى الذى قدمه فريدريك ميتران عن فاروق : إنه
وقت سماعه خبر إعلان الجمهورية أحس برغبة حادة في البكاء .. لكن الدموع لم
تسعه ، ولم تحقق له هذه الرغبة المتوضعة .. حتى الدموع تخلت عنه .
وقيل أيضاً .. إنه أحس لأول مرة منذ ولادته بأنه تحرر من السجن الذهبى الذى
أحاطته به أمه .. « لقد عاش طفولته بعيداً كلياً عن الواقع حيث كانت مصر بالنسبة
له مجرد قصر رائع تحيط به الخادومات .. وحياة الدلع هذه والرعاية الفائقة والحنانة
التي أحاطته بها أمه بنت لديه إلى الأبد شعوراً بأن يظل محط اهتمام النساء ، وقلقاً
تجاه العالم الخارجى الذى لم يعرف منه سوى حضور والده من وقت لآخر .. وعطفاً
شديداً على الشعب الصغير الذى كان يراه فى أوساط الخدم والحشم » .
وعندما أصبح فاروق ملكاً كان يبدى تجاه أمه مشاعر عاطفية غامضة ، « ككل
ولد مدلل » .. كان يحبها .. رغم أنها كانت تجسد بالنسبة له كل ماكان يأسف أن
يكونه » .

□ □

وكالعادة .. جاء حماس فاروق متأخراً للمواجهة .
لقد أحس الآن .. لحظة وصوله نبأ إعلان الجمهورية .. بأن عليه أن يفعل الكثير .
فرض على أولاده الإقامة فى سويسرا .. حيث الأمان أكثر من إيطاليا .. وبقي
هو فى روما .. ويقول أحمد فؤاد عن أبيه : « كنت أكن له حياً واحتراماً كبيرين ..
صحيح أن المناسبات التى كنا نراه فيها لم تكن عديدة ولكن كانت هناك علاقات
قوية تشدنا إليه .. لقد حمانا كثيراً من العالم الخارجى .. وأعتبر أنى عشت طفولة
سعيدة جداً بفضلله .. لقد كان أباً استثنائياً »^(٧) .

(٧) برنامج فريدريك ميتران .

وفكر فاروق لأول مرة فى العمل ضد الثورة .
ولكنه لم يكن بارعاً بما فيه الكفاية ، فوقع فى شرك عدة نصابين من محترفى اصطلياد الثروات .. باعوا له الترام ، وأوهموه بأنهم سيعيدون الملكية إلى مصر ، والعرش إلى أسرته .

وكان أولهم يدعى فيليب حنا .. قال : إنه جاء ليتصل بالملك فاروق ليشرح خطته .. وكانت خطته أن ينقل إلى الغرب صورة فوزى النظام الثورى فى مصر .. ثم يطلب من إنجلترا التدخل لحماية الأقليات فى مصر .. وفى المقابل كان الثمن المطلوب لتنفيذ الخطة هو (١٠) آلاف جنيه .

وفى صيف ١٩٥٤ ، إتصل صديق قديم لفاروق من جنيف ، وطلب توحيد الجهود بينه وبين محمود أبو الفتح ، الذى تفرغ فى سويسرا للهجوم على الثورة .. وكان هذا الصديق يحمل الجنسية الهندية .. ويدعى ديالدرز .. وقد وافق فاروق على فكرته .. فجاء هو ومحمود أبو الفتح إلى روما .. ونزلا فى فندق « هاسلير » .. تمهيداً لمقابلة فاروق .. وكان الطلب الأول الذى كان على ملك مصر الأسبق تنفيذه هو دفع (١٠٠) ألف جنيه تحت الحساب .

وجاء شخص ثالث يدعى جلال فخر الدين .. وتكرر السيناريو .. وتكرر الدفع .

وفى كل مرة كانت تعرض خطة من هذه العينة على فاروق .. كان يسرح بعيداً بخياله ، ويفرط فى الحديث عما سيفعله لو استرد العرش .. سيطلق الرصاص بيده على ضباط الثورة .. سيشرذم عائلاتهم .. سيسجن كل الأمراء الذين خانوه وأيدوا الانقلاب .. سيعلق ناريمان من شعرها فى ميدان عابدين .. سيتزوج ألف امرأة جميلة .. سيلقى خطبة العرش أمام البرلمان عارياً .. لن يهमे أى شئ .

لقد اجتاحت حالة من الوهم ، ساد فيها إحساسه بجنون العظمة .
ويمكن القول إنه أصيب بانفصام فى الشخصية ، فهو يلعب القمار ، ثم يصل .. ويختفى مع عشيقته إيرما أياماً فى مكان بعيد ، ثم يعود ليبدأ فى الصوم .. إنه لم يعد يعرف الصواب من الخطأ .. وأصبح يندم على الخطيئة ، ثم يعود إليها .. أى أنه كان

يندم على الندم .
أما آخر ما تفتق عنه ذهنه ، فكان خطته الجهنمية التى كشفها سكرتيره الخاص ،
والتي سيستعيد بها كل ما فقده .. وكانت هذه الخطة بسيطة جداً .. « سأطلق
لحيتى » .. « سأرى ذقنى » .
لقد كان يعتقد أن كل ما أصابه بسبب أنه خلق ذقنه .. « وإنه إذا أطلق شعرها
من جديد فسوف يقوى مركزه بين الشعوب العربية والإسلامية » .
ولم تنجح هذه الخطة ، وأصيبت — مثل باقى الخطط الأخرى — بالسكتة القلبية .
ولكن .. « العيار الذى لا يصيب يدوش » .. والدوشة التى أحدثتها هذه الخطط
« الفشنك » ، جعلت النظام الثورى الجديد فى مصر — الذى كان لا يزال بعيداً عن
مرحلة الثقة فى النفس — يخشاه ، فراح يتبعه .. ويمكن القول إنه تمنى الخلاص منه ..
تمنى أن يقطع العرق ليصفى دمه .
فهل حقق الحلم .

هل قتل الملك فاروق ؟

وُلد إبراهيم مصطفى بغدادى فى سنة ١٩٢٥ ، وبالرغم من أنه تجاوز سن الستين بكثير فإنه لا يزال يتمتع بالرشاقة ، والأناقة ، والحيوية ، وحب الحياة .
إنه الرجل الذى قيل إنه قتل الملك فاروق .

والده كان مدير مكتب عمر فتحى كبير الياوران فى القصر الملكى .. وقد تخرج فى الكلية الحربية سنة ١٩٤٥ .. وقاتل فى حرب فلسطين .. وخدم قبل الثورة كضابط مخابرات فى العريش .. وبعد الثورة كان من الرعيل الأول فى جهاز المخابرات العامة .. وقد أصبح فيما بعد محافظاً للقاهرة .. وكان هذا آخر مناصبه .

وهو يقضى معظم وقته الآن فى القراءة ، والرسم ، فى « أتيليه » صغير على بعد خطوات من نادى « الجزيرة » .. وآخر لوحاته .. لوحة اسمها « القراءة للجميع » مساحة بيضاء عليها حروف متناثرة ، ومتداخلة أحياناً ، خطوطها حرة ، وألوانها زاهية .. وإحساسها بسيط .

وقد قال بالحرف : « لم يكن لفاروق أى نشاط سياسى فى المنفى ، يُخشى منه ، ويجعلنا نفكر فى قتله » !

— ولماذا قيل ما قيل ؟

— فرقة صحفية لزيادة توزيع الجرائد والمجلات التى نشرت ذلك !

— ولكنك شاركت فيها ؟

— إنه خيال لبس ثوب الواقع

— ألم يُقتل فاروق ؟

— فاروق مات من التهمة .

الشائعة القوية التي يعاملها الناس معاملة الحقيقة تؤكد أن إبراهيم بغدادى ، دس السم فى طعام فاروق ، بعد أن صدرت الأوامر بقتله ، وتكلفت العملية مليون دولار .. وزجاجة صغيرة من سم الأكوانتين .. الذى يقتل ولا يترك أثراً ١ .
والأكوانتين عقار يوجد فى شكل بللورى ، أو فى شكل مسحوق ناعم .. وجرعته القاتلة لا تتعدى ١ — ٢ مللى جرام .. وأهم أعراض التسمم به .. حموة فى اللسان والقم والحلق .. ارتجافات ورعشات مميزة وشديدة للشفنتين والعضلات المحيطة بهما .. إزدیاد إفراز اللعاب .. انتقال الرعشة إلى الأطراف .. ضعف التنفس .. ثم عدم انتظامه .. ثم زيادة سرعته .. ويعقب ذلك صعوبة الحركة .. واتساع حدقة العين .
وتحدث الوفاة إما نتيجة توقف عملية التنفس ، أو توقف القلب ، بسبب تأثير هذا السم مباشرة على عضلة القلب ، ومركز العصب الحائر ، ومراكز تنظيم الدورة الدموية .. إلخ .

والوفاة قد تحدث سريعاً فى ظرف دقائق .. ولكن فى العادة تتراوح المدة بين تناول السم والوفاة بين نصف ساعة ، وست ساعات .. وإذا زادت المدة عن ٨ — ١٠ ساعات ، يتوقع الشفاء .

وسم الأكوانتين يستخرج من نبات هندي اسمه « خائق الذئب » .. والوفاة بسببه ليست لها صفات تشريحية « مميزة على الإطلاق » .. ويستخدم بعد خلطه بأوراق بعض النباتات لإخفاء طعمه الحادق .. ويمكن القول بأن هناك وجه شبه بين طعمه وطعم عصير الجوافة .. ويمتاز كسم قاتل برخص ثمنه وسهولة الحصول عليه وصغر الجرعة المؤثرة .. وسرعة تأثيرها .. وإمكان إخفاء طعمه بإذابته فى بعض المشروبات .. وتكسره إلى مواد يصعب التعرف عليها بمجرد أن يبدأ الجسم الميت فى التحلل (١) .

□ □

فى ١٧ مارس ١٩٦٥ ، ضرب النعاس عینی إيرما مینو تولو .. عشيقة الملك فاروق .. وملكة المنفى .. فغفت تاركة جهاز التليفزيون مشتعلًا حتى الصباح .

(١) المعلومات الواردة عن الأكوانتين مصدرها تقرير د. على محمود دياب — خبير السموم بالمركز القومي للبحوث — من حالة وفاة المشير عبد الحكيم عامر — انظر كتابنا : « عبد الناصر — أسرار المرض والإغتيال » — ص ٥٤ .

فى تلك الليلة مر عليها فاروق ، ثم تركها ليذهب إلى صديقته « آنا ماريا جاتى »
العاملة فى محل كوافير ، واصطحبها إلى مطعم « أيل دى فرانس » الفاخر .. ووصلوا
قبل انتصاف الليل بساعة .

وفى قاعة « سانت ترويز » ... « أكل فاروق بمفرده دسته من المحار وجراد
البحر ، وشريحتين من لحم الحمل ، مع بطاطس محمرة ، وبقول فرنسية ، ورفض أكل
الفتائر المحلاة ، لأنهم كانوا قد وضعوا مخوراً بها ، لكنه أكل كمية كبيرة من الكعك
المحشو بالمرنى والفواكة » .

وبعد هذه الوجبة الدسمة ، جلس فاروق مستلقياً على أحد المقاعد الوثيرة ، وقد
أشعل سيجاراً ، راح ينفث دخانه بهدوء .. وقبل أن يحرق نصف السيجار.. أحس
بشيء ثقيل يطبق على صدره ، وضاق تنفسه ، واحمر وجهه ، ورفع يده إلى خلقه ..
وبصعوبة طلب النجدة .

وأسرع البارمان إليه .. لقد شاهد البارمان عملية إنعاش تجربى أمامه فى أحد
المستشفيات ، فقرر أن يعيد ما استوعبه .. حمل فاروق بسرعة .. وألقاه بهدوء على
كنبة فى القاعة .. وراح يرفع ساقيه إلى أعلى ثم يخفضها إلى أسفل^(٢) .

وخلال دقائق وصلت سيارة الإسعاف ، حملته إلى مستشفى « سان كاميللو » ..
بعد أن حاول د. نيقولا ماسا إنعاش قلبه فى المطعم وفى سيارة الإسعاف .

وفى المستشفى وضعوه فى خيمة أوكسجين ، واستمروا فى عمليات إنعاش القلب ،
إلا أن قلب فاروق لم يستجب قط لذلك .. وكان فاروق قد فقد الوعي تماماً ..
وأخذ نبضه يتذبذب بصورة مستمرة .. وفى الساعة الواحدة والنصف صباحاً توقف
النبض نهائياً .. ومات فاروق .

ووجدوا فى ثيابه .. مسدساً .. ساعة ذهبية .. نظارة شمس .. حوالى (٩٧) ألف
ليرة إيطالية و (٢٥٠٠) دولار أمريكى .. ومراة كان يضعها فى جيبيه^(٣) .
وقالت الشرطة الإيطالية : إن الفتاة التى كانت معه خافت وهربت عندما رآته

(٢) هيرج ماكليين : الملف السرى للملك فاروق — مرجع سابق — ص ١٧١ .
(٣) عادل البلك : إبراهيم بنهادى الذى لم يقتل الملك فاروق — مجلة أكتوبر — ١٩٩١/٧/٢٨ — ص ٤٨ .

وضاعف ذلك من غموض الوفاة .

□ □

عندما خرج فاروق من مصر كان وزنه (١٣٨) كيلو جرام ، وعندما مات كان وزنه قد وصل إلى (١٦٨) كيلو جرام .. والسبب بالقطع شراسته المجنونة للطعام . ويقول لى أمين فهم إن الطعام الذى كان يتناوله — فى الوجبة الواحدة — يكفى لإشباع أربعة أشخاص .. وهذا ما جعله كتلة ضخمة من اللحم والشحم .. وجعله يتمتع بفكين قويين .. وسرعة واضحة فى التهام الطعام .

وكان من سوء حظ سكرتيره الخاص أنه يأكل على مهل ، وهو ما شجع فاروق ، على خطف الطعام من أمامه .

إن فاروق لم يكن مثل الشاعر الذى تمنى أن يجد كل النساء فى امرأة واحدة ، يأخذها ، ويستريح .. ولكنه تمنى أن يكون كل طعام الدنيا فى طبق واحد يأكله ويهدأ ..

وقد تحول عشقه إلى أسطورة .. أو خرافة .. أشبه بحكايات قبل النوم التى كانت تروىها لنا الجدات عن الخراف التى كانت تظل على نيران الطهى ، حتى تنكمش إلى كوب صغير من الحساء المقوى ، يشربه فاروق مرة واحدة .. والحقيقة أنه كان يأكل الخراف كما هى بحجمها الطبيعى .. لذلك استحق لقب الزهر الذى أطلقته عليه المخابرات الأمريكية .

ولا جدال أن ذلك أصابه بالمرض .

فى مارس ١٩٥٤ شعر باضطراب واضح ، وعدم اتزان ، فاستدعى الطبيب الإيطالى الشهير د. فروجوى الذى كان طبيبه منذ كان صغيراً ، وكان يزوره فى القاهرة كثيراً وهو ملك ، وجاء مع د. فروجوى أخصائى فى القلب اسمه د. فالدونى ، وبعد أن كشفوا عليه ، قالوا له :

(٤) المصدر السابق .

— لإرحم معدتك حتى ترحم قلبك .. فالقلب لا يحتمل كل هذا الوزن .
وحسب ما قاله لى أمين فهميم :
— إن د. فرجوى صارحنى بأن فاروق إذا استمر على هذه الحالة لن يعيش أكثر من (١٠) سنوات .

وبعد عشر سنوات بالضبط صدقت نبوءة الطبيب الإيطالى العجوز .
وفى سويسرا اكتشف الأطباء — فى سنوات فاروق الأخيرة — أنه أصبح يعانى من نوبات مرضية فى المخ ، وكثيراً ما توقعوا حدوثها .
وحسب تحريات الصحفى هيو ج ماكليف : فإن الأطباء الإيطاليين أجروا فحصاً دقيقاً للجثة بعد الوفاة ، ولم يشكوا فى أن يكون للوفاة سبب آخر جنائى .. وأكدوا أن الأعراض كانت بالغة الوضوح لدرجة لا تستدعى أى إثبات .. سنكتة قلبية من السهل حدوثها لرجل فى وزن فاروق ، يعانى من ضغط الدم المرتفع .
ولم تطلب الشرطة الإيطالية تشريح الجثة ، بالرغم من البلاغات التى تلقتها من فاروق ، ويشير فيها إلى خوفه من الموت اغتيالاً .. فقد أحست الشرطة هناك — بالغريزة البوليسية — بأن الوفاة طبيعية .

ولكن .. عدم تشريح الجثة ، أتاح فرصة لقبول شائعة أنه قُتل بالسم ، وأتاح نشرها خارج وداخل مصر .. وهكذا .. جاءت سيرة إبراهيم البغدادي .. الذى يقول :
« لم أقتله ولا ساعدت على قتله .. ولم تقتله الثورة .. ولا فكرت فى ذلك ..
وربما كانت هذه الشائعة قد راجت فى سنة ١٩٦٨ ، عند محاكمة رئيس جهاز المخابرات العامة صلاح نصر .. وربما قالها مع كلام كثير وهو داخل الإتهام ..
ولكن .. لم يسألنى أى مسئول من ضباط الثورة أو من رجال القضاء .. ولم أكن فى يوم ما موضوع مساءلة قانونية ، أو رسمية ولا شبه رسمية .. ولا كانت هذه القضية تؤخذ بصورة جادة .. لقد سمعتها لأول مرة من بناتى ، وقد سمعنها من زميلاتهن فى المدرسة .. وبعدها حملت لقب قاتل الملك السابق فاروق .. وقد ظهرت إعلانات فى بعض الصحف تقول فى صراحة ، وفى وضوح : كيف قتلت فاروق والتوقيع إبراهيم البغدادي .. وهذا شرف لا أدعيه .. وتهمة لا أتبرأ منها .. ولكن أحداً لم

يقتل الملك .. ولا أحد فكر في ذلك»^(٥) .

□ □

ومن السداجة .. أن نطالب جهاز مخابرات في العالم أن يعترف بشيء فعله .. إن مثل هذا الاعتراف لا يحدث إلا في حالات غير عادية .. مثل هروب ضابط مخابرات من دولة إلى دولة أخرى ، معادية ، ويكشف لها ما عنده من أسرار .. وحتى في مثل هذه الحالة ، فإن الاعترافات تؤخذ عادة بحذر .. وتعتبر وسيلة للدعاية المضادة .. لاتخلو من الإثارة والإضافة .. وتعد جولة في مصارعة الحرب النفسية .

أما في الحالات العادية ، فإن اتهام جهاز مخابرات بعملية ما ، يقوم عادة على الاستنتاج ، وقواعد المنطق ، لا على الأدلة والقرائن .. مثل .. وجود خصومة سياسية .. أو مصلحة عليا للتخلص من الضحية .. إنها قاعدة .. فتش عن المستفيد من الجريمة .. وإن كانت الجريمة — في عرف جهاز المخابرات — تُسمى عملية .. ربما لأن الدافع هو الأمن القومي .. ربما لدقة التخطيط والتنفيذ .. ربما لتخفيف الإحساس بالذنب .

ولكل جهاز مخابرات أسلوبه المميز الذي يتخلص به من خصومه .. وهذا ما يجعله مكشوفاً .. على الأقل أمام أجهزة المخابرات الأخرى .. ولكن .. أحياناً يغير هذا الأسلوب ، ليس للتمويه فقط .. وإنما لتبليغ رسالة ما ، يريد أن تصل إلى الأطراف الأخرى .. فالموساد .. جهاز المخابرات الإسرائيلي ، يفضل — مثلاً — القتل باستخدام المسدس المكتوم الصوت .. ولكنه عندما اغتال عالم الذرة المصري د. يحيى المشد ، ضربه بآلة حادة فوق رأسه .. حتى انفجر المخ .. والمخ هنا رمز العلم والعبقريّة .. والمقصود أنهم حطموا هذا الرمز^(٦) .

وليس في عملية « فاروق » ما يثبت التهمة .

وليس فيها ما ينفيها .

وأغلب الظن أن فاروق لم يكن خطراً على نظام جمال عبد الناصر إلى الدرجة

(٥) المصدر السابق — ص ٤٦ .

(٦) راجع التفاصيل في كتابنا : « الموساد وإغتيال المشد » — دار سفينكس — القاهرة — ١٩٨٦٩ .

التي يكون التخلص منه — عندها — ضرورة .. نكأ أن الناس في مصر كانت قد نسيت تماماً .. وفي ذلك الوقت أيضاً كان فاروق قد استكان وكف حتى عن التفكير في مؤامراته الساذجة .. فلا كان يفكر في استرداد عرشه ، ولا كان يمكنه ذلك .. ولم تكن علاقة مصر وإيطاليا على ما يرام .. ولو كانت المخابرات المصرية قد فعلتها لاستغلت الحكومة الإيطالية الحادث في التشهير بالنظام الناصري .. وقد حدث ذلك فيما بعد .. في سنة ١٩٧٤ ، وفي وقت حكم الرئيس أنور السادات الذي كانت علاقاته حسنة بالحكومة الإيطالية .. ففي مساء ١٨ نوفمبر من تلك السنة ، كشفت سلطات مطار مينو ميشينو بروما — على ممر الطائرات رقم ٦ — العملية المصرية الشهيرة ، بنقل الجاسوس الإسرائيلي يوسف داهان ، في صندوق إلى القاهرة .. وقامت الدنيا ولم تقعد^(٧) .

□ □

وعلى حد قول إبراهيم بغدادى : « كان يمكن للملك فاروق أن يموت بنوع من السم البطيء .. لاهو الأكويتين .. ولاهو الاستركتين .. ولكنه .. الزمن »^(٨) .
ومع أنه لفظ أنفاسه الأخيرة وعمره (٤٥) سنة ، فإنه كان قد قضى منها (١٣) سنة في المنفى ، غارقاً في السهر والطعام والخوف والقلق والتوتر .. وعاجزاً عن فعل أى شيء يخفف من قسوة ذلك كله .
لقد عاش ملكاً .. ومات وحيداً .
قضى حياته بالطول والعرض .. وفارقها مثل الصعاليك .

□ □

استيقظت إيرما مينو تولو في الصباح على خبر وفاة فاروق .
والمؤكد أنها صُغت ، وحزنت ، وبكت عليه كثيراً .. « فحتى الآن مازالت تتذكر لحظات حياتها التي قضتها مع الملك فاروق واحتفظت بها في ألبوم خاص بالأيام

(٧) ديفيس أرينجرج وديورى دان وللى لاندلو : الموساد — جهاز المخابرات الإسرائيلية السرى من خلال بعض القصص — كتب مترجمة — ٧٧٥ — الهيئة العامة للإستعلامات — ص ٢٦٦ .

(٨) عادل البلك — المصدر السابق — ص ٤٩ .

السعيدة .. إنها تؤكد أن فاروق كان أول وأكبر خب في حياتها «^(٩) .
«التصلت إليهما بأبنائه في سويسرا .. وقد قدموا في اليوم التالي إلى روما .
وفي ٢٠ مارس ، نُقل جثمانه من « ثلاجة » عامة لحفظ الموتى إلى كنيسة صغيرة ،
حيث أقيمت صلاة الجنازة ، حسب الشعائر الإسلامية ، بحضور بناته الثلاثة .. وابنه
أحمد فؤاد .. والملكة فريدة .. واثنين من شقيقاته هما فائزة وفوزية .. وصديقتة إيرما
التي كانت تحفظ « الفاتحة » وقرأتها على روحه .
وفي تلك اللحظات المريرة أصبح لما سبق أن قاله محمد نجيب في صيف ١٩٥٣
الجار ، معنى ... « أعرف أن فاروق سيفشل في المنفى كما فشل أن يكون ملكاً .
ربما أنه كان شخصاً شديد الإنسانية ومسكيناً .. كان من المستحيل عليّ أن أستمر
في كراهيته ، أو أن أجد لذة في مراقبته وهو يفرق » .

□ □

في أيامه الأخيرة عبر فاروق عن رغبته في أن يدفن إما في مصر — بجوار والده
ومعظم أسلافه في مسجد « الرفاعي » — وإما في المملكة العربية السعودية .. أو الأقل
في أية دولة عربية .

وقد نجح إسماعيل شيرين — وزير الحرية الأسبق وزوج شقيقته — في اقناع
السلطات المصرية بنقل جثمان فاروق من مقابر روما إلى مدافن أسرته في مسجد
« الرفاعي » بالقاهرة .. وبعد عشرة أيام من المساعي ، وافق جمال عبد الناصر على
ذلك .. ولكن بشرط السرية التامة .

وفي يوم ٢٧ مارس ١٩٦٥ نقلت طائرة مدنية من طراز « كوميت » تابعة لشركة
الطيران العربية المتحدة — اسم شركة الطيران الوطنية في ذلك الوقت — جثمان فاروق
إلى القاهرة ، التي وصلتها في منتصف الليل .. وتحت حراسة أمنية صارمة ، نُقل الجثمان
إلى ميكروباس يقوده مخبر سرى ، اخترق طريق « صلاح سالم » حتى منطقة
« القلعة » .. ثم نُقل الجثمان إلى قبر إبراهيم باشا ابن محمد علي الكبير .. حيث دُفن

(٩) برنامج فريدريك ميتران التلفزيوني .

في الساعة الثانية بعد منتصف تلك الليلة .

واستغرقت عملية الدفن عشر دقائق ، حضرها من أسرته الأميرة فوزية ، والأميرة فايقة ، مع زوجيهما .. وبعد أن رحل الجميع ، بقى الجثمان في عهدة راعى القبور الملكية حافظ خطاب .

ولم يسلم قرار جمال عبد الناصر بدفن فاروق — بناء على رغبته ورغبة عائلته — في مصر من « التلسين » فقليل إنه فعل ذلك بعد أن قتله .. حتى يضمن بقاء الجثمان تحت سيطرته ، فلا يفكر أحد في تشريح الجثة ، وكشف أسباب الوفاة ، وكان هذا التفسير — الذى جرد القرار من صفته الإسلامية — الطلقة الأولى في شائعة اغتيال فاروق بالسم . بل أن عبد الناصر قيل انه مات مسموماً هو الآخر وان الذى قتله بتدليل ساق بالسم جاسوس إسرائيلي هو على العكفى الذى مات في السجن بعض القبض عليه^(١٠)

وفيما بعد .. قيل إن رخام قبر جمال عبد الناصر ، نُزع من جدران قبر فاروق وأسرته .. والمقصود أن الرجل الذى جرده من العرش لم يتركه حتى بعد الموت .. موت جمال عبد الناصر طبعاً .. فلو صح ما قيل عن نزع رخام القبر .. فإن ذلك لم يكن بقرار من جمال عبد الناصر .. قطعاً .

ولم يتح لأحمد فؤاد أن يعيد دفن أبيه في القاهرة .. بعد أن شهد مراسم دفته الأولى في روما .. وتقدم الجنازة هناك ، وقد ظهر وجهه — بين الجموع — حزناً . لقد حانت — في تلك الساعة — لحظة معرفة الحقيقة ، ولحظة حل الألغاز والإجابة عن التساؤلات ، ولحظة مواجهة الإشاعات .. أصبح على أحمد فؤاد — منذ ذلك الوقت — أن ينفذ مهمة شاقة جداً ، مهمة معرفة حقيقة والده ، حتى يستطيع أن ينزع الحكم العادل من محكمة التاريخ .. لرجل حكم مصر ، وكان جزءاً من ضعفها ، وأخطائها ، واستسلامها لكل من هب ودب ، وربما كان جزءاً من عظمتها أيضاً . وفي تلك اللحظة بالتحديد .. بدأت مرحلة جديدة في حياة أحمد فؤاد .

(١٠) انظر التماميل في كتابنا : « عبد الناصر — أسرار المرض والاغتيال » — الناشر الدار العربية — القاهرة .

الجزء الثالث

- ١٣ - رقصة ، فلامنكو ، فى ملهى ، القرصان ، .
- ١٤ - زواج ملكى فى قاعة ، المرايا ، .
- ١٥ - كم يملك أحمد فؤاد الثانى ؟ .
- ١٦ - مصر .. وإن طال السفر .
- ١٧ - الخطوة الأولى فى الطريق إلى العرش .
- ١٨ - ملكية .. بقرار جمهورى .
- ١٩ - أحمد فؤاد .. المزيف .
- ٢٠ - (عسكرية ، مصر العربية .

« فلامنكو » في ملهى « القرصان » !

في يوم ٢٦ سبتمبر ١٩٥٥ ، نشرت صحيفة « فيما » اليونانية ... أن البوليس الإيطالى تمكن من اكتشاف محاولة مدبرة لخطف الطفل أحمد فؤاد — ابن الملك فاروق — « وقد اعتقل البوليس ثلاثة أشخاص لم تعرف أسماءهم وجنسياتهم » . كان هذا الخبر ، هو الخبر رقم (٧٢) من نوعه ، الذى تنشره الصحف الأوروبية عن محاولات خطف أو قتل أحمد فؤاد ، منذ أن خرج من مصر هو وأسرته ، وحتى ذلك التاريخ .

ولم تظهر صحة خبر واحد من هذه الأخبار ، التى قيل إن السلطة الجديدة فى مصر ، كانت تسربها من وقت إلى آخر ، حتى تحطم ما بقى من أعصاب والده الملك فاروق والذى كان يخاف على ابنه من النسيم العليل .

وقيل أيضاً .. إن فاروق نفسه هو الذى كان يُسَرَّب بعض هذه الأخبار الكاذبة حتى يكسب عطف العالم ، ومساعدته ، ومساندته .. والمذهل .. أنه من كثير من الأحيان كان يصدق الكذب الذى ينشره بنفسه .

وقيل كذلك .. إن هناك عصابات محترفة — بعض أفرادها رجال مخبرات سابقين — استغلوا خوف فاروق على ابنه ، ونشروا مثل هذه الأخبار ، ليبعوا له تفاصيل المؤامرات الوهمية .. وهى تجارة رائجة ، زبائنها الشخصيات السياسية المنفية .. وأحياناً تلتقط بعض السفارات هذا الطعم .

وأغلب الظن أن الخبر الذى نشرته صحيفة « فيما » اليونانية ، من صنع جهاز دعاية الملك فاروق ، الذى كان يديره الصحفى البريطانى نورمان بريس .. فبعد أيام من نشره ، أرسل فاروق — ابنه — وبناته إلى مدينة « زرمات » القريبة من مدينة « لوزان » فى سويسرا ، ليعيشوا هناك إلى آخر الحياة ، فى قصر كبير اشتراه بأمواله ،

وُضع تحت حراسة البوليس السويسرى ، بخلاف الخواص الألبان الذين خرجوا معه من مصر .

وسهل إقامة الولد والبنات فى سويسرا ، أن والدهم يضع أمواله ومجوهراته فى حساب سرى فى « بنك سويس » منذ سنة ١٩٤٦ .. وكان يتولى هذه المهمة — وهو فى المنفى — أربعة من مديرى هذا البنك ، على رأسهم شخص يُدعى مسيو « بارييه » ، كان فاروق يثق فيه أكثر من الآخرين .. الذين حاولوا إبعاده ليحظوا بهذه الثقة ، فادّعوا أنه سافر إلى لندن للعلاج من حالة نفسية حادة .. وهو ما يجعله غير جدير بأعمال البنوك .. وكانت مسئولية الأربعة تلقى نقود الأجانب .. والأثرياء والزعماء .

وكان رقم حساب فاروق السرى فى البنك مخفياً على « سواز » كان يلفه حول معصمه ولا يخضعه أبداً .. ولعلها المرة الأولى التى ينشر فيها مثل هذه المعلومات التى تتسم بالدقة عن أموال ومجوهرات فاروق فى سويسرا .

يضاف إلى ذلك .. أنه جمّد سيولة جزء من أمواله فى أملاك وعقارات باسمه ، وباسم أولاده ، تولى أحمد فؤاد إدارتها بنفسه منذ أن بلغ سن الرشد .
إن ذلك كله سهّل إقامة ابنه وبناته فى سويسرا .. ولكن .. هذه الإقامة لم تمنحهم جنسيتها ولا جوازات سفر منه .. فكان أن استثمر فاروق صداقته للأمير موناكو .. الأمير رينيه .. ودفع له (٤٠) ألف جنيه استرلينى ، وحصل له ولأولاده على جنسية الإمارة .. وحملوا جوازات سفرها .. وسهّل ذلك الزعيم الفرنسى الأسبق ، شارل ديغول !

ولم يتخل أحمد فؤاد عن جنسية موناكو بعد أن استرد جنسيته المصرية .. وفى جواز سفره الصادر عن الإمارة .. كُتب اسمه على هذا النحو .. « صاحب السمو الملكى .. الأمير أحمد فؤاد » .

أيضا .. لانتزال بنات فاروق يحتفظن بهذه الجنسية .. وإن كُنَّ يعشن إلى الآن فى سويسرا .. وهُنَّ فريال تزوجت وطلّقت ولها ابنة وحيدة اسمها ياسمين .. وفادية متزوجة من روسى اسمه كارولوف ولها منه ولدان .. أما فوزية فلم تتزوج .

وقد أرسل فاروق أولاده إلى سويسرا ، بينا بقى هو في إيطاليا .. وفيما بعد قال أحمد فؤاد : « إن والدى أرسلنى وشقيقاى للإقامة والتعليم في سويسرا .. لأنه كان يخشى على حياتنا ، ورأى في سويسرا مكانا آمينا لإقامتنا ومتابعة دراستنا »^(١) .

وحرص فاروق خلال تلك الفترة على ألا يقيم أولاده أية علاقات مع أى شخص من مصر ، أو من المنطقة العربية ، خوفاً على حياتهم .. وكان هذا هو السبب في عدم إقامة أية علاقات أو صداقات بين أحمد فؤاد وأى شخص من العالم العربى طوال سنوات صباه ، ومطلع شبابه .. ويمكن القول : إنه طوال العشرين سنة الأولى في حياته — على الأقل — تجنب كل العرب الذين كان يراهم مصادفة .. كان يشعر أن الواحد منهم سيخطفه .. أو سيقتله .. أو سيدس السم في طعامه أو كتبه أو ثيابه .. إنهم وحوش بشرية . هكذا قال له والده .. « إحذرهم .. لا تقرب منهم .. تعامل مع الشيطان ولا تتعامل معهم .. لقد سرقوا عرش أبيك .. وحطموا تاريخ أسرتك .. ويريدون الآن التخلص منك » ... وهكذا أضاف والده .. الذى كان لا يكف عن تحذيره كلما زاره ابنه في العطلات الدراسية .

ولكن .. أحمد فؤاد لا يقول ذلك الآن .. وإنما يقول : إن والده « كان يحب مصر ، وكان على لسانه دائما اسمها وأحداثها وتاريخها .. وكان يحدثنى كثيراً عنها .. عن عراقها وعظمة تاريخها .. وكان يهتم بحفظى بعض آيات القرآن الكريم وكان يعلمنى المبادئ الرئيسية للإسلام .. وهو الذى علمنى الصلاة .. وكان كل مساء يسألنى إذا ما كتبت قد أديت الصلاة أم لا ؟ وهو ما جعلنى أحرص على أدائها في مواقيتها .. وقد نما ذلك في قلبى حتى اليوم بحمد الله وفضله »^(٢) .

ولا مانع — رغم فساد والده — أن نصدق ذلك .. فربما أراد فاروق أن يحمى ابنه مما تعرض له .. وربما أراد أن يحميه بالإستقامة والصلاة من شدة رياح عواصف الغربة .. وربما أراد أن يكفر عن ذنوبه بتعليم ابنه المبادئ الرئيسية للإسلام .. فلا تسألوا الناس ، أسألوا الظروف .. والناس لا تولد والخطيئة معها ، وإنما تدفعها

(١) و (٢) حديثه مع سعد زغلول فؤاد — مجلة « كل العرب » — ص ٥٤ .

الظروف إليها ، كما يقول إحسان عبد القدوس .

□ □

ولم تكن « موناكو » مجرد جنسية فقط وإنما كانت أمومة أيضا .
فقد أحسنت أميرة موناكو — نجمة السينما السابقة — زوجة الأمير رينيه ، جريس
كيل بأنها مسئولة عن تربية أحمد فؤاد ، وعاملته مثل ابنها .. فقد أحسنت أنه يتيم ،
وخيد .. فألمه بعيدة عنه وغير مسموح لها أن تراه .. وأبوه في بلد آخر ، ولا يراه
إلا كل سنة مرة .

وتقول زوجته « فضيلة » :

« إن أميرة موناكو الجميلة المثقفة الراقية هي المرأة التي رعت زوجي حين غادر
مصر طفلا .. كفلت له كل ما يحتاج إليه في هذه السن الصغيرة »^(٢) .
وفي موضع آخر تقول : « إن الأميرة جريس كانت تعامل زوجي كأُم .. وكانت
تقدر ظروف حياته ، حيث كان يعيش يتيماً وبعيداً عن أهله ووطنه »^(٣) .
وفي موضع ثالث تقول : إن أمير وأميرة موناكو كانا دائماً في متبى اللطف معه ،
لأنه كانت هناك صداقة متينة واحترام متبادل بينهما وبين والده الملك فاروق ..
وكان الأمير رينيه يعتبر نفسه الأب الروحي لأحمد فؤاد .. ويعامله معاملة الابن ..
وكذلك فإن الأميرة جريس — التي أحببتها كثيراً وحزنت جدا لوفاتها — كانت
تشعر بحب نابع من إحساس الأمومة لأحمد فؤاد .. وكانت تريده أن يتزوج لأنها
كانت تقدر أنه شاب يتيم ، وبعيد عن بلاده .. والمؤكد أنها كانت بالنسبة إليه بمثابة
أم بديلة .. أو أم استثنائية .. لهذا كانت دائما تفكر فيما ستكون عليه حياته من
بعدها .. خصوصاً وأنها لم تكن تعرف ما يجتبه المستقبل .

□ □

وقد أصرت الأميرة الجميلة جريس رينيه على أن تتولى بنفسها الوصاية على أحمد

(٢) حديثها مع فرح غندور — مجلة « الوطن العربي » — ص ٨٤ .

(٣) حديثها مع سعد زغلول فؤاد — المصدر السابق — ص ٥٧ .

فؤاد ، بعد وفاة والده .

كان عمره حوالى (١٣) سنة عندما مات والده .. وقد سافر — هو وشقيقاته — إلى روما ، ليتقدموا الجنازة التى انتهت عند مقبرة « فيرانو » .. وقد شاركت الملكة فريدة فى تشييع جثمان زوجها السابق إلى مثواه الأخير .

أما ناريمان .. فكانت فى لبنان .. تنفق الأموال التى أخذتها من فاروق ، ومن حصيلة بيع مجوهراتها التى سبق أن هربتها — فى سنة ١٩٥٤ بواسطة عصابة دولية — من القاهرة إلى سويسرا .. وكان عدد المجوهرات (٤٤) قطعة ، لا تقل قيمتها — فى ذلك الوقت عن (١٠٠) ألف جنية .

وقد أنفقت ناريمان كل ما حصلت عليه .. وهو ما يقدر بنصف مليون جنيه على الأقل .. ثم تدهورت أحوالها فى بيروت .. واضطرت إلى أن تفعل هناك ما أساء إليها . وعندما مات فاروق ، تصورت أن الدنيا ستضحك فى وجهها مرة أخرى .. فهى ستعود إلى ابنها — القاصر — الذى ورث عن والده الملايين ، والتى تستطيع أن تشارك فيها .

ولكن .. قبل أن تضع يدها على « الكنز » .. فوجئت بقاضى محكمة الأحوال الشخصية فى روما ، يصدر قراراً — فى ٣٠ مارس ١٩٦٥ — بتعيين فريال وصية على أحمد فؤاد وثروته التى ورثها عن والده فاروق ، وتعيين فوزية وصية احتياطية . وأصبحت ناريمان بانزعاج شديد ، وطلبت من المحامى المصرى د. حنفى أبو العلا السفر إلى روما ، لاتخاذ إجراءات الطعن فى هذا القرار .. وفى روما كلف د. حنفى أبو العلا المحامى الإيطالى « أركل جراسياديه » بالطعن .. وجاء فى عريضة الطعن .. « أن القرار صدر بناء على بيانات كاذبة قدمتها فريال وفوزية للقاضى ، حيث قالتا إن ناريمان تقيم فى بلد يصعب عليها الخروج منه ولا تستطيع مباشرة حقها الشرعى فى الولاية .. وهذا غير صحيح . فقد سبق أن سافرت ناريمان إلى الخارج مع أمها أكثر من مرة دون صعوبة تذكر .. كذلك .. فإن فاروق لم يحدد قبل وفاته شخصية الوصى على ابنه .. ومن ثم تكون أمه ناريمان هى صاحبة الحق الأول فى الوصاية .. خاصة وأنها كانت فى روما يوم تقدمت فريال وفوزية بطلب الولاية على أخيها

القاصر » .

وردت نيابة الأحوال الشخصية في روما — وعامى فريال وفوزية — على عريضة الطعن بالقول : « إن ناريمان ليس لها حق الولاية الشرعية طبقاً لقانون بلدها .. فالمرأة المرأة المصرية ليست أهلاً لتولى الوصاية على أولادها » .

وأنتهى القاضى الإيطالى. هذا الصراع بالحكم بأن القانون الواجب تطبيقه فى هذه الحالة ، هو قانون إمارة موناكو .. وطبقا لهذا القانون تكون ناريمان صاحبة الولاية الشرعية على ابنها أحمد فؤاد .. وهكذا .. طارت أوراق القضية من روما إلى موناكو .. وهناك بدأ الصراع يشتد .. فقد دخلت طرفاً فيه جريس كيلي .. التى أعلنت بالنص : « أنها ستولى بنفسها الوصاية على أحمد فؤاد ابن فاروق من ناريمان » .. وأضافت الأميرة الناعمة : « أن شقيقاته فريال وفوزية وفادية طلبن إليها كتابة أن تتولى الوصاية » .

وردت ناريمان — وكانت تعيش فى فندق الأكسلسيور ببيروت — بأنها الوصية الشرعية على ابنها القاصر ، وفقاً لتعاليم الدين الإسلامى .

فعادت جريس كيلي لتقول : إن فاروق مواطن فى إمارة موناكو — إمارة زوجها — وابنه أحمد فؤاد أيضاً .

والمقصود .. أنها صاحبة الإمارة .. وأنها صاحبة القرار الأول والأخير فيها .. إنها القانون ، والسلطة ، والنفوذ .. وهذا ما جعلها تكسب الجولة فى النهاية .

ويمكن القول إن ذلك كان من حسن حظ أحمد فؤاد ، فأمه ناريمان كانت فى حاجة إلى أمواله ، أكثر ما كان هو فى حاجة إلى رعايتها .. ثم .. إنها ضحت به وبأمومتها وهجرته فى وقت كان فى أشد الحاجة إليها .. ثم .. إنه عاش سنوات طفولته ، ووصل إلى عتبة الرجولة ، وهو بعيد عنها .

وهى الآن فقيرة ، وهو فى متهى الثراء .. وهى لم تتعود تحمل المسئولية ، ويمكن أن تبدد أمواله ، وهو فى حاجة إلى هذه الأموال ، على الأقل لاستكمال تعليمه ، ولضمان مستقبله .

إن أمومتها المتأخرة حوالى (١٣) سنة ، كانت صفقة خاسرة بالنسبة إليه .

□ □

والمؤكد ..

أن فاروق ترك وصية قبل وفاته ، وإن لم يحدد فيها من ينفذها .
وقد كتبها أول مرة في سنة ١٩٠٤ ، فور أن تلقى معلومات سرية ، عن وصول
ثلاثة مصريين ، فجأة إلى روما ، قيل إنهم جاءوا لقتله .

وكان الوصى الذى حدده ، هو الملك سعود بن عبد العزيز ، حتى يضمن المزيد
من المساعدة المالية له ، ولأولاده من بعده ، وكانت البنود الأساسية للوصية :

١ — أنا فاروق الأول ، ابن المرجوم أحمد فؤاد — ملك مصر سابقاً — تلك
هى وصيتى إذا هم القضاء ، فإنى أعهد بأولادى من بعدى إلى أخى وصديقى الكريم ،
حضرة صاحب الجلالة الملك سعود الأول ملك المملكة العربية السعودية ، ليكونوا
في كنفه وتحت رعايته وفى حراسته .

٢ — وأوصى بالألا يكون لزوجتى السابقة ناريمان والدته ابنى أحمد فؤاد ، ولا
لفريدة والدته بناتى الحق فى أى شىء من التركة .

٣ — وأوصى بثروتى .. العقار والمنقول إلى ورثتى المذكورين من بعدى وهم :
ابنى أحمد فؤاد .. وابنتى فريال .. وابنتى فوزية .. وابنتى فادية .

٤ — وأعهد إلى سكرتيرى الخاص — أمين محمد فهم — وإلى مربية بناتى الآنسة
سيمون تابوريه بتولى أمر أطفالى وتدير شؤونهم والقيام على إتمام تعليمهم فى الخارج
وهما على علم بشروطى فيما يتعلق بزواج البنات^(٤) .

وكانت هذه الشروط التى كشفها سكرتيره الخاص .. أن يكون الزوج مسلماً ..
وغنياً .. وألا يكون من ضباط الثورة الذين عزلوه . فقد كان يقول : « لو كنت
تركت بناتى فى مصر لكانت الثورة انتظمت منهن وزوجتهن من عساكر » .
وقد ختم فاروق الوصية بختم الملكية ، وأودعها عند موثق العقود الإيطالى فى
روما .. ولكنه سحب الوصية ، وغيرها أكثر من مرة .. ألغى وصاية الملك سعود

(٤) روى ل أمين فهم قصة الوصية فى حوارة المباشر معى ، ثم وجدتها فى مقالته لجلة آخر ساعة ، قبل (٣٣) سنة .

بعد أن أصبح خارج السلطة .. وألغى اسم سكرتيه الخاص منها ، بعد أن تركه وأصبح سكرتيراً خاصاً لمطلقة ناريمان صادق ، وأشيع أنه على علاقة بها .. وألغى اسم مربية أولاده أيضاً بعد أن طردها على أثر اكتشاف تعاطفها مع الملكة السابقة . وأعاد فاروق كتابة الوصية ، بعد أن نزع منها كل الأسماء ، وان جعل النصيب الأكبر من الثروة لابنه أحمد فؤاد .. بعد أن تصور أن النقود قد تسانده في إستعادة العرش في الوقت المناسب .

وكان خلو الوصية من اسم وصى ، السبب المباشر في النزاع الذى أثارته ناريمان .. وكسبت في النهاية جريس كيلي ، أو جريس رينيه .. لافرق .

□ □

لقد تابعت أميرة موناكو الجميلة ، دراسة أحمد فؤاد في مدارس سويسرا الداخلية .. وهذه المدارس لها طبيعة خاصة .. تتداخل فيها مناهج الدراسة مع فنون الحياة .. التاريخ والإتيكيت .. الفيزياء وتسلق الجبال .. الجغرافيا وقواعد المرور .. حساب المثلثات وركوب الخيل .. الجبر وكيفية معاملة المرأة .. الهندسة الفراغية وأنواع الأطعمة ... إنها مدارس تتعامل مع عقل الطالب ، وذوقه ، وجسمه ، وخبراته .. تؤهله للحياة قبل أن تعدّه للوظيفة .. لذلك .. يفضلها الأثرياء ، والأمراء ، ليربوا فيها أولادهم .. وهم قادرون على دفع الثمن .

وكانت الدراسة — في هذه المدارس — بالفرنسية .. لغة الأرستقراطية .. وكانت الإنجليزية — لغة الديمقراطية — لغة أخرى ، مساعدة .. وهو يجيئها الآن .. ويتعامل بها أغلب الوقت .. في عمله وفي بيته وفي حياته الإجتماعية .. أما العربية فسعى إلى تعلمها بعد سن العشرين .. ونجح في أن يتعلمها بنفسه ، وفشل في أن يتعلمها من مدرس خصوصى .. وكانت وسائله في نطقها متنوعة .. القرآن الكريم .. الأفلام .. والأغاني .. والصحف .. وشرائط الكاسيت . وتقول زوجته : إن رغبته وعناده وقوة إرادته ، كانوا وراء نجاحه في نطق لغة بلاده .. فقد أحس بالعار لأنه لا يتحدث بها .. وكان عليه أن يحو هذا الإحساس .

أما هي فحاولت تعلم اللغة العربية .. لكن .. الأمر كان صعباً جداً بالنسبة لها ..

على حد قولها : « لأن أذى ليست موسيقية واللغة العربية ليست سهلة .. وعندما أكون في أى بلد عربى فإننى أحاول تعلم بعض الكلمات العربية من خلال التلفزيون .. والآن يأخذ أولادى دروساً في اللغة العربية .. أحضرها معهم .. وأحاول الاستفادة منها » .

وهو يقرأ العربية أفضل مما يتكلمها .. ويتكلمها أفضل مما يكتبها ! .
وهو لم يكن في حاجة إليها إلا بعد أن تخرج من الجامعة ، واشتغل في عالم المال والتجارة ، الذى أصبح — بعد انفجار أسعار وثروات البترول — يتحدث العربية .. ويتناول طعامه — أحياناً — مذبوحاً على الشريعة الإسلامية .. كما أن حاجته زادت إلى هذه اللغة بعد أن قرر إعادة كتابة تاريخ أسرته الممتد إلى قرنين من الزمان .. ويمكن إضافة سبب آخر .. وهو حلمه — الذى كان يعلنه دوماً — بالعودة إلى مصر .. ولا أقول إلى عرش مصر .

ولقد رفض أحمد فؤاد اختيار والده ، ولم يلتحق بكلية « أيتون » العسكرية في بريطانيا .. ورشح له الأمير رينيه كلية « روزى » لدراسة الاقتصاد والعلوم السياسية .. وهى الكلية نفسها التى تخرج منها أمير موناكو . وتحمست لهذا الاختيار الأم البديلة ، جريس كيلي .. وكان ذلك على مائدة الغذاء في قصرهما .. وقد اعتاد على تناول طعام الغذاء معهما من وقت إلى آخر .. وكلما كان على عتبة جديدة في مشوار حياته . وقد التحق بالفعل في هذه الكلية ، التابعة لجامعة جنيف في سنة ١٩٧١ ، وكان عمره (١٩) سنة ، والتحقت بالكلية نفسها ، أثناء فترة دراسته ، الأميرة كارولينا ، ابنة أمير موناكو من جريس كيلي .. وقيل إنه أحبها .. وقالت مجلة « دومينيكا ديلي كورييري » الإيطالية .. إنه سيتزوجها .. فقد وجد فيها بنت الحلال التى يبحث عنها .. وكان ذلك في ١٤ سبتمبر سنة ١٩٧٤ ، قبل تخرجه بعام واحد .. لكن .. ذلك لم يتم .. وقيل إن أهلها رفضوا هذا الزواج .. فهى أميرة حالياً .. وليس من الحكمة أن تتزوج منه حتى ولو كان ملكاً سابقاً .

في ذلك الوقت لم يكن أحمد فؤاد على الصورة التى رأيناه عليها عندما جاء إلى مصر .. كان نحيفاً .. رشيقاً .. يرتدى ثياباً فاقعة الألوان .. ويفتح صدره .. ويغطيه

بسلاسل من الذهب المضفر السميك .. ويضع في أصغر أصابع يده اليمنى خاتماً من الماس .. ويسهر كل ليلة حتى الفجر .. ويعيش حياته بالطول والعرض .. وكان الملهى المفضل عنده ، ملهى « القرصان » .. وهو من أشهر الملاهى الليلية بساحل الكوت دازور .. وفي أكتوبر ١٩٧٥ ، نشرت مجلة « بارى ماثش » الفرنسية ، مجموعة صور له في الملهى ، وهو يراقص زوجة صاحبه ، رقصة « الفلامنكو » الإسبانية .. وقالت المجلة : « إن الشاب الذى كان من الممكن أن يجلس على عرش مصر ، ويحمل لقب ولى العهد ، ولقب صاحب الجلالة ، حوالى سنة ونصف السنة ، غارقاً فى النعيم إلى أذنيه .. ينزح من بئر ثروة طائلة تركها له والده فى الخارج .. ويتفق ما ينزحه فى ملاهى أوروبا .. وقد تخرج هذا الصيف من كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة جنيف ، وأقام بهذه المناسبة حفلة فى ملهى « القرصان » .. وكانت ليلة من ليالى ألف ليلة^(٥)

فى هذه الفترة من عمره كان يعيش حياة شباب الطبقة الأرستقراطية فى أوروبا .. السهر .. والخمر .. والرقص حتى الصباح .. قيادة السيارات الاسبور بجنون .. والتباهى بالثياب المصنوعة على أحدث طراز .. والاندفاع نحو الجميلات ، والراقصات .. وكان هذا مكلفاً .. لكنه قادر على الدفع دائماً .

وكان فرداً فى « شلة » تضم أمراء من أسر ملكية سابقة كالتى حكمت إيطاليا وألبانيا .. وأمراء من أسر ملكية حالية كالتى تحكم الدانمارك والنرويج .. وأمراء من أسرة ملكية سابقة ، ثم عادت إلى عرشها . كأسرة خوان كارلوس فى إسبانيا . وكان أفراد هذه الشلة يتنافسون فى كل شيء .. الانفاق .. ولفت نظر نجمات السينما ونساء المجتمع .. واكتشاف وسيلة شاذة للمتعة والصخب .. والبقاء مدة أطول بلا نوم .

ويمكن رصد أسباب كثيرة ، متنوعة لفساده فى تلك الفترة .. حرية فى التصرف

(٥) نقلت مجلة « صباح الخير » القاهرية صور أحمد فؤاد وهو يراقص زوجة صاحب ملهى القرصان ، عن المجلة الفرنسية ، ونشرتها فى عددها الصادر يوم ١٦ / ١٠ / ١٩٧٥ ، تحت عنوان : أخيراً .. هذا هو ابن فاروق فى ليلة من ليالى ألف ليلة .. وكانت أسوأ صور بعد طول غياب .

في أمواله بعد أن بلغ سن الرشد .. خروجه من النظام المدرسى الصارم إلى الحرية الجامعية مرة واحدة .. أصدقاء السوء .. عناصر الوراثة .. صدمته في حب كارولينا .. طيش الشباب .. عدم وجود رقابة عائلية تعيده إلى الصواب .

ولكن .. على الجانب الآخر .. كانت هناك مقاومة ، خلقت التوازن النفسى والاجتماعى .. وكانت أسباب هذه المقاومة كثيرة ومتنوعة أيضاً .. شخصية شقيقته الكبرى فريال واحترامه لها .. ثم وضوله إلى مستوى من التعليم جعله يفهم الكثير .. خوفه من أن يكرر مأساة أبيه .. عناصر الضعف والتراجع التى ورثها عن أمه .. وقبل ذلك وبعده ، وصاية جريس كيلي :

وقد عرفتُ من أحد أفراد الأسرة المالكة السابقة — لايزال يعيش في الإسكندرية — أن جريس كيلي ، لفتت نظره إلى ضرورة العودة إلى الحياة المستقيمة ، قائلة :

— يابنى .. لاتدعهم يقولون إننى فشلت في تربيتك !

ومرة أخرى قالت له :

— لاتكرر يابنى الأخطاء التى أفقدت أسرتك كل شيء .. إنها لاتحتمل الآن خطأ آخر !

ومرة ثالثة أضافت :

— لقد آن الأوان أن تتحمل مسئولية شقيقاتك .. كن فارساً يابنى .. ولا تدع حياتك تفرق في تيار اللهو !

□ □

وحتى يستعيد نفسه في الوقت المناسب .. كان عليه أن يتزوج .

ونظر — في ذلك الوقت — حوله ، فوجد الفرنسية السمراء الجذابة دومينيك بيكارد .

يهودية .. جذورها القديمة تركية .. أسرتها من مقاطعة « الأغراس » .. وأمها ست بيت .. والدها يعمل في مجال الصناعة .. حاصلة على ليسانس الآداب في اللغة الفرنسية بدرجة جيد جداً ، وكانت تستعد لتقديم رسالتها الدراسية العليا حول « نفسية المرأة في ألف ليلة » .. وشقيقتها الكبرى درست الهندسة المعمارية .. أما

شقيقها فقد درس الاقتصاد والعلوم السياسية ، مع أحمد فؤاد ، وكان جسر التعارف بينهما .

وتقول دومينيك بيكارود :

— « لقد رأيت أحمد فؤاد أول مرة في سويسرا .. كان اللقاء مجرد صدفة .. فإن شقيقى كان يدرس في نفس الكلية التى يدرس فيها .. وقد نشأت بينهما صداقة متينة .. وكان من عادة الكلية أن تقيم في نهاية كل عام دراسى مهرجاناً رياضياً توزع فيه الجوائز على الطلاب المفضلين .. وكانت الكلية تدعو أيضاً إلى هذا المهرجان أهالى الطلاب .. وقد دُعيت إليه أنا وأسرتى .. وسافرنا إلى سويسرا لنرى أخى وهو يتسلم جائزته .. وفي هذه المناسبة ، تعرفت عليه .. وقال لى بأننى أشبه عائلته من الأميرات المصريات » .

لم يقع الحب من أول نظرة .. ولكن .. كان الإعجاب .. هو أحسن أنها أميرة وهى تمت ذلك .

ولأنها كانت فى ذروة المراهقة ، فقد لفت نظرها رشاقته ومظهره وأناقته .. « وطيبة قلبه التى تظهر على وجهه » .. وفيما بعد .. بعد الزواج تراجعت الرشاقة والأناقة .. ولكنها اكتشفت الطيبة والذكاء .

.. وفى يوم من أيام صيف — ١٩٧٧ كانت مس بيكار ستركب الطائرة من مطار « أورلى » ، ثم تغير اتجاه الرحلة ، فغيرت فى آخر لحظة المطار .. وأصبح مطار « شارل ديغول » .. فى الوقت نفسه كان من المقرر أن يسافر أحمد فؤاد بالقطار .. ولكنه غير رأيه وقرر السفر بالطائرة .. واتجه إلى مطار « شارل ديغول » .. وفى صالة السفر التقيا صدفة .. وهى صدفة كانت خير من ألف ميعاد .. أتاحت لهما الدخول فى الموضوع مباشرة .. ومن ثم اتفقا على الزواج .

زواج ملكي في قاعة « المراهبا » !

موناكو إمارة بالغة الصغر لاتزيد مساحتها عن (١,٨) كيلو متر مربع ، ولا يزيد عدد سكانها عن (٤٠) ألف نسمة ، بينما يضل عدد السائحين الذين يزورونها سنوياً إلى مليون سائح .

وهي تعيش على السياحة والقمار وسباق السيارات وطوايع البريد الجذابة . ومونت كارلو العاصمة وهي مدينة مفتوحة .. وحرّة .. معتدلة المناخ حتى في الشتاء .

وشهر أكتوبر هو موسم الزواج هناك .. ليس فقط لأن الطبيعة تكون في أجمل وأبهى وأرق حالتها .. ولكن .. لأنه أيضا الشهر الذي تزوج فيه الأمير رينيه الثالث من نجمة السينما الأمريكية اللامعة والجذابة جريس كيل .

في ٥ أكتوبر سنة ١٩٧٧ .. صدر بيان رسمي عن قصر الحكم في الإمارة يعلن : أن « صاحب السمو الملكي الأمير أحمد فؤاد الثاني ، ابن الملك فاروق الأول ، سيتزوج من الانسة دومينيك فرانس بيكارد ، الفرنسية الأصل ، والتي اعتنقت الديانة الإسلامية وأصبح اسمها الجديد فضيلة » .

وأضاف البيان — الذي تعامل مع أحمد فؤاد وكأنه لم يفقد ألقابه الملكية — قائلاً : « إن المراسم الدينية لعقد القران ستعقد اليوم ، وسيحضرها الأمير رينيه الثالث أمير موناكو ، وقرينته ، وبعض أفراد من الأسرة الملكية المصرية » . وهكذا .. حانت ساعة الصفر لدخول أحمد فؤاد قفص الزواج الذهبي .

□ □

قبل ذلك .. بعدة أشهر .. ذهب أحمد فؤاد لتناول طعام الغداء على مائدة أمير وأميرة موناكو ، وكان ذلك إشارة منه لبحث موضوع هام يشغله ، ويرى أنه سيؤثر

فى مستقبفه ، وكان الموضوع الهام هذه المرة هو موضوع زواجه من دومينيك بيكارد ، ويبدو أن هذا الموضوع كان يؤرقه ، فقد سارع — قبل أن تبدأ طقوس الطعام — بإخراج صورة العروس من جيبه ، وقدمها إلى جريس كيلى .. لاحظ أنه لم يستشر أمه الحقيقية ناريمان ، ولا أرسل إليها صورة دومينيك ليأخذ رأيها .. فحتى فى عالم الأرستقراطية الملكية الأم هى التى ربت لا التى أنجبت .

راحت جريس كيلى تفحص الصورة وتتأملها بعناية ، ولم تترد فى الحكم على صاحبها حسب علم الفراسة المعروفة .. وبعد قليل أبدت بعض الارتياح .. ثم .. راحت تستفیر عن أسرتها ، وحياتها ، وثقافتها ، وذوقها ، وسر اختياره لها .. وزادت إجاباته من مساحة الارتياح .

وفىما بعد .. قالت دومينيك :

« إن جريس كيلى أحببتها من صورتها الفوتوغرافية » .

ويمكن القول إن ذلك قد حدث .. ولكن .. يمكن القول أيضا إن أميرة موناكو لم تحف قلقها عندما عرفت أن العروس تكبر أحمد فؤاد بجوالى (٣) سنوات .. وأنها غير مدربة على قواعد البروتوكول الملكية .. وأنها مجنونة بالشهرة .. وتحلم بالانتماء إلى عالم الأرستقراطية الملكية دون أن تكون قادرة على التعامل معه ! إنها مثل ناريمان ولكن فى صورة فرنسية ! .

وهى تميل إلى السيطرة .. ومزاجها حاد .. ولسانها أيضا ، وذلك بالرغم من المجهود الكبير الذى تبذله حتى تحافظ على رقتها الظاهرة ، ولم يكن من الصعب اكتشاف طموحها ، ورغبتها فى منافسة النجوم ، فهى تتحدث للصحف أكثر من زوجها ، وهى تفضل أن تكون خلفية الصور التى تلتقط لها ، لوحات الملوك مصر السابقين ، من محمد على إلى فاروق .. وفى سبيل الوصول إلى ذلك ، كانت مستعدة للتضحية بكل شىء .. أسرتها .. ديانتها .. وشهاداتها .. وسعيها إلى التدريس فى جامعة السوربون العريقة .

إنها تريد أن تصبح ملكة مهما كان الثمن .

وقد راحت تتصرف على هذا النحو حتى قبل عقد القران .

ولم تتردد في فترة الخطوبة في اعتناق الإسلام بالرغم من أن أحمد فؤاد لم يجبرها على هذا ، وترك لها حرية الاختيار بين البقاء على الدين الذي وُلدت به ، أو الدخول في الإسلام ! .

وحسب الشريعة الإسلامية فإن زواجها صحيح ، حتى لو ظلت يهودية ، ولكن أولادها يصبحون مسلمين .

وقد أشهرت دومينيك إسلامها على يد إمام مسجد باريس الشيخ عبد الحميد عامر ، الذي شرح لها مبادئ الإسلام ، ولقَّنها تعاليمه وأصوله . وفيما بعد قالت :

« لقد اخترت ما اقتنعت وآمنت به .. اخترت الإسلام الذي ملأ نوره قلبي .. وأحمد الله أنني ذهبت للحج إلى بيت الله مع زوجي وأدينا ما فرضه الله وكتابه وسنة رسوله الكريم ، كي يباركنا الله ويرحمنا »^(١) .

« وقد أمضينا بين مكة والمدينة ستة أيام ، وكان رائعاً أن أرى هذه الحشود الكبيرة من الناس وقد جاءت من بلاد مختلفة بدافع الإيمان فقط ، وارتدوا كلهم لباس الإحرام الأبيض .. ولقد تأثرت بجو الخشوع والإنصراف إلى العبادة ، بحيث لم أعد أتصل حتى بأولادى الذين لم يكونوا معي في هذه الرحلة »^(٢) . وسئلت :

— هل تسبب الإسلام في تغيير بعض عاداتك ؟

فأجابت :

— نعم .. فقد توقفت عن شرب الخمر وعن أكل لحم الخنزير^(٣) .

— كيف تكيفت مع الجو العربى الاسلامى ؟

— حبى لزوجى السبب .. وقد ساعدنى بصبر على التكيف والتغيير .

وفور أن أشهرت دومينيك إسلامها اختار أحمد فؤاد لها اسم « فضيلة » ، دون

(١) سعد زغلول فؤاد — مصدر سابق .

(٢) الموعد — ٢٩ / ١٢ / ١٩٨٤ .

(٣) الوطن العربى — مصدر سابق .

أن يسألها — على حد قولها — إذا كان قد أعجبها الاسم أم لا ؟
أى أنه منحها حرية اختيار الديانة ... ولكنه فرض عليها الاسم .
وقد قبلت الاسم ، وحملته ، وطلبت من أقاربها وأصدقائها أن ينادونها به ، ثم
اعتادت عليه بسرعة بعد أن اقتنعت بأنها ليست الوحيدة فى عائلة زوجها التى غيرت
اسمها ، فالملكة فريدة كان اسمها صافيناز ، ولم تعد إلى اسمها القديم بعد طلاقها من
فاروق وكانت توقع باسم فريدة على اللوحات التى ترسمها .
وذهبت فضيلة إلى أسرتها بعد أن أصبحت مسلمة ، لتخبر والديها بأمر زواجها ..
وروت لهما تفاصيل ما جرى .. وأحس الأب بصدمة .. لا لأن ابنته ستتزوج من
ملك سابق .. ولكن .. لأنها تنازلت بسهولة عن يهوديتها والاسم الذى اختارته
أسرتها .. وكان الأب — مثل أى يهودى بارع — يرى أنه كان من الممكن أن تكسب
ابنته من هذا الزواج دون أن تخسر أى شيء .

وشاء القدر أن يتوفى الأب قبل حفل الزفاف الذى كان قد تحدد مواعده الأول
فى صيف ١٩٧٧ ، فكان لابد من تأجيل الموعد إلى الخريف ، لأن العروس ارتدت
ملابس الحداد .. ولم تشأ أن تخلعها — لترتدى ثوب الزفاف الأبيض — على الفور .

□ □

فى قاعة « المرايا » — المطلية باللون الأبيض — بقصر موناكو الرسمى ، أقيم حفل
الزفاف .

كان أحمد فؤاد الذى تجاوز الخامسة والعشرين لا يزال رشيماً ، وإن كان الصلع
قد أكل نصف شعر رأسه ، يرتدى بدلة داكنة اللون ، وكرفته ، وكان على ما يبدو
يخشى البرد ، فقد ارتدى فوق القميص ما يحميه من الهواء وأغلب الظن أنه ندم على
ذلك ، بعد أن شعر بالحر .

أما فضيلة فكانت ترتدى فستاناً أبيض اللون ، يمتلىء بالتطريز الشرقى ، وأصر
زوجها على أن تضع الياشمك — غطاء الرأس التركى — على رأسها ، كمعادة النساء
من أسرته .

وتقول فضيلة :

« لاحظت أن الياشمك يمكن ارتداؤه مع معطف .. ولكن من الصعب أن يوضع مع فستان ، وبالأخص فستان زفاف .. وقد تعبت كثيراً من أجل أن أنفذ ما طلبه أحمد فؤاد.. واستطعت أخيراً أن أعثر على فستان مناسب مع سترة مطرزة ، ووضعت الياشمك على رأسي»^(٤) .

وتضيف :

« كنت سعيدة جداً .. ولكنني أحسست بالحرارة بسبب قماش الياشمك الذي يحاصر وجهي .. غير أن كل هذا غلبت عليه فرحتي الشديدة عندما رأيت أن فستاني وزيتي يتلائمان مع ديكور وألوان قاعة المرايا » .

كانت فضيلة لانزال رشيقة .. وقد أصبحت الآن أميل إلى الامتلاء .. وضاعف من قسوة الامتلاء أنها متوسطة القامة .. وهى جميلة .. ومحتشمة .. بالرغم من أنها لم تعد ترتدى الياشمك .. وهى تتحرك بحساب .. لأنها تشعر بأنه كان من الممكن أن تكون ملكة .. وربما تشعر بأنها ستصبح ملكة .. ولو كانت تتحدث العربية لما اختلفت عن سيدات نادى الجزيرة .

والصحف الفرنسية تنشر صورها كثيراً .. وتصفها بأنها « ملكة مصر السابقة » . وتقضب الأميرات المصريات من هذا اللقب .. فلم تكن هى ملكة فى أى وقت من الأوقات .. ولكن هذا اللقب تضعه الصحف الفرنسية كنوع من المجاملة لبنت بلدهم .. وحدثت خناقات كثير بين الأمير أحمد فؤاد وأخواته وعماته بسبب ما تنشره الصحف الفرنسية .. بل إن والدته الملكة السابقة ناريمان كانت تقول : أنا الوحيدة التى من حقى أن أصف بأننى الملكة السابقة لمصر .. أما زوجتك فلا كانت ملكة سابقة ولا هى ملكة لاحقة .. إنها أميرة والسلام !

« وكثيراً ما غضبت الملكة ناريمان وعدلت عن السفر لرؤية ابنها بسبب ماتفعله الأميرة فضيلة .. أو تظن أنها تفعله بالاتفاق مع الصحف الفرنسية » .^(٥)

(٤) الموعد - ١٤ / ١٢ / ١٩٨٤

(٥) أليس منصور - مجلة الشباب - أغسطس ١٩٩١ - ص ١٣

□ □

طارت فضيلة قبل الزفاف بوقت مناسب إلى موناكو كي تتأكد من أن كل شيء على مايرام ، ثم ذهبت إلى القصر — في الوقت المحدد — لتجد أحمد فؤاد في انتظارها . وفي ذلك الوقت أمطرت السماء — على غير المتوقع — فتفاءل الجميع . وبالرغم من أن الأمير رينيه وزوجته لم يحددا عدد المدعوين ، فإن الحفل — الذي بدأ بعد الظهر — اقتصر على الأهل ، وشيوخ مسجد باريس ، وأفراد العائلة الحاكمة في موناكو .. لم يشأ أحمد فؤاد أن يسبب المزيد من الإزعاج والصخب للأمير رينيه الذي كان كريماً معه ، وزوجه زواجاً ملكياً .

وقد حضرت الحفل الأميرة فوزية ، شقيقة فاروق ، وأخوات أحمد فؤاد الثلاث .. وأمه ناريمان .. التي وضعت على رأسها — هي أيضاً — الياشمك .. وراحت تنثر « البدره » أمام العروسين .. وألقت في طريقهما (٢٠) جنياً من الذهب .. وفرتها من مصاريف علاج المرض العصبي الذي أصابها في المخ .

وقدمت ناريمان لابنها ساعة كبيرة ورثتها عن والدها .. وقدمت لزوجته عقدا .. وهدايا أخرى ، وصفتها فضيلة بأنها « قليلة جداً » .

أما هدية جريس كيلى صينية من الفضة عليها توقيعها ، وتوقيع الأمير رينيه ، ونُقش عليها تاريخ الزواج ، ومكانه واسم العروسين .. وبانتهاء الحفل بدأ شهر العسل في باريس .

□ □

ويمكن القول : إن أحمد فؤاد ، تزوج مثل والده ، وجده .. فتاة من الشعب ، وليست من ذوات « الدم الأزرق » .. لقد تزوج جده فؤاد الأول أول مرة من الأميرة شويكار قبل أن يتولى العرش .. وكانت أكثر أفراد الأسرة المالكة ثراء .. وكان فؤاد الأول أكثر أفراد هذه الأسرة فقراً .. فلم ينجح الترف في الزواج من الفقر .. فكان الطلاق .. ثم .. اختار زوجته الثانية الملكة نازلي من خارج الأسرة .. من الشعب .. ومشى فاروق على دربه .. وفؤاد الثاني أيضاً .

ويمكن القول : إن أحمد فؤاد — بزواجه من فضيلة — لم يتجاوز حدود القانون

الذى كان ينظم زواج أفراد البيت الملك في مصر ، وهو القانون رقم (٢٥) لسنة ١٩٢٢ .

فهذا القانون كان يمنح الملك كل الحقوق الممكنة في اختيار زوجته .. وإن فرض أن تكون الزوجة مصرية .. مسلمة .. تخضع لأحكام الشريعة الإسلامية وقوانين المملكة المصرية .. واشترط أن تكون الزوجة مضمونة النسب .. أى لا تكون لقيطة .. أو « بنت حرام » .

وفرض هذا القانون على الأمراء والأميرات استئذان الملك في الزواج .. « فإذا صدر الإذن أثبتته رئيس الديوان في سجل خاص » .. وإذا لم يصدر الملك الإذن ، وتزوج الأمير أو الأميرة بغيره .. « فللملك أن يقرر بأمر ملكي حرمانه من لقب الإمارة ، وللملك أن يقرر حرمان ذرية الأمير من ذلك اللقب » .. وذلك حسب أحكام المادة السادسة .. وهى المادة التى استخدمها فاروق في تجريد أمه الملكة نازلى ، وأخته الأميرة فصحى من ألقابهما عندما تزوجا بدون إذنه .

وكما نظم هذا القانون زواج أمراء الأسرة المالكة ، نظم أيضاً طلاقهم ، فنص في المادة العاشرة على أنه : « إذا أراد أمير أو أميرة أو زوج أميرة أن يفارق زوجته ، وجب عليه قبل ذلك أن يقدم طلباً إلى الملك يعرض به رغبته . فإذا رأى الملك محلاً للتوفيق بين الزوجين ولم ير أن يتولى ذلك بنفسه أحال الأمر إلى مجلس البلاط . ويجوز للمجلس سماع أقوال الطالب أن يطلب حضور الزوجين شخصياً أمامه ليسمع أقوالهما . كما يجوز له — إذا اقتضى الحال — أن يسمع شهادة الشهود . فإذا تعذر على المجلس الإصلاح بين الزوجين ، وصدر الطلاق بعد ذلك من صاحب الحق فيه ، أثبت المجلس وسلم به وثيقة .

ولم يتعارض هذا القانون مع الأمر الملكى الصادر فى ١٣ إبريل سنة ١٩٢٢ ، الخاص بوضع نظام توارث العرش .. ففى المادة السابعة من الأمر الملكى : أنه « إذا تزوج أمير بغير إذن الملك ، يحرم هو وذريته من حقوقهم فى العرش ، وتنقل ولاية الملك إلى من يليهم فى الترتيب .. ويصدر الحرمان بعد موافقة البرلمان .. ويجوز للملك إقالة المهرور وإقالة ذريته كلها أو بعضها من هذا الحرمان ووما ترتب عليه

من آثار .. ويشترط في هذه الإقالة موافقة البرلمان ،

وباختصار .. فان الملك هو صاحب الولاية على أفراد الأسرة المالكة .
ولكن .. أحمد فؤاد لم يمارس هذا الحق على أقرب الناس إليه .. أمه أو أخواته
البنات .. فأخّر أزواج الأم ، تزوجها وطلقها ، ثم ردها وكان ابنها آخر من يعلم ..
وأخته الكبرى فريال ، تزوجت ، وطلّقت دون الرجوع إليه .. وأخته الصغرى فادية
فوجيء بها زوجة لروسي ، عاشت معه قبل الزواج قصة حب مثيرة .

□ □

وكان من عادة الملك أن يزور قبر أبيه في اليوم التالي لزوجته .. وأن تفعل زوجته
الشيء نفسه بمفرده .. ولكن .. أحمد فؤاد ، فضيلة لم يستطيعا الحفاظ على هذه
التقاليد .. لسبب خارج عن إرادتهما .. هو وجود قبر فاروق في القاهرة .. التي كان
من الصعب السفر إليها .

أما باقي طقوس الزواج على طريقة الأسرة المالكة فقد تمت .. ولكن في قصر ملكي
آخر .. خارج الوطن .

إن هذه الطقوس كانت تبدأ قبل المغرب .. حيث كان على الملك أن يقف عند
مدخل الحرمك بقصر عابدين ، في انتظار العربية الملكية التي تقل الملكة .. فإذا ما
وصلت الملكة أخذها من يدها إلى الصالون الكبير ، حيث ينتظرهما أفراد الأسرة
المالكة .. وبعد توزيع الحلوى ، ينتقل الجميع إلى قاعة العرش ، يتقدمهم الملك
والملكة .. وفي قاعة العرش يتقدم الرنجال لتقديم التهانى للملك .. وتتقدم النساء إلى
الملكة .

ثم .. ينتقل الملك والملكة إلى قاعة جانبية .. حيث تورث الزفاف .. فيتقدم الملك
إلى قطعها ، ويحمل قطعة منها إلى الملكة ، ويتناول هو قطعة أخرى .
ثم .. يبدأ الزفاف :

إن هذه الطقوس عاشها أحمد فؤاد الثاني في قاعة المرايا بقصر إمارة موناكو ..
الذى لا يملكه .. فكان لابد أن يغادره إلى الحياة العريضة .. فلم يخط آخر مرحلة
في الزفاف الملكي .. وهى أن يصعد هو وعروسه إلى جناح النوم .. وعاد إلى باريس

فى تلك الليلة لىبدأ شهر العسل مثله مثل أى شخص آخر لا ىجرى فى عروقه الدم
الملكى .. وكان مثل الذى ىستأجر قاعة لفرحه فى فندق .. وإن كانت القاعة هنا
فى قصر وبلا مقابل .

كم يملك أحمد فؤاد الثانى ؟

ثروة الملك فاروق .. حجمها .. نوعيتها .. مكانها .. وأسئلة مزمنة يواجهها باستمرار ابنه أحمد فؤاد .

س : طبقاً لما ذكرته الحكومة المصرية فى حينه ، فإن المرحوم والدك « أخذ » معه إلى الخارج أموالاً طائلة ، ومن ثم فإن جانباً كبيراً منها قد انتقل إليك إرثاً .. فهل فكرت فى أن تستثمر جانباً من هذه الأموال فى مصر ؟

ج : هذا سؤال أواجه به دائماً ، وإجابتي عليه واحدة ، لا تتغير ، وسأكررها لك حتى ولو لم تصدقنى .. لقد بلغت الدعاية التى لحقت بشخص والدى فى خلق أسطورة ضخمة وخرافية حول الأموال التى قيل إنه هربها .. وأحب أن أوضح رداً على ذلك أن الثورة قامت فى الوقت الذى كان فيه الملك والحاشية فى الإسكندرية ، وأعطيت أسرق مهلة (٢٤) ساعة لمغادرة البلاد وكان والدى — رغم المثالب التى وجهت إليه — وطنياً محباً لمصر ولم يفكر مطلقاً فى تهريب ثروته ولا متعلقاته الفريدة والوحيدة من نوعها فى العالم وكان من عادته أن يهب المقتنيات النادرة للمتاحف ، وأقول إن « التوزيع » الذى تم لهذه التحف من بعده كان خسارة كبيرة لمصر .

أما عن الاستثمار فى مصر فمن البديهي أن الاستثمار يحتاج إلى ترتيبات كثيرة ولو أمكن لى أن أفى بالتزامات الاستثمار فإننى بالطبع سوف أدخل هذا المجال فى حدود القوانين المنظمة ككل المصريين فى الخارج الذين أدعواهم أيضاً إلى ذلك^(١) .

س : هل بالإمكان أن تحدثنى عن ثروتك .. يقال إن والدك عندما ترك مصر ،

(١) سعد زغلول فؤاد — مصدر سابق .

شحن معه ثروة كبيرة وضخمة ؟

ج : نحن أسرة خدمت مصر .. ومحمد على لازال الناس يتحدثون عن دوره التاريخي ، ولكن لا بد من موجات سلب وإيجاب في كل نظام سياسى .. الآن ليس هذا هو مجال الحديث .. مجال الحديث هو أن والدى رحل من الإسكندرية من مقره الصيفى ، والمقر الصيفى فى العادة لا يحوى خزائن الثروة ، والدى ترك مصر ولم يحمل معه تلك الأرقام المبالغ فيها .. لقد رحل ومعه ما يكفيه أن يعيش كملك سابق ، لكنها بالطبع ليست تلك الأرقام المبالغ فيها .. لقد توفى والدى وترك سبعة وعيلة سجناء .. الملك فاروق عندما جاء إلى الحكم قال له أحد المستشارين بأن هناك مبلغاً يقدر بـ ١٩٧٢ مليون دولاراً مستثمراً فى أمريكا لصالح والده فؤاد .. ومليون دولار قيمتها الشرائية فى ذلك الوقت كانت عالية .. لقد قيل إن هذا المبلغ وضع للطوارئ .. ثم طلب الملك فاروق إعادة المبلغ إلى مصر .. واستثمر فى مصر .. وكان الملك فاروق الوحيد الذى لم يتخذ احتياطات خارجية ولعل هذا هو الذى نهبه إليه الكثيرون .. نعم والدى كان محباً للانفاق ، من ذلك إنفاقه على التحف والأشياء النادرة ، ولكنه كان يعدها لأن تكون نواة لمتحف عام .. نعم كانت فى قصوره ولكنه ما كان يريد الاحتفاظ بها ، وهى بمثابة ثروة وطنية .. الكلام كان كثيراً حول ثروة والدى ولكن والدتى التى كانت تعيش فى مصر اضطرت لبيع منزلها سنة ١٩٧٢ قبل جنون الأسعار لأنها كانت محتاجة إلى المال .. ولو كان عندى ما أرثته من والدى من أموال لما تركتها تباع منزلها تحت وطأة الحاجة .. لقد قيل الكثير عن ثروة فاروق ، ولكنه عندما ترك الإسكندرية أعاد إلى مصر يخته الخاص « المحروسة » مع أنه لو أراد الاحتفاظ به لفعل .. والدى لم تكن عنده هواجس ترك مصر ، ولم يكن يخطر فى باله أنه سيواجه فى يوم ظروفاً من مثل هذا النوع الذى واجهه^(٢) .

وسئلت زوجته :

(٢) أحمد الجار الله — مصدر سابق .

س : تردد فى وقت من الأوقات بأن الملك السابق ، الراحل فاروق قد أودع
لابنه أحمد فؤاد ثروة مالية كبيرة لدى أمير موناكو وتبعاً لذلك فان زوجك لابد وأن
يكون من الأغنياء الكبار .

ج : الكلام الذى قيل كثير .. وتحدث الناس عنه .. ولكنى لم أر شيئاً من
هذا^(٣) .

أين الحقيقة إذن ؟

ما حجم الثروة التى تركها فاروق وينكر وجودها ابنه ؟
بصيغة أخرى .. ما حجم الثروة التى يملكها أحمد فؤاد الآن وورثها عن والده ؟

□ □

كان محمد على الكبير يقول : « الشعب المصرى مثل السمسم لا يمكن أن تحصل
على زيوته إلا إذا عصرته » .

وظل هذا القول المأثور هو القاعدة الذهبية التى طبقها أبناؤه وأحفاده فى الحصول
على ثرواتهم .. الزيت لهم .. والكسب للشعب .

وعلى سبيل المثال .. عندما جاء جد أحمد فؤاد الثانى — الملك أحمد فؤاد الأول —
إلى الحكم بقرار من سلطات الاحتلال البريطانية كان أول قراراته أن تتولى الدولة
تسديد « ديون متأخرة للبقال والجزار والخدم وديون قمار مستحقة لخزانة نادى
محمد على ، وديون الترزى « ديليه » ثمن ملابس حصل عليها ولم يدفع ثمنها .. وبعض
الديون دفعت لصاحبات بانسيونات كان يتردد عليهن .. وهكذا ظهر أنه كان يأكل
« بالشك » ، ويلبس « بالشك » ، ويجب « بالشك » أيضاً^(٤) .

ويقول ياسين سراح الدين :

— « إن الملك فؤاد الأول كان من أمراء أسرة محمد على الغلبة .. كان لا يملك
سوى القليل جداً من الأقطان الزراعية بالقرب من قريتنا .. قرية « الزعفرانة » ..

(٣) محمد بديع سراييه — مجلة الموعود — ٢٩ / ١٢ / ١٩٨٤ .

(٤) مصطفى أمين : من واحد لعشرة — المكتب المصرى الحديث — الطبعة الثانية — ١٩٨١ — ص ٢٣ .

ولكنه عندما مات وصلت مساحة الأراضي الزراعية التي أصبح يمتلكها إلى (٣) آلاف فدان .

لقد حولته السلطة من أمير فقير إلى ملك واسع الثراء .
إن الملك فؤاد الأول ترك حين مات (٤٩٣٠٠) فداناً .. كان نصيب الملك فاروق منها (١٥٤٠٠) فدان ، تنازل عن حوالى ألفى فدان للملكة السابقة فريدة ، فتكون ثروته سنة ١٩٣٧ عبارة عن (١٣٤٠٠) فدان .. تركها بعد (١٥) سنة — قضائها في الحكم — حوالى (٩٦) ألف فدان أملاكاً خاصة .. « ورقم مشابه من أراضي الأوقاف التي وضع يده عليها واستولى على إيرادها »^(٥) .

« ومعنى ذلك أن فاروق حين رحل كان يسيطر على حوالى (٢٠٠) ألف فدان .. فإذا عرفنا أن مساحة الأراضي الزراعية في مصر كلها كانت حوالى خمسة ملايين يعيش فيها ومنها (١٥) مليوناً من البشر .. أمكننا أن نقول أن الأراضي الملكية كان يعيش فيها حوالى (٦٠٠) ألف نسمة .. ستمائة ألف من الأفراد عبيداً عبودية خاصة للملك .. غير العبودية العامة التي كان يشترك فيها العشرون مليوناً »^(٦) .
ولم يقف فاروق عند حد الأراضي الزراعية .. بل امتد إلى الحياة الصناعية .. فقررت إحدى الشركات إهداء (١٨) ألف سهم .. أى (١٨٠) ألف جنيه .. وفى المقابل منحها الحكومة إعانة قدرها نصف مليون جنيه^(٧) .

وإذا تصفحنا آخر ميزانية أقرها البرلمان عن سنة ٥١ — ١٩٥٢ نجد أن نصيب الملك فاروق منها كان (١,٣١٥,٩١٦) جنيه بخلاف ما تحملته الحكومة من مصاريف تخص القصور الملكية .

ففى هذه الميزانية كان على وزارة الأشغال العمومية — مثلاً — أن تتحمل (١١٥) ألف جنيه مصروفات تكييف هواء القصور الملكية و (٧٠) ألف جنيه لإنشاء ثكنات للحرس ، و (٢٠) ألف جنيه لإنشاء أربع مراكز مطافى فى القصور ، و (٢٠) ألف جنيه لتعديل مطابخ قصر القبة ، (١٧٤٠٠) جنيه لصيانة حدائق القصور الملكية .

(٥) و (٦) و (٧) أحمد بهاء الدين — مصدر سابق — ص ٤٨ وما بعدها .

ويكشف لنا الاطلاع على ميزانية الديوان الملكى عن السنة نفسها الكثير من صور
البذخ بأسعار تلك الأيام .. حوالى (٥١) ألف جنية لشراء سيارات وموتوسيكلات
وأدوات لاسلكية لليخوت الملكية ، و (٣٠) ألف جنية لشراء واستبدال السيارات
وقطع غيار ، و (٣٠) ألف جنية لبناء ثكنات للبواخر الملكية ، و (١٥) ألف جنية
لبناء مخازن رأس التين ، و (٢٠) ألف جنية لاقامة تعديلات بمبنى حرس البيادة بقصر
رأس التين ، و (٧٠) ألف جنية لنزع ملكية أراضي لاقامة ثكنات السوارى
بالإسكندرية .. و (١٤) ألف جنية لشراء لوازم ونفقات إدارة المباني .
ودفعت وزارة المواصلات (١٧٠) ألف جنية فى القطار الملكى ، الذى كان يُوصف
بقطار « الملذات » ، وقد انتهى صنعه فى صيف — ١٩٥١ ، وهو مزود « بمحجرات
النوم اللينة ، والحمامات الفاخرة ، والصالونات الحاملة ، وأجهزة الإرسال
والاستقبال والتليفونات المتصلة بالخارج .. كان قطعة كاملة من الجنة تجرى على
قضبان » (٨) .

ورصدت مصلحة الطيران المدنى (١٧٥) ألف جنية لإتمام المطار الملكى الخاص
فى أنشاص .

وباختصار .. كان نصيب فاروق من ميزانية الدولة (١٠) ملايين جنية .. وهو
رقم كان يُنفق على مليون مصرى .. أى أن واحد يساوى مليوناً .

□ □

وليس صحيحاً أن الملك فاروق لم يفكر فى تهريب أمواله إلى الخارج كما يقول
ابنه .. وقد سبق أن عرفنا — من سكرتيره الخاص أمين فهم — أنه بدأ مشوار تهريب
أمواله منذ سنة ١٩٤٦ ، أى قبل (٦) سنوات من رحيله .

ويدعم ذلك أنه فكر مرتين فى الهرب بخارج مصر فى سنة ١٩٥٢ .
والمؤكد .. أن تضخم أمواله فى الخارج مشجعة على التفكير فى الهرب .. وترك
الحكم والعرش والبلاد .. وعندما أُجبر على الرحيل لم يشعر بالصدمة ولا بالحاجة ..

(٨) أحمد بهاء الدين — مصدر سابق — ص ٤٨ وما بعدها .

ولم يشعر بأنه فقد الكثير من أمواله ومجوهراته ، رغم أنه خرج من المقر الصيفى ، وبعد مهلة لاتزيد عن (٢٤) ساعة .

وقبل الرحيل كان كل همهم الجرى والقفز من مكان إلى آخر فى قصر رأس التين « ليجمع حقائبه الخاصة وأمتعته الثمينة ويتتقى كل ماله قيمة .. وفى الوقت نفسه أمر بأن لا تحمل أى بنت من بناته أو أية مربية سوى حقيبة واحدة .. إنه أراد كل الحقائق لمجوهراته ومقتنياته » .

ولا خلاف على أن رجال الثورة لم يفتشوا حقائبه ، ولم يصادروا ما بها ، وتركوه يرحل بكل ما كان يحمله .

ثم .. إن الحياة التى كان يعيشها فى المنفى تؤكد على أنه حمل الكثير .. والهدايا التى كان يمنحها لصديقاته تؤكد أنه لم يخرج فقط بسبحة وعلبة سجائر كما يقول ابنه ! ومبلغ الـ (١٠٠) ألف جنية التى حولها من حسابه إلى حساب ناريمان بعد العلقة الشهيرة .. إن دفع هذا المبلغ بهذه السهولة يعنى أنه قطرة فى بحر ثروته .

□ □

ويضاف إلى ذلك .. المساعدات التى كان يتلقاها من الملوك والأمراء العرب وهو فى المنفى .

ويروى أمين فهم واحدة من قصص هذه المساعدات ، فيقول :

— بعد خلع فاروق ووصوله إلى كبرى بأيام ، طلب منى أن أتصل بالوزير المفوض للمملكة العربية السعودية فى روما لأطلب منه الحضور لمقابلة فاروق لأنه يريد أن يفضى له بأمر هام .

وجاء الوزير السعودى .. وما كاد يجلس إلى جوار فاروق حتى فوجئ به يبكى بحرقة .. وبهت الدبلوماسى من الموقف .. وبهت أكثر عندما وجد فاروق يندب حظه ، فيعلن فقره ، وخوفه على أولاده من الزمن ، وطلب منه أن يبلغ الملك عبد العزيز بن سعود أنه فى حاجة ماسة إلى مليون دولار .

وأبرق الدبلوماسى السعودى بما جرى إلى حكومته ، وبعد أيام وصل إلى كبرى وزير المالية السعودى وسكرتيه وجاءا لمقابلة فاروق ، وقدا إلى فاروق نصف

مليون دولار ، ووقع بعد استلام المبلغ على إيصال ، قدمه لهما مع ساعة جيب ذهبية لكل منهما ، منقوش على كل منها اسمه ، والتاج المصرى ، ومعها سلسلة من الذهب .

وتحول المبلغ إلى جنيهات ذهبية أودعت في حسابه بينك سيرتو سائتو (الروح المقدسة) في روما تمهيداً لتحويلها إلى سويس بنك في جنيف .

ولم يكتف فاروق بهذا المبلغ ، وطالب السعوديون بغيره ، وعندما تأخروا في الرد ، أرسل برقية لهم يقول فيها : إنه سيرسل سكرتيه الخاص إلى الرياض لبحث الأمر ، ولكن السعوديين ردوا عليه بالقول :

— لاداعى لحضور أمين فهم ويمكن الاتصال بسفيرنا في روما موفق الألوسى . ولكن .. فاروق أصر على سفر سكرتيه الخاص ، وطلب منه أن يمر في طريقه على الكويت ، ورحب به عزت جعفر مدير الديوان الأمري في الكويت .. وفي ٤ أغسطس ١٩٥٤ ، سافر أمين فهم إلى الكويت .. وقبل أن تنتهى زيارته ، فوجئ بوجود الرئيس جمال عبد الناصر في السعودية ، يؤدى فريضة الحج ، فلم يسافر إلى هناك ، وعاد إلى روما ، وكل ماكان يحمله إلى فاروق مجموعة كتب « محاكمات الثورة » .

وفي مطار روما كان فاروق وبعض رجال حاشيته في انتظاره .. وركب إلى جواره في سيارة مرسيدس سبور .. ووُضعت حقائبه في سيارة أخرى طراز ميركورى ستیشن ، سمح رجال الحاشية لأنفسهم بتفتيشها في الطريق إلى القصر .

ويضيف أمين فهم — الذى يروى لى هذه القصة — أن فشله في هذه المهمة كان بمثابة القشة التى قصمت ظهر البعير .. فقد قرر فاروق الاستغناء عنه ... وحتى يخرج من المولد بلا حمص ، ادعى فاروق أن سكرتيه الخاص كان يتصل بالحكومة المصرية من وراء ظهره .. وادعى أنه يتقاضى منها مرتباً شهرياً .. وادعى بأنه كان يريد الزواج من ابنته فريال .. وادعى أنه على علاقة بالمرية السويسرية .. باختصار .. آخرة خدمة العز علقه :

وخرج أمين فهم من الخدمة وهو لايملك سوى (١٦) ألف ليرة إيطالية .. أى (٨) جنيهات مصرية .. وسافر إلى سويسرا ليصبح سكرتيراً خاصاً لئاريمان .. التى

كانت تعالج في مصحة د. روشاه الشهيرة في لوزان .. وكانت أمها تقيم في فندق لوزان بالاس ، هي ووصيفتها فيوليت ، وكلبها «البوول» الأسود .. «يويو» . وفي تلك الفترة شهد أمين فهم عملية تهريب مجوهرات ناريمان من مصر ، بواسطة طبيب يهودى نمساوى الأصل ، ويهودى آخر كان يعيش في القاهرة اسمه موريس هرارى ، ودبلوماسى فرنسى اسمه ريشار ديديه ، وحصلت ناريمان على قيمة مجوهراتها نقداً .. ولكنها كالعادة أنفقتها دون حساب .. فقد كانت لاتزال تتصرف وتعيش وكأنها ملكة .. وهذه عقدها التي لم تُشَف منها .. وبسببها أضاعت كل ما كانت تمتلكه ، بما في ذلك البيت الذى يقول ابنها أنها باعتته في سنة ١٩٧٢ .

ان ناريمان لم تكن فقيرة .. بل كانت شديدة الثراء .. ولكنها لم تحسب حساب الزمن .. وهذا هو الخطأ الأكبر الذى وقعت فيه .

□ □

وكما قلت من قبل كان فاروق يضع أمواله ومجوهراته في بنك سويسرا بجنيف ، وكان يتولى هذه المهمة من جانب البنك أربعة من المديرين المسئولين عن الودائع الأجنبية ، السرية ، على رأسهم شخص يدعى مسيو باريه . ولأن الجمارك السويسرية كانت تحصل (٣٠٪) على المجوهرات التي تدخل البلاد ، فإن فاروق لم يتردد في تهريبها ، واشتركت ناريمان وفريال ومحاميه في عمليات التهريب .

وقد خرج فاروق بـ (١٧) شنطة صغيرة — في حجم الشنط التي كان يستعملها الأطباء في ذلك الوقت — من الإسكندرية .. المقر الصيفى الذى كان — على حد قول ابنه — لا يحتفظ فيه بالكثير من الأموال والمجوهرات .. وكانت هذه الشنط تمتلئ بالمجوهرات الملكية .

وفي يوم طلبت ناريمان من فاروق تاجها الماسى ، فذهب إلى جنيف ، وسحب حقائق المجوهرات من البنك ، ثم ذهب إلى فيلا جواهرجى هندى الأصل اسمه اليالوس ، كان لمحلاته فروعاً في القاهرة والإسكندرية ، وفُتحت الحقائق ، وراح الجواهرجى الخبير يفحصها .

واكتشفت ناريمان أنه لا يوجد بيان بهذه المجوهرات .
وقالت .

— إيه اللي يضمن أن البنك لا يسرقنا ؟
فأجاب فاروق :
— الثقة .

— أى ثقة يمكن أن نحصل عليها وكل هذه المجوهرات مهربة ؟
وكان أن أمر فاروق بمجرد المجوهرات وكتابة بيان بها ، وختم الحقائق بالشمع الأحمر .
□ □

وكثيراً ما كان فاروق يزور البيجوم أغاخان — الذي كانوا يزونه بالذهب — في مدينة « كان » .. وفى يوم من الأيام ، وبعد العودة من إحدى هذه الزيارات ، سأل سكرتيره الخاص :

— ياترى ثروة أغاخان تقدر بكام ؟
— لقد قرأت مرة يامولانا أنها تصل إلى (٢٠) مليون جنية إسترليني !
فأمسك فاروق بورقة وقلم يحسب ثروته ، ثم ضحك بصوت مرتفع ، وقال :
— يبقى مفيش حد أحسن من حد !^(٩) .
أى أن ثروة فاروق لم تكن تقل عن (٢٠) مليون جنية إسترليني ، أى حوالى (٦٠) مليون دولار بأسعار ١٩٥٤ .
وهذا هو تقدير الثروة عند الحد الأدنى ، أما تقديرها عند الحد الأقصى فيصل إلى (٢٥٠) مليون دولار ، حسب ما نشرته مصادر صحيفة فرنسية متنوعة فى سنة ١٩٦٥ .

فى تلك السنة مات فاروق ، وأعلن محاميه أنه أوصى بالجزء الأكبر من ثروته لابنه أحمد فؤاد على أن يوزع الباقي على بناته الثلاث ولم يترك شيئاً لزوجتيه فريدة وناريمان .

(٩) أمين فهم — حوار مباشر معه .

وفى تلك السنة أيضا أثبتت من جديد قضية الثروة التى تركها فاروق لابنه .. وأمام مجلس الأمة المصرى ، قدم النائب عبد الصمد عبد الصمد سؤالاً إلى وزير الخارجية عن الاجراءات التى اتخذت للحصول على أموال الصبى أحمد فؤاد نجل الملك فاروق ، فى الخارج « باعتبارها أموالاً مصرية تستحق الدولة عنها ضريبة تركات » (١٠) .

وجاء رد وزير الخارجية ليؤكد أن ثروة الملك فاروق لا تقل عن (٢٠٠) مليون دولار ، وأنها متنوعة .. عقارات .. مجوهرات .. أموال سائلة مودعة فى البنوك .. وسبائك ذهبية .

وقد فشلت كل محاولات الدبلوماسية المصرية — فى الخارج — فى تحصيل التركات على هذه الثروة التى انتقلت إلى أحمد فؤاد .

وهذا ما جعل الحكومة المصرية تساند ناريمان فى محاولتها الفاشلة فى وضع يدها على الثروة من خلال وصايتها على ابنها .. وهى الوصاية التى فازت بها جريس كيلي . لقد عاش فاروق ملكاً فى الحكم وفى المنفى .. ومات ملكاً .. وترك لابنه ما يجعله يعيش حياة الملوك .. حتى ولو أنكر ذلك !

(١٠) جريدة الجمهورية — ١٠ / ٦ / ١٩٦٥ .

مصر .. وإن طال السفر !

يعكس بيت أحمد فؤاد في باريس ذوقاً شرقياً ، بالرغم من أنه عاش طوال حياته بعيداً عن الشرق ، وقد استسلمت زوجته لهذا الذوق الذى لم تألفه في بيئتها الفرنسية ، لأنها أحست بأنه الذوق المناسب لطموحاتها ومشاعرها الملكية .

البيت يمتلئ بالزخارف الذهبية .. والسجاجيد الفارسية .. المغزول بعضها من خيوط الحرير ، والمعلق على الجدران .. إلى جوار لوحات لمشاهير الفنانين .. وصور بأحجام كبيرة لأجداد أحمد فؤاد .. وفي المدخل صالون من القماش المشجر ، إلى جواره مسلة فرعونية من الرخام .. وأنواع نادرة من نبات الصبار .

وحجرة المكتب من الخشب المحفور .. وفوق المكتب صورة للخديو إسماعيل .. والمكتبة مفتوحة .. أرففها متحركة .. في وسطها صورة في إطار بيضاوى للملك فؤاد الأول .. وعلى الأرفف صور صغيرة المساحة .. ومتنوعة .. صورة الزفاف .. وصورة لفضيلة وفوزية أمام هرم خوفو .. وصور لأحمد فؤاد والملك حسين .. وبين الكتب المتنوعة .. كتاب الله .. وكتاب عليه شعار المملكة المصرية .. وكتب أخرى عن تاريخ أسرة محمد علي باشا .

والكثير من التحف التى يمتلئ بها البيت مهداه من ملوك وأمراء آخرين .. مثل سجادة أرضية الصالون ، والسجادة التى تزين الجدران .. فقد أهدتهما لصاحبى البيت الإمبراطورة الإيرانية السابقة فرح ديبا .

وهناك هدايا أخرى من ملك الأردن ، الملك حسين .. وملك المغرب الحسن الثانى .. وملك إسبانيا خوان كارلوس .. وملك إيطاليا السابق أميرتو إيمانويل .. وزوجو ملك البانيا السابق .. وهؤلاء وغيرهم أصدقاء أحمد فؤاد وزوجته .. وعلاقته أقوى بالملوك السابقين .. فهو مثلهم عضو في نادى « الخلعين » .. في باريس !

هذا هو البيت الذى يعيش فيه أحمد فؤاد بعد زواجه من فضيلة .
إن الزواج جعله أكثر استقراراً .. وزاد وزنه .. وجعله أشد امتلاءً .. خاصة وأن
الذى يعد طعامه ، طباط مصرية من النوبة .. والسفرجى الذى يقدمه أيضاً ..
وسكرتيه الخاص كذلك .. إنهم مفاتيحه للشعب المصرى الذى عاش بعيداً عنه طوال
حياته .. ثم إنهم يروون له كل ما يعرفونه عن مصر . الأساطير .. الخرافات .. عادات
الناس .. والنكات اللاذعة .

وتقول فضيلة :

« إن الزواج ساهم فى تغيير زوجى .. إنه أصبح أكثر مرحاً وينظر إلى الأمور
بتفاؤل أكثر من دى قبل .. وقد ظهرت الصفات الجميلة التى كانت مخبئة فى
داخله ، الرومانسية .. طيبة القلب .. الاتزان .. موهبة التغلب على المصاعب ..
واهتمامه الواضح بالآخرين » .

ويحسب له أنه يعمل .. ولا يعيش عالة على غيره .. وهو يقول :
« حياى بسيطة جداً .. ولم أطلب شيئاً من أحد .. وفيما يتعلق بالمسائل المالية
فإننى أعطى احتياجات عائلتى .. تماماً » .

وتقول زوجته .. « إنه يحب حياة العمل لأنها حياة نشطة » .. ولكنها تعتبر عمله
أكبر دليل على أنه ليس ثرياً ، ولا وارثاً .. « إذ أن الإنسان لا يكون مضطراً إلى
العمل لو كان يملك مالاً وفيراً » .. على حد قولها .. وهى نظرة شاذة ، وضيقة
للعمل .. لا يحترمها أغنىاء العالم الذين يواصلون عملهم رغم ثرائهم الفاحش ..
ورغم أنهم تجاوزوا سن الستين !

ولكن .. أحمد فؤاد من ناحية أخرى .. رفض عرضاً بعشرة ملايين دولار ، مقابل
الظهور فى مسلسل تليفزيونى ، يروى فيه قصته مع والده .. وجاء العرض من
هوليوود .. من إحدى الشركات الأمريكية .. أما أسباب الرفض ، فهى على حد
قوله .. « إننى أولاً لأجيد التمثيل ، وأنا ثانياً لأريد أن أضع تاريخ والدى فى مهب
رياح الصفقات التجارية » .. إن هذا المبلغ الضخم لم يُعْره بالقبول .. فهل السبب
الحقيقى للرفض أنه يملك أكثر منه ؟

وقد عمل في تجارة العقارات .. سمسة المباني .. ولديه خبرة واضحة في فحص التحف الأثرية .. وعلى علاقة قوية بأشهر تجارها في باريس .. ثم أصبح مستشاراً اقتصادياً لعدة شركات أمريكية ، تتعامل مع الشرق الأوسط .. لقد استثمرت هذه الشركات اسمه ، وشهرة أسرته ، ووجوده في فرنسا ، وعلاقاته ببعض الملوك والرؤساء العرب ، لزيادة حجم نشاطها في العالم العربي ، مقابل عمولة مغرية تدفعها عن كل صفقة يساهم في الحصول عليها .

إنه واجهة مقبولة وجذابة للعالم العربي — المؤمن بالصلوات الشخصية حتى في الصفقات المالية — توارث خلفها شركات كبيرة ، متنوعة النشاط ، ومتعددة الجنسية ، من أجل المزيد من الثروات النفطية ، أو من أجل التحرر من قيود المقاطعة السياسية .. إن زوجته اليهودية الأصل منحت المزيد من ثقة هذه الشركات .. ومن جانبه هو قرر أن يظهر في صورة رجل الأعمال ، الأرستقراطي ، المسلم ، الوريث .. فتخلص — بعد الزواج — من حياة اللهو والعبث والسهر والعريضة .. وأصبح أشد استقامة .. وبعد عامين من الزواج — وبعد (٣) أيام من وفاة جريس كيلي في حادث مروع — سافر لأداء فريضة الحج ، وحرص على أن تصحبه زوجته معه ليؤكد أن إسلامها عن اقتناع لا مجرد دعاية .. وحرص على التقاط صور له وهو بملابس الاحرام .. إن مثل هذه الصورة — التي تثبت أنه ليس فاسداً مثل أبيه — فتحت له الأبواب العالمية وضاعفت من حجم ثروته ، حتى إنه عندما زار مصر في صيف ١٩٩١ أشيع أنه وراء صفقة بيع أصول شركة « الريان » لتوظيف الأموال .. وهي صفقة تقترب قيمتها من المليار جينة .. ولكنه نفى ذلك .

□ □

وبعد الزواج ، أيضا بدأ يتطلع إلى مصر .

وسعى إلى تحقيق حلم العودة إليها .

لقد بدأ الخطوة الأولى في مشوار العودة في خريف ١٩٧٣ ، عندما اشترك في مظاهرة لتأييد مصر في حرب ١٩٧٣ .. ونقلت وكالات الأنباء الخبر .. لكن الرقابة على صحف القاهرة رفضت نشره .. ولم تنشره الصحف إلا بعد (٧) سنوات

بالضبط .. عندما أعلنه الرئيس السابق أنور السادات في خطاب افتتاح الدورة التشريعية ، في أول نوفمبر ١٩٨٠ .

وكشف السادات أمر تبرع أحمد فؤاد بمبلغ بسيط لضحايا الحرب .. وهو المبلغ الذى تحول لضحايا الثورة من أفراد الأسرة المالكة .. لتحسين أوضاعهم .

وبعد فترة وجيزة من المظاهرات والتبرع ، وصل باريس الفنان التشكيلي ، السكندري فاروق حسنى ، ليتولى منصب مدير المركز الثقافى فى باريس .. لم يجد الفنان التشكيلي الذى غلب طموحه السياسى ، إحساسه بالفن ، ما يمنع من استضافة أحمد فؤاد لمتابعة نشاط المركز .. وسماع الندوات .. ومشاهدة الأفلام .. والفرجة على المعارض .. وفى كل مرة كان أحمد فؤاد يحضر إلى المركز .. كان تقريراً مفصلاً يطير من باريس إلى القاهرة .

وبدأت جسور الصداقة تقوى بين فاروق حسنى وأحمد فؤاد ، خاصة وأن أنور السادات لم يبد أى اعتراض على استضافة ابن الملك الذى شارك فى خلعه ، فى حفلات السفارة المصرية بباريس .. ثم .. إنه أعاد الجنسية المصرية له ، بعد أن سقطت عنه فى سنة ١٩٧٣ .. وقد وصف أحمد فؤاد قرار السادات بإعادة الجنسية المصرية له بأنه « كان عملاً متحضرأً وكبيراً منه بالنسبة لنا » .. بينما وصف قرار إسقاط الجنسية بأنه « كان أمراً ظالماً .. لأن جدى الملك فؤاد ، هو أول حاكم فى تاريخ مصر ، يصدر جواز سفر مصرياً عام ١٩٢٢ ، وكانت هناك الجنسية العثمانية قبل ذلك » (١) .

ووافق السادات أيضاً على دفن رفات الملك فاروق فى مسجد الرفاعى بناء على طلب أحمد فؤاد ، فى الرسالة التى أرسلها إليه بعد حرب أكتوبر .. وقال فيها : « إننى فخور جداً بالنصر الذى تحقق .. بعد أن كنت ألتجأ للتحدث عن مصريتى .. فيما بين ١٩٦٧ ، ١٩٧٣ عندما كنت طالباً فى سويسرا » .

ولم يهمل السادات الرسالة .. ورد عليه : « يا ابنى أنت تمسكت بمصر ، ومصر

(١) ولیم ویسا — مصدر سابق .

تتمسك بك ، إحنا الفلاحين .. إحنا أبناءنا كده .. مانتمسك عن اللي يتمسك ببلده
أبدأ»^(٢) .

وعندما قرر أحمد فؤاد الزواج ، أرسل إلى السادات يخبره بالقرار ، ويدعوه إلى
الحفل ، ويقول السادات : « ردّيت عليه وقلت له مبروك يا ابني ، ولما اتجوز بعث
له سيف من سيوف والده كهدية »^(٣) .

وتشجع أحمد فؤاد أكثر .. وطلب الإذن من السادات بأن تلد زوجته ابنه البكر
في مصر .. لقد أراد أن يُولد ابنه هنا حتى لا يشكك أحد في مصريته .. ليصبح
عند الجد ولياً للعهد .. إن حرص أحمد فؤاد على ذلك لا يحمل أى تفسير آخر ..
فالمفروض أن ابنه سيكون مصرياً حتى ولو وُلد في فرنسا .. ولكنه لا يريد مصرياً
بالقانون وإنما بالمولد أيضاً !

ووافق السادات :

وسألت فضيلة الأطباء إذا كان يمكنها السفر بعيداً لتضع مولودها في مصر .. فلم
يعترضوا .. وسافرت بمفردها إلى القاهرة ، فأحست بالقلق .. وكان ذلك قبل ثلاثة
أسابيع فقط من موعد الولادة .. ولحقت بها الأميرة فوزية ، أخت زوجها .. وفي
المطار كانت ناريمان في انتظارها .. فأخذتها إلى بيتها في ضاحية « مصر الجديدة » ..
وبعد أيام اتصلت ناريمان بالدكتور مجدى إبراهيم — الذى أشرف على ولادة ابنها
أحمد فؤاد قبل (٢٧) سنة وأصبح صاحب مستشفى يحمل اسمه في الدقى — وطلبت
منه تحديد موعد للكشف على زوجة ابنها التى كانت حاملاً في شهرها الأخير .. وقام
الدكتور بالكشف ثم طلب من فضيلة أن تزوره كل أسبوع .

وفي الجناح رقم (٣٩) بمستشفى مجدى ، وضعت فضيلة ابنها محمد على ، في الساعة
السابعة والنصف ، من يوم الإثنين ٥ فبراير ١٩٧٩ ، وكان إلى جوارها ناريمان ،
وفوزية ، وعمة زوجها الأميرة فائقة التى تقيم في مصر .

كان د. مجدى إبراهيم قد كف عن القيام بعمليات الولادة .. ولكنه كان سعيداً

(٢) و (٣) خطاب السادات أمام مجلس الشعب — ١ / ١١ / ١٩٨٠ .

بهذه العملية .. لأن الابن والأب قد جاءا إلى الدنيا على يديه .
واستخرجت شهادة ميلاد رسمية ، مصرية من مكتب صحة الدقى .. الاسم :
محمد على .. إسم الأب : أحمد فؤاد .. إسم الجد : فاروق .. جنسية الأب :
مصرى .. وديانته : مسلم .. مهنته : رجل أعمال .. واسم الزوجة : فضيلة
بيكارد .. الجنسية : فرنسية .. الديانة : مسلمة .

وفى المستشفى زارتها جيهان السادات .
وكان أول ما فعلته بعد الولادة الاتصال تليفونيا بزوجها فى باريس لتخبره بأنه
أصبح أباً .

وبعد أن خرجت من المستشفى بقيت فى بيت حماتها (٣) أسابيع ، وقبل أن تسافر
زارت أهرامات الجيزة والمتحف المصرى وخان الخليلى .. وكانت قد أحضرت معها
من باريس كتابا لتعليم اللغة العربية .. لم تفتحه .. واكتفت من اللغة العربية بثلاث
كلمات .. صباح الخير .. مساء الخير .. وشكراً .

وأحمد فؤاد هو الذى اختار اسم « محمد على » لابنه .. وتحملت للاسم الأميرة
فاثقة التى يقال إنها « تحب هذا الاسم » .. وتقول فضيلة .. « إننى أعرف أن ابنى
يحمل اسماً مهماً فى تاريخ عائلته ، وإنى أتمنى أن يكون لابنى بعض مزايا جده الكبير ،
وإن كنت لا أقدر أن أخطط له مستقبلي من الآن » .

وقد طلبت فضيلة لابنها بمجرد ولادته جواز سفر مصرى .. وحصلت عليه .
ومحمد على الابن عمره الآن (١١) سنة .. وجاءت بعده شقيقته فوزية .. التى
وُلدت فى موناكو وتبلغ من العمر (٧) سنوات .. ثم فخر الدين الذى وُلد فى
المغرب .. واختار اسمه الملك الحسن الثانى .. الذى نصح أحمد فؤاد بالمحافظة على
استخدام حرف « الفاء » فى التسمية .. وهى نصيحة جاءت متأخرة .

وقد رفض أحمد فؤاد أن تتولى مربية العناية بابنه ، وأصر على أن تقوم بهذه المهمة ..
أمه .. إنه لا يريد أن يكرر مأساته ومأساة والده .. حيث كان للمربيات القرار الأول
والأخير .. فلم يشعرا بدفع الأمومة .. وهو قد عاش يتيماً ، وحيداً مع أن أمه
كانت — ولا تزال — على قيد الحياة !

وهو يطلب من زوجته أن تحفظ تاريخ أسرته ، وأن تعيد روايته بأسلوب شيق على ابنه .. ولكن .. المشكلة أنها تفعل ذلك باللغة الفرنسية .. التى لاتزال اللغة الأولى فى البيت .. أما اللغة العربية فهى لغة ثانوية .. يعرفها الأولاد من الأغاني ، والأفلام المصرية ، ومن شرائط تعلمهم إياها ، ومن لسان الأب .

ولقد حمد فؤاد الثانى الله كثيراً لأنه منحه ولى العهد دون مشقة .. إنه يؤمن بأن مأساة والده التى تفسر معظم تصرفاته .. هى أنه « انتظر ولى العهد سبعة عشر عاماً كاملاً .. وهى مأساة كبيرة بالنسبة للملك .. ألا يبعث الله عليه بولد فى وقت مبكر » .. ويضيف أحمد فؤاد : « وفى اعتقادى أنه لو حدث ، وجاء الولد مبكراً .. لتغير مجرى كثير من الأحداث » .

أى أنه تأخر عن أبيه .. وعندما جاء إليه .. كان الوقت قد فات .

□ □

ولا جدال فى أنه درس تاريخ أسرته جيداً .

أراد أن يعرف الحقيقة .. على الأقل لتستقر نفسه الحائرة .. والعاجزة عن مواجهة كل السهام الحادة التى توجه إلى أسرته .. خاصة والده .. ثم ترد إليه .. ولكن .. كيف يصل إلى ما يريد .. ووالده مات قبل أن يقول ما عنده .. ولم يترك سوى القليل من الوثائق السياسية .. والخطابات الشخصية .. وكل ما فعله كان الإيحاء ببعض المقالات التى كتبتها الصحافة الأوروبية ضد ثورة يوليو وجمال عبد الناصر .

كان عليه أن يبدأ من الصفر .. ولكن .. ساعده على المضى فى مهمته بيسر أنه قد درس الفلسفة والعلوم السياسية والتاريخ ، وأصبح قادراً — بحكم دراسته — على الفهم والتقييم ، وإن ظل عاجزاً — بحكم عاطفته — عن الإنحياز والتبرير .

وكان كلما قابل شخصية مصرية أو عربية ، عاشت أحداث ما قبل ثورة يوليو ، كان يسأل : « هل عرفت أبويا ؟ » .. كان ينطقها هكذا .. « أبويا » .. لأبى ، أو والدى .. فأبويا أسهل للأجانب الذين لا يجيدون نطق اللغة العربية .. ولفتوا نظره إلى ذلك .. فعدل عن أبويا .. وتدرّب على كلمة أبى .. ووالدى .

وقد قرأ الكثير عن أسرته .. تمهيداً لتنفيذ مشروع عمره .. لإعادة كتابة تاريخها ..

وقد سُئل مرة :

س : ماهى الشخصية التى حازت إعجابك بين أفراد أسرتك الذين تعاقبوا على حكم مصر ؟

ج : هذا سؤال محرج .. كان من الممكن أن أفضل محمد على باشا الكبير فهو الذى قاد مصر نحو النهضة الحديثة .. أو أختار الخديو إسماعيل الذى كان هدفه نقل التقدم الأوروبى إلى مصر .. وقام بما لم يقم به غيره .. تعيين المصريين فى المناصب الهامة بدلاً من الأتراك .. لكن فى الحقيقة .. إعجابى الكبير هو لجدى الملك فؤاد الأول .. ففى عهده حصلت مصر على الاستقلال عام ١٩٢٢ وقبل هذا التاريخ كانت مصر « رسمياً » تحت الحماية البريطانية ..

وفى البرنامج التليفزيونى الذى قدمه فريدريك ميتران عن والده .. تمنى لو أن الملك فاروق قد غادر مصر ، بعد حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ ، الذى يعتبره نقطة تحول فى تاريخ الملكية المصرية ... « لو حدث ذلك لساند الشعب والدى .. وطالب بعودته .. لكن أين يذهب .. والعالم الحر كان متحالفاً ضد ألمانيا .. وكانت مصر جزء من هذا التحالف .. ولو كان قد جاء إلى فرنسا لانتزها الإنجليز فرصة .. ووصفوة بالنازية » (٤) .

وفى مقابلة أخرى .. أضاف .. أن هناك حادثة أخرى أثرت على والده بدنياً .. وأدت إلى ترهله وإصابته بالسمنة ، وانصرافه عن السياسة .. والغرق فى الطعام .. هى حادثة القصاصين .. وملخص ما وقع .. أن الملك فاروق كان يقود سيارته مسرعاً كالمعتاد على طريق السويس .. وحدث أن فوجيء عند القصاصين بمجموعة من الأطفال يلعبون فى الطريق .. وفى الطريق المقابل تقف ناقلة جنود .. وفضل فاروق الانحراف والدخول فى ناقلة الجنود .. وقد رفع تصرفه من درجة شعبيته ، التى انخفضت بعد حادث ٤ فبراير .. ولكن .. حادث القصاصين — كما يضيف ابنه — أثر عليه مبدئياً وأصابه بإحباط شديد ، وسيطر على السنوات الأخيرة من حكمه قبل

(٤) ولم يمض — مصدر سابق .

خروجه من مصر^(٥)

إن ما يقوله أحمد فؤاد — بغض النظر عن دقته — يكشف عن وعى ظاهر بالتاريخ المصرى الحديث .. الذى من الواضح أنه يعطيه مساحة كبيرة من وقته واهتماماته . ولكن .. ذلك الاهتمام يتراجع أمام ضغوط العمل ومتطلباته . إن عمله — كمستشار مالى واقتصادى لمجموعة الشركات الصناعية التى تحظى بالعقود الكبرى — يجعله دائماً على سفر .. بين أوروبا .. والعالم العربى .. والولايات المتحدة .. وأمريكا اللاتينية .. وهذا ما جعل زوجته تقول : « إن حقائبنا نصفها مفتوح ونصفها مغلق .. لأننا دائماً فى حالة استعداد دائم للسفر .. بل إن من جملة أعمالى اليومية فى باريس أن أعد نفسى وحقائب زوجى وأولادى للسفر » .

وتضيف : إن أغلب الرحلات تكون من أجل أعمال زوجى .. وإذا زادت الرحلة عن (١٠) أيام أخذنا الأولاد معنا حتى لا نشعر بالغربة . لقد اعتاد أحمد فؤاد السفر .. وهو يحبه .. ومن ثم لا يستقر كثيراً فى مكان واحد .. وإن أصبح له فى كل مكان يذهب إليه أصدقاء يرتاح إليهم . ولكن ..

كل البلاد التى سافر إليها .. لم تجعله ينسى حلمه ..: السفر إلى مصر . وفى يوم ١١ يونيو ١٩٩١ تحقق حلمه .

(٥) ولم يمض — مصدر سابق .

الخطوة الأولى في الطريق إلى العرش !

انفجرت قنابل الغضب في مصر ، ضد أحمد فؤاد ، قبل أن يزورها بأكثر من (١٠) سنوات .

فجّرت المعارضة هذه القنابل ، فور إعلان أنور السادات — أمام البرلمان في أول نوفمبر ١٩٨٠ — أن بينه وبين آخر ملوك مصر ، رسائل ، ومجاملات ، واتصالات ، وجسور متينة من الودّ والتسامح .. وأنه أعاد إليه سيف أبيه .. وسمح لزوجته بأن تضع ابنها البكر في القاهرة .. وأنه لا مانع عنده من أن يعود أحمد فؤاد نفسه إلى مصر .

وقد أخطأ السادات عندما قال بالنص : « الولد أحمد فؤاد ، اللي هو تنازل له أبوه فاروق ، واللى ألغينا الملكية في مارس سنة ١٩٥٣ كما تعلمون » .. فالملكية ألغيت في مصر في يونيو — لا في مارس — سنة ١٩٥٣ .. وهو خطأ لا يجوز .. لأن السادات كان واحداً من الذين ألغوا الملكية .

وظاهر من عبارات السادات أنها جاءت ارتجالياً .. مع أنه كان يتحدث أمام أعلى سلطة تشريعية في البلاد .. « وفي مسألة أحد طرفيها الدولة ، والطرف الثاني آخر ملوك مصر ، الذي لم يصدر عنه حتى الآن ما يدل على إقراره بنزوله عن حقوقه في عرش مصر »^(١) .

وقد سكت أعضاء البرلمان ، ونواب الأمة ، عندما قال السادات : إن مصر متمسكة بأحمد فؤاد !

ولكن .. فتحى رضوان — السياسى العجوز — قال نيابة عن المعارضة :

(١) فتحى رضوان : « آمال الملك إلى العودة للعرش » — جريدة « الشعب » — ١٨ / ١١ / ١٩٨٠ .

« إننا إذا قلنا للولد أحمد فؤاد أن مصر متمسكة به .. لا يحسب أنها متمسكة به ملكاً لها ، تدخره للمستقبل .. إن مصر لم تسقط عنه حقوقه كمواطن ، إذ لم يصدر بذلك قانون .. فالقول بأن مصر تتمسك به لامتبر له في الواقع .. أما مجيئة إلى مصر وحده ، أو مع أخوته ، فمجرد ملاءة سياسية ، يقدرها المشرفون على أمن البلاد » .

ثم .. أضاف :

« والذي أعرفه أن هذه المسألة لا صلة لها بتمسك الدولة بملكها السابق بعد أن زالت عنه صفة الرسمية وأصبح مواطناً عادياً .. فإن حكومة بريطانيا — وبرلمانها — رفضت رفضاً خازماً وثابتاً أن تسمح لإدوارد الثامن الذي نزل عن العرش تمسكه بخطيبته المطلقة .. أن يعود إلى بريطانيا .. ولا أن يشغل منصباً سياسياً فيها .. كما رفضت تطوعه للخدمة في أسطولها أو جيشها عندما شبت الحرب العالمية الثانية .. ولم يكن عزله لسبب سياسي .. ولم يكن قد ارتكب في حق بلاده — لا هو ولا أبوه ولا أحد من عائلته — ما يبرر عزله انتقاماً ولا تأديباً .. والعائلة المالكة هناك محبوبة ، وصلتها بالملك المغزول حيمة ووثيقة .. ولكن هذه الأمور حساسة ودقيقة ، ولا تعالج من باب العطف والانفعال الشخصي ، فإن الذين عزلوا إدوارد الثامن من بريطانيا كانوا من أشد الناس حباً وولاءً لشخصه ، وتقديراً لمواهبه ، وقد بكى بعضهم عند مبارحته لبلاده — عندما وجه خطابه لشعبه — كما يبكي الأطفال » .

ثم .. استطرد :

« أما شخص أحمد فؤاد ذاته ، فلسنا نكره له الخير ، وقد يكون شاباً فاضلاً ، يستحق الاحترام والحب ، ولكن على أن يلتزم في جميع ما يطلبه من مصر ، في حدود حقه كمواطن عادى ، سواء اشترك في مظاهرها ، أو قادها بنفسه ، أو عاش يباشر خاصة شتونه كما يفعل كل الناس » .

« ولكن أخبرني من أثق في كلامه أنه رأى بعيني رأسه الدعوة إلى عقد قران السيد/ أحمد فؤاد على الأنسة التي اختارها زوجة له فوجدها موجهة من صاحب

السمو الملكي أحمد فؤاد الثاني .. وحرصه على أن تلد زوجته في مصر ، ليس مطلباً إنسانياً فقط .. فالمرأة تحب أن تلد في بلدها هي ، وبين أهلها ، وليس من هؤلاء واحد في مصر .. فأحمد فؤاد يريد أن يكون وارثه مزوداً بالوثائق التي تجعل حقه الملكي أكثر ظهوراً .. فابنه يولد في مصر ، ويحمل اسم محمد على مؤسس الأسرة المالكة ، وهكذا .. ولا أشك لحظة في أن وصول سيف فاروق إلى ابنه أحمد فؤاد ، قد أشعل في نفسه شوقه إلى عودة العرش إليه .. وعودته إلى العرش ، فهذا استجداء إنساني لا لوم عليه هو فيه ^(٢) .

ولا جدال .. في أنه « مشغول الخاطر في الليل والنهار بما يعيده إلى العرش ، وإن تحلى بالصبر ، وتظاهر بأنه نفى يده من ذلك الرجاء .. فهذه سنة الملوك المعزولين ، بل سنة كل إنسان فقد مآلاً ، ولو كان قيراطاً من فدان أرض سبخة ، فالإنسان يجبل على أن يبقى مؤهلاً آملاً في استرداد مايفقده .. وزيادة » .

وضاعف من الإحساس بخطورة ما قاله فتحى رضوان ، أن شاه إيران الأخير ، أوصى ابنه بمواصلة السعى نحو استرداد عرش « الطاوس » الذى أسقطته الثورة التى قادها أية الله الخمينى .. وبعد وفاة الشاه ، عُثر فى مخططاته ، على شريط تسجيل ، شرح فيه — بصوته — لابنه ، ما يجب عليه أن يفعله ، هو وكبار ضباط الجيش و« السافاك » الذين كانوا يدينون له بالولاء .. وقد قال الشاه :

« إن الوضع الحالى يختلف عن أوضاع التمرد التى واجهناها فى الماضى .. إننا نواجه فى هذه المرة تجمعات ضخمة ، واعية ، منظمة سياسياً ، وهو ما يؤكد أن الأساليب التى كنا نستخدمها فى الماضى فى مقاومة تجمعات الجماهير سوف تصبح غير مجدية هذه المرة » .

ومن مساوئ الصدف أن هذا الشريط ظهر على السطح فى الوقت الذى أعلن فيه السادات أنه يرحب بأحمد فؤاد فى مصر ، وأنه أعاد إليه سيف والده . وربطت المعارضة بين توقيت ما أعلنه السادات .. وذكرى زيارته الأولى إلى إسرائيل .

(٢) فتحى رضوان — المصدر السابق .

لقد سافر السادات إلى إسرائيل في نوفمبر ١٩٧٧ .. وقال مقال في نوفمبر ١٩٨٠ ..
أى بعد (٣) سنوات .. وقعت خلالها معاهدة الصلح بين مصر وإسرائيل في « كامب
ديفيد » .. فهل كانت إسرائيل الجسر الخفى بين السادات وأحمد فؤاد ؟ .. هل كانت
زوجة أحمد فؤاد — اليهودية الأصل — هى « التهمة » التى سهلت على السادات
انسلاخه عن تاريخ ثورة يوليو ، وجعلته يغفر كل الخطايا الملكية فى مصر ؟

إن زواج أحمد فؤاد ، ودومينيك بيكارد ، وقع قبل أسابيع من زيارة السادات
الأولى لإسرائيل ، وقد فتح هذا الزواج أمام الملك السابق أبواب السعد المالية ،
والتجارية ، التى يمسك مفاتيحها اليهود فى الولايات المتحدة ، ثم هاهو هذا الزواج ،
يفك عقدة لسان السادات ، ويجعله يكشف ما سبق أن أخفاه ، يعلن — فجأة وبدون
مقدمات ، وبلا مناسبة — أن أحمد فؤاد ابنه .. وأنه نفذ له مأرأد !

وقد عبر عن هذا المعنى — ولكن بصورة أخرى — رجل قانون ، يعمل بالحاماة ،
اسمه هاشم شعرواى ، فى مقال نشرته جريدة : « الشعب » الناطقة بلسان حزب
العمل الإشتراكى المعارض ، فقال :

« إننى أستطيع أن أربط بين قرار السيد الرئيس إهداء السيف لولى العهد السابق
وبين تصريحاته عن توصيل مائة النيل إلى إسرائيل .. فكلا التصرفين لا يملكهما أى
إنسان على أرض مصر .. فالنيل حياة مصر .. والآثار تاريخ مصر .. وحياة مصر
وتاريخها لاينفى أن يكونا خاضعين لإرادة إنسان مهما كانت منزلته وسموه .

« وكما أن سيف الملك المخلوع يجب أن يبقى فى حوزة الدولة رمزاً على قوة
الشعب وقدرته على قهر ظالميه ومستعبديه ، فإن إهداء هذا السيف — إلى وريث
الملك — قد يرمز إلى أن الوقت قد حان ليتقلد الأمير سيف أبيه .

وجاء فى المقال أيضاً :

« لقد قامت ثورة ١٩٥٢ وخلعت الملك السابق فاروق ، وصادرت أمواله
وممتلكاته التى أصبحت جميعاً ملكاً للشعب^(٣) وتحولت مملكة مصر إلى جمهورية

(٣) استغرقت عملية جرد ممتلكات الملك فاروق عامين تقريباً .. ولأن مجموعة تحف فاروق كانت نادرة ، حُثت لها لجنة فنية خاصة =

مصر منذ أكثر من (٢٧) عاماً .. ولا بد أن تكون أموال وممتلكات الملك المخلوع قد أصبحت في حوزة الدولة من خلال أجهزتها المختصة بالمحافظة على الأموال العامة ، والمستولة عن تلك الأموال أمام المؤسسات الشرعية للدولة .. فكيف استطاع السيد رئيس الجمهورية أن يحصل على هذا السيف الذى أهده للأمير السابق أحمد فؤاد ؟ .. هل أثبتت فى ذلك الإجراءات القانونية ؟ .. وماهى تلك الإجراءات التى تُتبع فى حالة طلبها بقصد التبرع بها ، وإهدائها إلى آخرين .. وهل يملك رئيس الجمهورية التصرف فى المال العام دون الحصول على إذن من المؤسسات الدستورية التى لها حق الرقابة على هذا المال وحمايته ؟ .. وإذا كان السيد رئيس الجمهورية قد أهدى السيف بصفته ممثلاً لشعب مصر فلماذا لم يعلن ذلك فى حينه حتى يدرك مدى تأييد شعبه فيما قرره من عدمه ؟ .. إننى أرى أن السكوت على تلك الواقعة مدة سبع سنوات يعنى أن السيد الرئيس قد أهدى السيف للأمير بصفته الشخصية ، ومن ثم فلم يكن من الجائز أن تكون الهدية قطعة أثرية من مخلفات الملك المخلوع أودعت فى المتاحف وأصبحت جزءاً من تاريخ الشعب ونضاله ^(٤) .

ولا جدال فى ن. « الضجة » التى أثارت حول أحمد فؤاد فى ذلك الوقت ، جعلته يعود وينكمش فى جلده ، ويؤجل زيارته لمصر حوالى (١١) سنة أخرى .

إنه يخشى سهام الصحافة .. ويحاول أن يتجنبها .. وعندما يتحدث إليها فإنه لا يخرج ما بداخله .. ويمس الأشياء من سطحها فقط .. ويرد على الأسئلة بإجابات فارة .. مثل ابتسامة المضيقات فى الجو .. وعلى سبيل المثال .. سُئل عن رأيه فى حكام

= لتقدير قيمتها المادية والتاريخية .. واستعانت هذه اللجنة بخبراء عالميين ، جاءوا من شركة « سوزى » الإنجليزية ، المتخصصة فى هذا النوع من الأعمال .. وقسم هؤلاء الخبراء تحف فاروق إلى ١٢٠٠ نوع ، يضم كل نوع مئات من التحف والقطع الفنية .. ثم أصدرت شركة « سوزى » كاتالوجاً ضخماً سجلت فيه كل التحف ، ووزعته على العالم قبل بدء المزاد العلنى لبيع الكثر الثمين فى ١٢ فبراير ١٩٥٤ .

وفى الكاتالوج .. ألف ساعة نادرة .. وصناديق تجميل .. وأقداح قهوة مرصعة بالمالس .. وقطع نادرة من العملات .. يصل عددها إلى ٨٥٠٠ قطعة .. ونظريات من القرن الماضى .. ومئات اللوحات الفنية .. وتمائيل من البللور .. وأطباق من الخزف المنقوش .. وقد وضع فاروق كل هذه التحف فى طابق مسحور ، بناه فى قصر القبة فى سنة ١٩٥١ ، وكان له أسانسور خاص ، ويتصل مباشرة بمناحه الخاص بالخرمليك ، واستعان فى تأمينه بخبير عالمى فى الخزائن ، زوده بمرايا خاصة تعكس صورة أى شخص يحاول دخول المكان .

(٤) جريدة الشعب — ١٨ / ١١ / ١٩٨٠ ، وعنوان المقال : « سيف الملك السابق .. ملك للشعب وليس لابه » .

مصر ، الذين تولوا السلطة بعد سقوط أيه .. محمد نجيب .. جمال عبد الناصر ..
أنور السادات .. وحسنى مبارك .. فقال :

« سوف أتحدث عن إنجازات كل منهم فقط » .. ثم .. أسقط محمد نجيب من إجاباته .. لأن الإنجاز الأهم لمحمد نجيب ، كان التخلص من والده .. ومنه هو شخصياً .. أما جمال عبد الناصر .. « فلاشك أن هناك إنجازين عظيمين » فى حكمه .. « الأول هو تأمين قناة السويس .. وهو نهاية معركة للشعب المصرى بدأت منذ سنوات طويلة » ... « ثم هناك ثانياً معركته من أجل وحدة وكرامة الأمة العربية » .. « وبالنسبة للسادات .. هناك بالطبع نصر أكتوبر العظيم ، وقد أعاد إلئى هذا الانتصار افتخارى كمصرى .. وهناك إنجازاه للسلام .. والسلام كنز عظيم .. لا بد من حمايته . لأنه عندما تبدأ الحرب لا نعرف متى تنتهى .. ثم هناك على المستوى الشخصى ما قام به بالنسبة لعائلتى » .

« أما فيما يتعلق بالرئيس مبارك .. فهناك إنجاز الديمقراطية وتعدد الأحزاب .. وهى أعظم إنجازاته .. ويجب أن نحافظ جميعاً على هذه الحرية بممارستها بوعى وحتى لاتدهب .. وهذه الملاحظة .. ملاحظة لدارس التاريخ وليست موقفاً سياسياً »^(٥) .
إن هذه الدبلوماسية فى الردود الصحفية تعكس خوفه ، وتحفظه ، ومهارته فى الهروب من الوقوع فى المشاكل .. فهو غير متسرع .. ولا يميل إلى الفرقة بلا ثمرة يقطعها .. وهو يحسب كل شئء بالورقة والقلم .. ويحدد المكسب قبل أن يدفع ثمن الخسارة .. ثم .. إنه لا يميل إلى إثارة الزواجر حوله .. بل يتجنب العواصف ، ويحنى رأسه ، وظهره ، وجسده حتى تمر .

وهذا بالضبط ما فعله بعد عاصفة نوفمبر — ١٩٨٠ .
لقد جعلها تمر .. وبعد أن اطمأن على أنها دُفنت ، وأن الظروف فى مصر أصبحت أقل حدة فى قبوله ، قام بزيارته المؤجلة إلى البلد الذى وُلد فيه .. وتولى عرشه دون أن ينتبه إلى ذلك .

(٥) ولئيم ويصا — مصدر سابق .

والمقصود .. أنه لايتراجع عن تنفيذ ما يريد .. وإن وافق على التأجيل .. فهو يفضل تحقيق أحلامه وأهدافه فى هدوء .. وفى الوقت المناسب .. وخطوة خطوة .. ودون إثارة السخط والغضب .. وهذا يعنى أنه ، إما شخص على درجة كبيرة من الدهاء .. أو أنه دمية قابلة للتحريك دون مقاومة .. أى أن هناك من يرتب ويخطط له مايجب أن يفعله فى مصر ، ويساعده أيضا على التنفيذ .

إن سياسة الخطوة خطوة واضحة فى مشوار عودته إلى مصر .
مظاهرة لتأييد حرب أكتوبر .. دعوة السادات لحفل زواجه .. حصوله على سيف والده .. سفر زوجته إلى القاهرة لتضع مولودها الأول .. علاقة قوية بأسرة السادات .. زيارة خاطفة قام بها إلى مصر .. رغبة فى استثمار أمواله فيها .. ثم .. رغبة فى استعادة عرشه . ما المانع ؟

ومن الواضح أن نفسه طويل .. فقد صبر (١٨) سنة — من أكتوبر ١٩٧٣ إلى يونيو ١٩٩١ — حتى نفذ خطوة زيارة مصر .. ويمكن أن يصبر أكثر .. حتى يستعيد ما فقده .. ولولم يمتد به العمر .. فابنه يواصل المشوار .. إنه يعده لذلك .

وهو فى سبيل الوصول إلى مايريد يكتفى بالحصول على مكاسب صغيرة ، متتالية ، تكون فى النهاية هدفاً كبيراً واضحاً .. فعلى سبيل المثال .. ظل يطالب بجواز سفر مصرى .. مثله مثل أى مواطن عادى .. وعندما حصل على الجواز « الأخضر » ، طالب بالجواز « الأحمر » .. أى الجواز المميز الذى يحصل عليه السفراء ، والدبلوماسيون ، والوزراء ، وكبار رجال الدولة .. وقد اشتكى من أنه لايجمل هذا النوع من جوازات السفر .. وحمل شكواه أنيس منصور ، واعتبر هذه الشكوى « معقولة » .. وكتب يقول : « وليس فى ذلك أى ضرر وخوف أو حتى مجاملة لو أنه حصل على ذلك .. إننا نعطي جواز سفر لبواى السفارات المصرية فى الخارج ! »^(٦) .

وعلى سبيل المثال أيضا .. ظل يسعى إلى زيارة مصر .. وبعد أن زارها . راح

(٦) مصدر سابق .

الإقامة فيها .. ويضيف أنيس منصور .. « وهو يريد أن يكون له بيت .. شقة .. فيلا في مصر ، وهذا حقه ، فإن كثيراً من الأجانب يملكون ما هو أكثر من ذلك »^(٧) .

وبعد البيت .. استثمارات ومصالح مالية .. وهذا أيضاً حقه .. ولكن .. هل يتوقف ما يريد عند هذا الحد ؟
ويقول أنيس منصور :

— إن الشقة التي يعيش فيها بباريس ، شقة صغيرة .. والجدران عليها صور محمد علي والخديو إسماعيل وجده الملك ووالده الملك فاروق .. وصور أخرى صغيرة لوالدته .. وله أيضاً بعض الصور ولكنها ليست واضحة .. ولعلها مأخوذة من المجلات .. وهذا يدل على أن الأمير أحمد فؤاد منفصل عن مصر وأنه غير قادر على أن يحصل على صور أو لوحات أو وثائق تجعله يعلقها على الجدران .
« ومن أول لحظة تشعر أن الأمير أحمد فؤاد يريد أن تكون صلته بمصر أكبر .. أو يكون هو نفسه في مصر .. فهو مصرى ومن حقه أن يعيش فيها .. ولا ذنب له فيما حدث .. ثم إنه ليس الملك السابق الوحيد في أوروبا .. فهناك ملوك كثيرون وأمراء .. وبعضهم له قوة ويطالب بالعرش .. ولكن الملك السابق — أى ملك سابق — لكى يعود إلى بلاده لابد أن تكون له قاعدة شعبية ضخمة .. قاعدة حزبية تأتى به حلاً لمشاكلها .. كما حدث في إسبانيا .. أعادوا الملكية بعد الرئيس فرانكو .. وكان من الممكن إسقاط فرانكو وإعادة الملكية .. لولا أنهم انتظروا فرانكو حتى الموت .. ولكن الأمير أحمد فؤاد ليس عنده أمل ولا عنده إمكانية أن يعود إلى عرش مصر .. فقد انتهى .. وهو يريد أن يعيش في مصر بعض الوقت أو معظم الوقت وهذا حق له »^(٨) .

وـ يقول أنيس منصور في سنة ١٩٩١ ، يختلف عما نشره في مجلة « أكتوبر » — الذى كان رئيساً لتحريرها — قبل (٩) سنوات .. ففي عدد أول أغسطس ١٩٨٢ ،

(٧) و (٨) المصدر السابق .

نشر أن الأمير أحمد فؤاد مازال يحلم بالعرش .. وبالنص قالت « أكتوبر » : « بينما كانت مصر تحتفل بمرور (٣٠) عاماً على نجاح ثورتها واستقرار مبادئها وقيمها وشرعيتها ، كان أحمد فؤاد آخر ملوك مصر يبحث عن طريقة يذكر بها العالم بنفسه وبأوهامه وأحلامه في العودة إلى العرش ، فأجرى حديثاً طويلاً مع مجلة « فو » الفرنسية ، نشر معه أول صورة رسمية للعائلة المالكة !! تضمه وزوجته وابنه محمد على وابنته الوليدة فوزية التي وُلدت أخيراً بمستشفى الأميرة جريس كيلي بموناكو ، ولم يكن حريصاً على أن تولد بالقاهرة مثل شقيقها .. يومها قبلت مصر من الناحية الإنسانية أن يُولد الطفل في القاهرة .. ولكن .. يبدو أن الإنسانية لم تكن هي الدافع عند أبيه ، وإنما كان حريصاً على أن يكتب الطفل الجنسية المصرية بالميلاد .. ليكون بحق ولياً للعهد » .

فما الذى تغير .. حتى يتراجع أنيس منصور في « مواقفه » .

لماذا انتقل من الهجوم على أحمد فؤاد إلى الدفاع عنه ؟

وما الذى جعله يقتنع — بعد (٨) سنوات ازداد فيها طموح الملك السابق ، وراثؤه . وتعلقه بمصر — بأن أحمد فؤاد — الذى نشر في الذكرى الثلاثين لثورة يوليو صورة أسرته المالكة — لم يعد يحلم بالعرش .. وأنه « ليس عنده أمل ولها عنده إمكانية أن يعود إلى عرش مصر » ؟

إن الأمل .. مثل الضمير .. شئ خفى فى الصدور لا يمكن كشفه .. أما الإمكانية فمثل الأشجار العملاقة ، يمكن أن تبدأ بشتلة صغيرة ، ضعيفة ، تنمو وتكبر وتقوى مع الأيام .. ومع التدبير المحكم والرعاية المناسبة .. فلاشئ غير ممكن .. أو لاشئ مستحيل فى هذا العصر الذى نعيش فيه .. إسرائيل قبل (٤٣) سنة كانت دولة « مزعومة » ، تحكمها « عصابة » من المرتزقة وهى الآن أقوى دولة فى الشرق الأوسط .. وقادرة على فرض إرادتها على العرب .. وقد نجحت فى اختراق الكثير من الدول العربية .. وأصبح المستحيل حقيقة واقعة عندما وقعت مع مصر ، أكبر دولة عربية معاهدة صلح ، كان من الجنون — فى يوم من الأيام — تخيل توقيعها .. الإتحاد السوفيتى وما جرى فيه .. لقد أصبح الحزب الشيوعى السوفيتى — الذى حكم

البلاد (٧٠) سنة — حزباً محظور النشاط ، يخالف من ينتمى إليه القانون .. وأصبحت قياداته — أصحاب الخطوة — مثل أصحاب السوابق .. وتفكك الاتحاد .. واستقلت دول البلطيق الثلاث .. وعاد الحديث من جديد عن روسيا القيصرية .. وظهر على السطح الدوق فلاديمير كيريلوفيتش .. سليل القيصرية ، الذى أعلن أنه يطالب بحكم روسيا .. وقد وُلد الدوق الأخير عقب ثورة ١٩١٧ ، فى فنلندا ، بعد أن هرب أبوه وأمه إليها من « سان بطرسبرج » .. وفى سبتمبر ١٩٣١ قُتل جميع أفراد أسرته فأصبح هو الوحيد المطالب بحكم روسيا .. وهو يعيش منذ (٧٠) سنة فى قرية « سان برياك » بإقليم بريتانى فى فرنسا والقرية مصيف صغير ، وأهلها يعاملونه بحب واحترام .. وهو لا يزال يفكر فى الوريث الذى يعهد إليه بحقه فى المطالبة بعرش روسيا .. بعد أن أكدت ابنته الكبرى « مارى » — البالغة من العمر (٣٧) سنة — أنها لا تهتم بذلك .. بالإضافة إلى كونها مطلقة .. وتحظر الكنيسة الأرثوذكسية الروسية تولى المطلقات أية مناصب رسمية .. ويتجه تفكير الدوق الأخير إلى حفيده جورج .. ابن ابنته .. باعتباره الوحيد الذى يمكن أن يرث حق المطالبة بحكم روسيا .

لاشئ مستحيل إذن ..

كل شئ ممكن .. بما فى ذلك عودة أحمد فؤاد — أو ابنه محمد على الصغير — إلى عرش مصر .

ملكية .. بقرار جمهوري !

ويتحدث أنصار عودة الملكية — من جديد — إلى مصر عن تجربة أخرى .. انقلبت فيها الملكية إلى جمهورية .. ثم ارتدت الجمهورية إلى ملكية .. ولا تزال . وهذه التجربة — الفريدة من نوعها — وقعت في إسبانيا . ولكن .. يستخدمها أنصار عودة الملكية في مصر .. للتدليل على أن ذلك ممكن . لقد تعود قطار النظام السياسى أن يسافر — فى اتجاه واحد — من محطة الملكية إلى محطة الجمهورية .. ولكنه .. فى إسبانيا خالف خط السير .. وعاد من جديد إلى محطة الملكية .. فهل يمكن أن يتكرر هذا الاستثناء ليصبح قاعدة تسرى على كثير من الجمهوريات فى العالم .. من الإتحاد السوفيتى إلى مصر .. ومن جمهورية الصين الشعبية إلى جمهورية السودان الديمقراطية ؟ . لا أحد يعرف .

ولا أحد يمكن أن يتنبأ فى هذا العالم المجنون بالتغيير إلى حد الفوضى . ولكن .. حتى الآن لا تزال إسبانيا استثناءً .. حالة خاصة .. خروجاً على القانون .. وليس من السهل أن نطبق ما جرى فيها على دولة أخرى .. وليس من الحكمة أن نتحدث عن تجربتها ، دون أن نفهمها ، ولا أن نطالب بتكرارها دون أن نستوعبها .. إن ذلك حماقة .. وقصر نظر .. وتسرع .. ومحاولة فاشلة لكسب قضية لا تزال خاسرة .

□ □

إسبانيا وطن معجون بدم أبنائه .. نشيده الوطنى ، موسيقى جنائزية حزينة ، تتداخل فيها أصوات الموت والرصاص والحرب الأهلية .. والدموع هناك بحيرات لم تجف بعد .. والمواقع تذكار معلق فى كل بيت .. لذلك ليست صدفة أن الإسبان

يتعاملون مع الحياة -بجراً واندفاع .. يشربون حتى الإغماء .. يعشقون حتى الإنتحار .. يرقصون حتى الإعياء .. ولا يخشون الموت .. فقد تعودوا عليه .. وتعايشوا معه .. وناموا إلى جواره في فراش واحد .

إن جرح إسبانيا الذى لم يندمل بعد وهو الحرب الأهلية التى استمرت (٣) سنوات كاملة ، من ١٩٣٦ إلى ١٩٣٩ ، وقُتل فيها مليون إنسان ، وهرب بسببها من إسبانيا نصف مليون آخر ، كان على رأسهم الفنان التشكيل المعجزة بيكاسو .. وقد عبر بيكاسو عن هذه المأساة بطريقة أخرى ، شهيرة ، غير الحرب إلى باريس .. اللوحة التى رسمها باسم « الجرنیکا » .. حيث كل شيء فى اللوحة غير مكتمل .. ومشوه .. البشر .. الخيول .. المدن .. الطيور .. الألوان .. والرجولة والأنوثة أيضا .

إن هذه الحرب كانت الابن البكر لامرأة قبيحة اسمها الديكتاتورية ، من جنرال ، ضارم ، لايؤمن إلا ببلغة الحديد والنار ، هو الجنرال فرانكو .. أو الجنرال فرانثيسكو فرانكو .

إنه كارثة إسبانيا الكبرى .

وُلد فى ٤ ديسمبر سنة ١٨٩٢ .. لم تكن فيه ما يجعل من حوله ، يتنبأون له بمستقبل لامع .. أراد أن يصبح ضابطاً بحرياً لكنه لم يُقبل لعدم لياقته الجسمانية .. فقد كان يعانى من دوار البحر .. وقُبِل شقيقه الأكبر منه .. وكان يحلم بالبطولة فى الجو .. لكنه لم يستطع أن يحلق فى السماء .. وحلق بدلاً منه شقيقه الأصغر الذى أصبح من أبطال سلاح الطيران .. فشل فى البحر وفى الجو .. قلم يجد أمامه سوى الأرض ليثبت أقدامه العسكرية عليها .. وهكذا انضم إلى المشاة .

ومنذ طفولته وهو يعانى من عقد نفسية مزمنة .. كان يكره أباه الذى هجر أسرته ، وجرى وراء امرأة أخرى غير أمه .. أما الأم فكان يحبها ويخشها .. يحبها لأنها أمه .. ويخشها لأنها كانت متغطرسة ، وقاسية ، وسليطة اللسان ، وتضرب أولادها بالحزام والحذاء .

وفيما بعد قال : إنه منذ نعومة أظافره وهو يكره القراءة ، والرسم ، والكتب ، والألوان ، والشعر ، والطرب ، والموسيقى .. وكان يميل إلى الملابس العسكرية المزركشة .

وقد وُلد في قرية تسمى « الفيرول » تقع في شمال إسبانيا .. حيث يعمر الناس أكثر من (١٢٠) سنة .. ولكن .. فرانكو لم يعيش أكثر من (٩٣) سنة .. خطفه الموت مبكراً في ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٧٥ .. بعد أن أصيب بفشل كلوى ، واضطراب في القلب ، وتليف في الكبد .. وبعد أن ظل يعاند الموت أكثر من (١٠) سنوات .. كان فيها محنطاً .. يكاد يتفتت .

وفي فراش المرض الطويل كان لا يكف عن البكاء .. : أن يعرف أحد السبب .. فهل كانت دموع الندم .. أم دموع الحسرة .. أم كان كما قال الإسبان — يرشو السماء بدموعه حتى تمنحه المزيد من الحياة .. وتؤجل .. ته ؟ .. إن الديكتاتور لا يعرف كم هو ضعيف ، ولا حول ولا قوة إلا في لحظة الموت .. وقد شاء الله أن تكون هذه اللحظة في حياة فرانكو (١٠) سنوات ، كان خلالها الميت الحي .. منتهى العذاب . .

وسر هذا العذاب أنه لم يعرف الرحمة .. ولا تعامل بها .. ولا استسلم لها لحظة واحدة طوال سنوات حكمه التي تصل إلى نصف قرن من الزمان .
وقد بدأ مشوار حكمه بعد أن أصبح جنرالاً .. في الثالثة والثلاثين من عمره .. كان أصغر جنرالاً في أوروبا .. وكان أول لقب حصل عليه هو لقب « الجنرال الذي بلا قلب » .. أو « الجنرال الذي نزع الله قلبه ووضع بدلاً منه حذاء » .. وفي ذلك الوقت كانت إسبانيا في أسوأ ، وأضعف أحوالها .. ملك هزيل لا يملك ولا يحكم .. رجال دين لهم ماضى وليس لهم مستقبل .. لإنهيار اقتصادى حاد .. اضطرابات داخلية صارخة .. وحروب أهلية لاتزال محدودة ، تسعى جاهدة للتوسع والانتشار .

إن ذلك كله جعل فرانكو مثل الخُلص ، أو المنقذ .. فكان أن تقرب إلى الكنيسة .. وكان أن تقربت إليه الكنيسة .. وتلاقت ديكتاتورية المؤسسة العسكرية مع ديكتاتورية الكنيسة الكاثوليكية الإسبانية .. وامتزج الكاهن بالجنرال .. فدخلت البلاد مرحلة الحكم المطلق .

لقد منحته الكنيسة بركتها .. وساعدته حتى أصبح وزيراً للمالية في سنة ١٩٢٨ ..

ثم .. اختارت له المرأة الوحيدة التي عرفها حياته .. زوجته ماريّا .. خادمة أحد الكهنة سابقاً .. إنه لا يهوى النساء .. ويعتبر الجنس — حتى في فراش الزوجية — خطيئة .. وقد ضاعفت ماريّا من إحساسه بالعفة .. وكان إذا نصحه الكاهن بالإقتراب من زوجته ليصبح أباً ، أصر على أن لا يخلع كل ملابسه .. ثم .. قام ليتطهر وليدعو الله بالمغفرة .. وكان بعد فترة يقترب فيها من زوجته ، يعذب نفسه بلبس حذاء ضيق لمدة أسبوع .. إنه هتلر وموسوليني ونيترون وكاليجولا .. أحس بأن الديكتاتورية هي أمتع ما لوجود .. أمتع من العشق ، والجمال ، والطبيعة ، والطعام ، فمارسها .. ودع سبارها .. فقد هتف لهتلر بعد أن احتل فرنسا .. وعلق صورة موسوليني في بيته .. أن سيطر على إيطاليا . وعلى طريقهما أسقط كية في إسبانيا .. وأعلن الجمهورية .. وصار رئيساً للدولة .

وللإنصاف .. كان منذ الملكية بعد استفتاء وافق فيه الشعب على هذه الخطوة .. وكان ذلك في سنة ١٩٣٢ . وفي الوقت نفسه أصبح رئيساً للبرلمان .. والحكومة .. وقائداً للجيش والشرطة .. وحاكماً بأمره .. مع أنه قال إنه يحكم بأمر الله .. وقد صدّقت الكنيسة كل كلامه .

وقد حكم فرانكو إسبانيا من بيته الريفي في ضاحية « الكامبو » على بعد (١٦٠) كيلو متراً من مدريد .. والمدersh أن البيت مبنى من طابق واحد على الطراز الأندلسي .. حيث القباب والموزيك والرخام وأشجار الفل والريحان .. وفي هذا البيت الريفي عاش ومات وأمر بإعدام (٤٠٠) ألف إسباني من خصومه والمناهضين لحكمه .. ولم يكن يتردد على قصر البارادو .. قصر الحكم الرسمي إلا في المناسبات . وبسبب قسوته التي كانت بلا حدود .. أبعد الإسبان عن السياسة .. فعوضوا ذلك بمصارعة الثيران .. وكرة القدم .. وشرب الخمر .. واحتراف المقامرة على كل شيء .

ولكن كان هناك سبباً آخر جعلهم يعتزلون السياسة .. هو سنوات الألم والموت والخراب والدموع التي غاشوها في الحرب الأهلية .

لقد كره الإسبان — بسبب هذه الحرب — السياسة والأحزاب والكنيسة والصحافة .. فرانكو .. وأحبوا رقصة الفلامنكو .. الرقصة المفضلة للأمير أحمد فؤاد في شبابه .

وعبر الإسبان عن كراهيتهم لفرانكو من تحت تحت .. فعلوا سرّاً ما كان يزعجه علناً .. قطفوا الزهور .. حطموا مصابيح الشوارع .. اعتدوا على السياح . ثم .. والأخطر .. انضموا إلى خلايا الأحزاب الشيوعية .

إن فرانكو كان مريضاً بمرض مكافحة الشيوعية .. وكانت أعراض هذا المرض تتجاوز أى أعراض أوروبية أو أمريكية أخرى .. وقد قيل إن لون الشيوعية الأحمر كان يثير أعصابه .. ويثير جنون الثيران .. مع أن اللون الأحمر .. أبرز ألوان علم إسبانيا .. كما أنه لون الدم الذى سال وفاض كنهر متهور ، بلا ضفاف .

وبسبب كراهيته للشيوعية أعاد ولى عهد إسبانيا خوان كارلوس إلى بلاده .. وجعله بالقرب منه .. وأرضعه هذه الكراهية .. وقد فعل ذلك ، لأنه اقتنع بأن إعادة الملكية هى أفضل ضمان لمواجهة الشيوعية التى ازداد أنصارها فى البلاد وسعوا إلى السلطة .. وبادلوا العنف بالعنف .. والقسوة بالقسوة .

والمقصود .. أن فرانكو فكر فى إعادة الملكية ليس حباً فيها ولكن .. كرهاً فى الشيوعية ... فنار الملكية ولا جنة الشيوعية .

ولكن .. من ناحية أخرى .. كان فرانكو يريد أن يثبت أنه ملكاً .. فاختار خوان كارلوس ليصبح ولياً لعهد .. عهد الجنرال فرانكو .. ولأن فرانكو ليس ملكاً .. فإن إسبانيا عاشت حالة فريدة من نوعها .. حالة اللا جمهورية واللا ملكية .. حالة الجمهورية .. أو الملكارية .. أى النصف جمهورية والنصف ملكية .. فرئيس الدولة ليس له نائب وإنما ولى عهد .. وولى العهد من الأسرة الإسبانية المالكة التى أطاح بها هذا الرئيس نفسه .

والمثير للدهشة .. أن الجنرال فرانكو هو الذى قام بتدريب خوان كارلوس على فنون الحكم .. والمثير للدهشة أيضاً .. أن الجنرال فرانكو .. دعا الشعب الإسباني — الذى قال للملكية لا — إلى استفتاء جديد حول إعادة الملكية وفى هذا الاستفتاء قال

الشعب للملكية : نعم .. تعود ا .

وعادت الملكية رسمياً .. إلى إسبانيا .. ولكنها .. أصبحت ملكية بلا ملك .. أو أصبحت ملكية فوق عرشها رئيس جنرال .. وأحس الإسبان بأنه لا فرق .. ولا شيء تغير أو اختلف .. جمهورية يحكمها فرانكو إلى الأبد .. وملكية يحكمها كذلك إلى الأبد .. إن الأسماء لا تعكس حقائق الأمر الواقع .. ولكنها .. الديكتاتورية التي تسبب مثل هذه الفوضى .. فالديكتاتورية ملك في صورة رئيس .. ورئيس في صورة جنرال .. وجنرال في صور سفاح ا .

وحتى يحل فرانكو هذا اللغز السياسي العجيب ، فإنه جعل كل السلطات في يد رئيس البرلمان .. أى في يده هو .. ثم جعل السلطة العليا في البلاد خالية .. أى بلاد بلا رئيس وبلا ملك .. وإن كان خوان كارلوس هو ولي العهد .. وكان ولياً للعهد دون أن يكون على العرش ، صاحب جلالة ، أو صاحب سمو .. بل كان أول ولي عهد لجنرال .. أو لرئيس برلمان ... وهكذا .. ازداد اللغز تعقيداً . ولم يُحل اللغز إلا عندما مات فرانكو .

وفي هذه اللحظة أصبح خوان كارلوس ملكاً على إسبانيا .. ولكن .. كان وجوده على العرش ، مجرد رمز .. فلا هو استرد ممتلكات أسرته .. ولا طالب بتعويضات عنها .. أى أنه بالفعل .. لا يملك .. ولا يحكم .. مجرد رمز لا أكثر ولا أقل .. وليس له سوى راتب سنوى .. أى أنه ملك بدرجة موظف .. ومن حقه المطالبة ببديل غلاء معيشة .. وبديل انتقال .. وبديل ثياب .. إنه أول ملك لا يملك قصوره ولا تاجه ولا خيوله .. إنها عهدة حكومة لا يجوز تبديدها .. ومن ثم .. فهو أشبه بممثل يلعب دور الملك .

□ □

وخوان كارلوس مثل أحمد فؤاد عاش سنوات الدراسة في سويسرا .. فقد درس في مدرسة « ردل » بجنيف ، ثم في مدرسة « مريانية » في مدينة فرايبورج .. ثم بعد أن استدعاه فرانكو ، درس في المدرسة الكاثوليكية في لشبونة ، ثم دخل الكلية الحربية في زاركوزا ، وتخرج منها في يناير سنة ١٩٥٨ . وهو مثل أحمد فؤاد أيضاً ، تزوج من أجنبية .. هي الأميرة صوفيا ، اليونانية

الأصل .. فلم يحبها الإسبان .. « لأن الدماء الإسبانية لا تجرى في عروقها » .. وقد اعتبروها « دخيلة » عليهم .. « وابتلعوها على مضض »^(١) .

وقد درست صوفيا الجيولوجيا — علم طبقات الأرض — في ألمانيا .. ولها دراسات عن إفريقيا .. وتهوى الموسيقى ، والرسم ، على خلاف زوجها الذى يهوى الخيل والبحر والصيد واللاسلكى .

ومثل أحمد فؤاد ودومينيك فرانس ، كان اللقاء الأول بين خوان كارلوس وصوفيا ، صدفة .. ولكن .. لم يكن لقاء الصدفة فى مطار مثل الأمير المصرى وزوجته ، إنما كان فى رحلة بحرية فى البحر المتوسط .

وليست صدفة — بعد ذلك — أن تكون عائلة أحمد فؤاد على علاقة قوية بعائلة خوان كارلوس .. يمكن القول إن أحمد فؤاد حريص على هذه العلاقة .. ولا يتردد فى الإستجابة لأية دعوة ، أو نزهة بحرية ، برفقة ملك إسبانيا .. إن خوان كارلوس هو التجسيد الإشباني لحلمه المصرى .. وقد كان مثله مجرد أمير سابق يعيش فى سويسرا وفرنسا .. فهل يمشى على دربه ، ويكرر معجزته ، ويسترد عرشه ؟

ولكن ...

الفرق . أن خوان كارلوس وجد من يأخذ بيده ، ويعيده إلى ولاية العرش ، تمهيداً لأن يصبح ملكاً .. والفرق .. أن إسبانيا ليست مصر .. وجمال عبد الناصر وأنور السادات وحسنى مبارك ليسوا — مهما كانت الطموحات والتجاوزات — مثل الجنرال فرانثيسكو فرانكو .. والشعب الإشباني — الذى هدته الديكتاتورية والحرب الأهلية — ليس الشعب المصرى ، الذى يتحمل حكامه ، ويرفعهم إلى أعلى مرتبة ، ثم يهبط بهم إلى القاع .. ولكن .. بعد فوات الأوان .

والفرق .. أن الولايات المتحدة حرضت فرانكو على إعادة خوان كارلوس .. لقد خشيت من سيطرة الشيوعية والفاشية على إسبانيا بعد رحيل الجنرال المريض .. فوجدت أن الملكية خير ضمان .. حتى ولو كانت مجرد رمز .. وإسبانيا بالنسبة لها

(١) مفيد فوزى : جواز سفر إنسان — ص ٧٧ — الناشر دار المعارف — القاهرة .

موقع إستراتيجى خطير .. مفصل بين أوروبا والعالم العربى .. وحائط من الفقر تسند إليه الرأسمالية الغربية ظهرها .. ثم .. إنها تحتفظ فى إسبانيا بثلاث قواعد عسكرية إلى جانب قاعدة بحرية وأخرى جوية .. وهذه القواعد نقاط انطلاق لضمان مصالحها فى الشرق الأوسط وشمال إفريقيا والبحر المتوسط وجبل طارق .. ويعمل فيها (٨٠٥٧) من العسكريين الأمريكيين ، و (١٤١٧) من المستخدمين المدنيين .

والإشتراكيون فى إسبانيا يريدون تصفية هذه القواعد .. والذين هناك يطالب بعودة الفاشية .. ويحلم بأن يُولد فرانكو آخر .. والناس لا تزال منصرفة إلى مصارعة الثيران ، وشرب النبيذ ، والرقص على إيقاعات الفلامنكو .. فلا الملكية التى عادت حلت مشاكلهم .. ولا الملك خوان كارلوس نجح فى أن يجفف دموعهم .. ولو حدث استفتاء جديد ، لطالبوا بسقوط الملكية .. وإعادة الجمهورية .. من باب الأمل .. والتغيير .

إن الانتخابات التى جرت فى إسبانيا سنة ١٩٧٧ ، بلورت ونظام الحكم .. ملك رمز .. ورئيس حكومة يأتى بالانتخابات .. وأربعة أحزاب رئيسية تتنافس على الحكم .. تحالف الوسط الديمقراطى .. العمل الإشتراكى .. التحالف الشعبى اليميني .. والحزب الشيوعى .. إلى جانب دستور حصل على موافقة البرلمان فى أكتوبر ١٩٧٨ . وفاز حزب الوسط الديمقراطى فى أول انتخابات .. وأصبح زعيمه أودلنو سوازير أول رئيس حكومة منتخب لإسبانيا .. وحاول سوازير أن يلغى فى شهور شبغ فرانكو الذى سيطر سنوات وسنوات .. وقد قال : « لقد أصبح خوفنا الحقيقى هو الخوف نفسه » .. والمعنى أن تجربة الماضى المؤلة ليس من السهل تجاوزها .. وقد أكد الواقع ذلك .. فمطالب حركة الباسك الانفصالية إشتدت وإحتدت ، وعبرت عن نفسها بمزيد من العنف .. والانهار الاقتصادى واصل تدهوره .. واليمين سعى للحكم بانقلاب عسكرى ، قاده الكولونيل أنطونيو دى مولينا فى ٢٣ فبراير ١٩٨١ .. وتلت المحاولة عملية إرهابية أخرى أحتجز فيها (٣٠٠) رهينة ، لم يُطلق سراحها إلا بعد الإفراج عن قادة الانقلاب .

وكان لابد من انتخابات جديدة .. مبكرة .. وفى خلال خمس سنوات جرت

انتخابات عامة ثلاث مرات .. وفى المرة الأخيرة كسب الاشتراكيون وأصبح زعيمهم فيليب جوانز ليس فى السلطة .. ومرة أخرى راحت الدوائر تدور فى اتجاه العنف والفاشية .. وثبت أن أزمة إسبانيا أكبر من أن يحلها عودة الملكية .. أو أن عودة الملكية لم تغير من طبيعة مشاكل إسبانيا السياسية والنفسية .
إن تغيير اللافتة لا يغير من حقيقة الأشياء .

فليس صحيحاً أن الناس ستخدع فى سجن أى زعبل بمجرد أن نضع عليه من الخارج لافتة مكتوب عليها : اسم فندق الهيلتون .. وإسبانيا الملكية لم تختلف عن إسبانيا الجمهورية إلا فى اليافتة .. إنها مثل « حسن الحجشى » الذى غير اسمه إلى « محسن الحجشى » .. و« الحجشى » الثابت فى إسبانيا .. العنف .. والقسوة .. والرغبة فى التقسيم .. والسعى نحو الانفصال .. وإدمان رائحة الدم .. أما الديمقراطية — التى لم تستقر بعد — فإنها بالصورة التى عليها الآن ، كان من الممكن أن توجد فى ظل نظام جمهورى .. لو شاء فرانكو ذلك .. أى لو استقر على النظام الجمهورى قبل وفاته .. وفرض الأسلوب الديمقراطى نفسه بعد وفاته .

□ □

هذه هى تجربة إسبانيا الجمهورية .

لقد عادت إليها الملكية بقرار جمهورى .. فى وجود شخصية أسطورية .. حولت إسبانيا من دولة إلى فرد .. الجنرال فرانكو .. ولكن .. لاشئ تحت الثياب تغير . وقد جاء هذا القرار فى وقت استسلم الشعب فيه من اليأس .. فلا فرق عنده بين ملك ورئيس .. والغريب أن الذين تحمسوا لعودة الملكية كانوا الشبان .. الأجيال الجديدة .. وكان سر حماسها الإعجاب بشباب وحيوية خوان كارلوس .. فهو مثلهم .. وأقرب إليهم .. ثم .. إن البديل كان كهلاً ، ضيق الأفق ، سيء السمعة ، هو الجنرال فرانكو .. الذى كان البسطاء والكبار فى السن يتحمسون له ، ويؤمنون به ، ويعتبرونه الأب الأكبر .

والمعنى .. أن شباب خوان كارلوس فقط كان وراء اختياره .. فلا هو سياسى بارع .. ولا هو صاحب تاريخ لامع .. ولا هو خفيف الظل .. ولا هو موهوب فى

أى شىء .. إنه فقط شاب .. وكانوا سيختارونه حتى لو لم يكن ابن ملك .. كانوا سيختارونه حتى ولو كان لاعب كرة ، أو مصارع ثيران .. المهم أنه شاب .. وجه جديد غير وجه فرانكو الذى زهقوا منه .

وقد استثمر خوان كارلوس ذلك .. فراح يتقرب من الشباب .. ولم يتردد فى تقليد نجوم السينما والرياضة فى كل شىء .. الثياب .. والجراة .. وخطف الأضواء .. فخلق قاعدة راحت تتسع كلما اقترب فرانكو من الرحيل .. ودعم ذلك ؛ أن فرانكو يؤيده .. فلا خلاف ولا تناقض .. إن خوان كارلوس نفسه عاش معظم سنوات صباه وشبابه فى إسبانيا .. ويعرفها مدينة مدينة .. وحارة حارة .. ويجيد لغتها .. ويعرف ذوق أهلها .. على عكس أحمد فؤاد الذى لم يعرف مصر إلا فى أيام معدودة .. أيام الزيارة .. ولا يكفى أن يكون قد قرأ عنها .. فمن قرأ ليس كمن عاش .. وعاشر .. وتجراً .. وامتنص رحيق الشوارع .. وشرب كوكتيل الأرصفة .. وعرف مزاج الناس .

إن خوان كارلوس لم يكن « خواجه » فى إسبانيا .. ولكن أحمد فؤاد خواجه فى مصر ! إن أحمد فؤاد لا يعرف عن مصر إلا ماتنتشره الكتب السياحية والتاريخية والسياسية .. لا يعرف لماذا يسخر المصريون من حكاهم .. ولا كيف يعيشون فى المقابر .. ولا متى يكشفون عما فى داخلهم .. لا يعرف الفول ، والفقر ، والحياة بالبركة ، وحكمة الأمثال الشعبية ، وعبادة السلطة .

فهل جاء إلى مصر مثل نابليون مسلحاً بعباءة الدين ؟ أم أنه مثل نابليون أيضاً .. اعترف بعد العودة إلى باريس .. بأنه لا يعرف حقيقة مصر إلا الشعب المصرى ؟ هل جاء لاصطياد قوس قزح .. أى اصطياد ألوان الطيف فى سماء مصر .. أو بعبارة أوضح جاء إلى مصر بحثاً عن العرش .. أو كيف السبيل إليه ؟ .. هل هناك يد خفية تدفعه لذلك .. أم أنه نزل بمفرده لشراء الترام ؟

ومرة أخرى ... إسبانيا ليست مصر .

وخوان كارلوس ليس أحمد فؤاد . وشعب يصارع الثيران ليس كشعب يأكل الكشرى .

قهوة « ريش » .. فى ليلة شديدة البرودة .. شتاء ١٩٨٩ .

القهوة الشهيرة فى وسط القاهرة ، مزدحمة بالسياح ، والدخان ، والصخب ، والأدباء الشبان الذين جاءوا من الريف والصعيد لغزو العاصمة بقصائد الشعر .. والقصص القصيرة .. والأحلام الكبيرة .. والصدور المفتوحة .. والألسنة الحادة .. والرغبة العارمة فى البقاء على أرصفة المدينة — الأم مهما كان الثمن .. إنهم يمشون على درب أمل دنقل ، ويحى الطاهر عبد الله .. ولكن فى زمن آخر .
فجأة ..

دخل شاب ناضج ، ممتلىء الجسم مفرط الأناقة ، يرتدى « بالطو » أزرق ، وفى يده سيجار كوى ، كالذى يدخنه فؤاد سراج الدين ، أو محمد حسنين هيكل .. خلف الشاب ثلاث حراس ، يحيطونه بالرعاية ، والإهتمام .. سرعان ما نقلوا مشاعرهم إلى رواد القهوة .. الذين فوجئوا بأن هذا الشخص المهم هو الأمير أحمد فؤاد ملك مصر السابق .. وقد أكد المفاجأة صاحب القهوة « ميشيل » الذى قال : إنه بالفعل ابن الملك فاروق .. « وهو فى زيارة لمصر ويريد أن يتجول فيها بحرية المواطن العادى .. يجلس فى القهاوى والمطاعم .. يمشى فى الشوارع والحوارى .. وإن هذه رغبة والدته الملكة ناريمان .. فقد نصحته عند زيارة القاهرة بالتردد على مطعم وقهوة ريش .. لأنه مثل قهاوى باريس يزخر بكل المتناقضات » .^(١)
شلت المفاجأة رواد القهوة .. فلا أحد سمع أو قرأ خبر أحمد فؤاد بالقاهرة ..
فها جاء سرّاً ؟ .. أم أن الحكومة سمحت بالزيارة ، بشرط عدم الإعلان عنها ؟

(١) أقرأ تفاصيل هذه الواقعة المثيرة كما كتبها فنان الكاريكاتير رؤوف عياد — الذى عاشها — فى مجلة صباح الخير — ١٩ / ١ / ١٩٨٩ .

وفي الليلة التالية جاء الشاب نفسه إلى « ريش » ، وكان معه فتاة مثيرة ، رائعة الجمال ، تكشف صدرها ، وساقها ، وتحدث الإنجليزية ، والفرنسية بطلاقة .. وبعد قليل ، وبتهريض من بعض الصحفيين — الذين وصلهم الخبر — تقدم صاحب القهوة من الشاب ، وسأله :

— سيدى .. هل صحيح أنك ابن الملك فاروق ؟
أجاب بغطرسة ظاهرة :

— نعم .

— ولكنك لا تشبه الأمير أحمد فؤاد .

وتدخلت الفتاة في الحوار وهى غاضبة .. وقال :

— ومن قال لك إنه الأمير أحمد فؤاد ؟

— إنه الابن الوحيد للملك فاروق !

— الجالس أمامك هو ابن الملك فاروق ولكن من امرأة أخرى غير الملكة

ناريمان .

وقبل أن تنهى كلامها ، كان أحمد فؤاد المزيف ينسحب من القهوة .. وفيما بعد اتضح أنه نصاب لبنانى معروف باسم روجيه شديد .. ويستغل الشبه بينه وبين الملك فاروق ليأكل ويشرب ويرضى غروره مجاناً .

□ □

والمدهش ..

أن أحمد فؤاد الحقيقى ، عندما جاء لزيارة مصر ، قرر أن يتصرف مثل أى سائح عادى .. أى يذهب يتفرج على المعالم الأثرية .. وأصر على أن يتناول طعامه فى مطاعم مفتوحة .

لقد وصل مطار القاهرة يوم الأربعاء ١٢ يونيو ١٩٩١ ، ليلاً ، وخرج منه إلى بيت والدته ناريمان ،، وقضى الليل هناك .. ويمكن أن نتخيل مشاعره وهو ينام أول ليلة فى مصر .. قلق .. توجس .. وإحساس بعدم التصديق .. وقد جعلته مشاعره مسجوناً فى الخوف والحذر .. الخوف على حياته .. والحذر من الوقوع فى الخطأ ..

خطأ التصريح للصحفيين بما يغضب الحكومة .. وخطأ الحركة المحسوبة التي تثير ريبة أجهزة الأمن التي وضعت عيونها عليه من المطار إلى المطار .. من الوصول إلى الإقلاع .

في اليوم التالي استيقظ مبكراً .. في السادسة صباحاً .. وقف في الشرفة يتأمل القاهرة وهي تستيقظ .. وراح يتابع الصخب وهو يتضاعف دقيقة بعد أخرى .. وبعد أن تناول إفطاره ، ذهب إلى النصب التذكاري للجندى المجهول .. حيث قبر الرئيس أنور السادات أيضا .. فقد دُفن حيث قُتل .. إن أحمد فؤاد معجب جداً بشخصية السادات .. وشجاعته .. إنه بالنسبة له أفضل زعماء مصر .. مصطفى كامل ، ومحمد فريد ، وسعد زغلول .. مثلاً .. ثم .. إنه يعتبر السادات صاحب الفضل في عودته إلى مصر .

قرأ الفاتحة في صمت .. ثم ركب السيارة مع أحد أصدقائه ، وذهب لزيارة دار الكتب والمتحف الإسلامى ، في « باب الخلق » .. وتناول طعام الغداء على النيل .

بعد الغداء اخترق القاهرة القديمة .. مسجد سيدنا الحسين .. وكالة الغورى .. خان الخليلي .. قهوة الفيشاوى .. وكان هذا البرنامج من تدبير وزير الثقافة ، صديقه ، فاروق حسنى .

وفي صباح يوم الجمعة ، سافر إلى الإسكندرية ، على الطريق الزراعى ، وتوقف في طنطا ، لزيارة مسجد السيد البدوى ، وفي المساء حضر زفاف أخيه من أمه أكرم النقيب .

وفي الإسكندرية أيضا راح يتمشى على الكورنيش .. وتعهد أن يقف أمام تمثال جده الأكبر محمد على باشا .. وطلب التقاط صورة تذكارية له بجانب التمثال .. ثم .. راح يتأمل حدائق المنتزة .. وزار القصر .. قبل أن يقضى بقية نهار اليوم الثانى في الإسكندرية ، على شاطئ المعمورة .. إن الأجسام العارية ، المتحررة على ذلك الشاطئ الذى يرتاده الأثرياء ، جعله يعرف إلى أى مدى اختلفت صورة الحياة في مصر عن الصورة التى كانت في ذهنه والتى رسمتها الدعاية الغربية ، ليجتمع يرتد إلى

الوراء ، ويتعامل مع الأفكار الجديدة ، بالصرامة ، والرصاصة .
ومن المعمورة .. حيث المايوه البكىنى ، إلى ضريح المرسى أبو العباس ، حيث رائحة
البخور والصوفية والمسابع وكتب التراث وجماعات المصلين التى تملأ المسجد حتى
آخر شبر .. وفى الليل .. كانت السهرة فى مطعم « سان جيوفانى » .. حيث الأطباق
المميزة من الأسماك .. وقد قيل لى هناك .. إن أحمد فؤاد من البشر الذين يتذوقون
الطعام ، ويمنحونه الكثير من الإهتمام .

ويبدو أن ذلك صحيح .. فهو مثل والده الملك فاروق ، يتجه بسرعة نحو
البدانة .. لقد كان رشيقاً بعد تخرجه من الجامعة .. وكان يشبه الممثل الأمريكى
جرىجورى بيك فى شبابه ، وكان يشبه مصمم الأزياء الفرنسى الشهير بيير كاردان
أيضاً .. وولكنه سرعان ما تراكم الشحم فى جسمه ، وزاد وزنه ، وراحت قوانين
الوراثة تفرض نفسها عليه .. ولا يخفف من قسوة هذه القوانين سوى سفره الذى
لا يتوقف .. وإن كان الترحال من بلد إلى بلد يفتح شهيته أكثر .. ويجعله يجرب
فى كل مدينة صنف الطعام الذى تمجيد إعداده .

فى طريق العودة إلى القاهرة .. توقف مرة أخرى لزيارة السيد البدوى .
لقد تعمد أن يظهر فى الصورة غير المتوقعة .. صور مختلفة عن صورة والده ..
صورة الشاب الطيب ، الورع ، المتدين ، المثقف .. الذى يهتم بالتراث والحضارة
والمساجد والأضرحة .. ولا يهتم بالسهر والكباريات والخمر والنساء .. ويمكن القول
إنه نجح فى ذلك .

إن من حسن طالعنا أننا رأيناه ، فجأة ، وهو فى سن الأربعين .. سن النضج والعقل
والحكمة والهداية .. لم نره من قبل ذلك .. ولم نعرف سيرته ولا ملامحه .. وهذا
من حسن حظه أيضاً .. وجدناه بدون تمهيد كبيراً .. بعد أن تجاوز مراحل الطيش
والعبث واللهو .. وكنا نتوقع أن يكون نسخة من أبيه .. لكنه حرص على أن يخيب
توقعنا .. وقدم نفسه إلينا فى صورة المسلم ، الحريص على الفروض الدينية .. وصورة
المصرى الحريص على تاريخ بلاده .. وصورة المثقف ، المتحضر ، الحريص على الفوص
فى الآثار القديمة والأحياء العتيقة .

ولكنه .. من جانب آخر .. ابتعد عن كل ما يثير الشبهات السياسية حوله .. فلا تحدث عن الواقع الذى تعيشه مصر .. ولا انتقد الضباط الذين أطاحوا بعرشه .. ولا استسلم لشهوة الأضواء الصحفية .. ولا تورط فى الحديث وسط من لا يطمئن إليهم .. وكان يعتذر دائماً بعبارة واحدة : إنه لا يريد إحراج أحد .. وكان لابد من الاجتهاد لمعرفة الذين يخشى إحراجهم .. مؤسسة الرئاسة التى سمحت بالزيارة .. أجهزة الأمن التى تابعتها .. بقايا أسرته التى لاتزال تعيش فى القاهرة والإسكندرية ؟ .. وكانت هذه العبارة على لسان أمه كذلك .. أقصد عبارة .. عفواً .. الرجا عدم الإحراج .

لقد كان فى زيارته يمشى على حد السيف .

وكان حذراً أكثر من اللازم .. خائفاً أكثر من اللازم .. فهل استيقظت فى داخله مشاعر الرعب القديمة التى ساهم فى خلقها والده الملك فاروق ؟ .. إن والده — فى سنوات الطفولة — أقنعه بأن حياته مطلوبة .. وأن المصريين يريدون قتله .. وأن فى يد كل مصرى يضافحه خنجر .. وفى قلب كل مصرى يحتضنه قبلة موقوتة .. فابتعد عن كل المصريين .. وأحس بالخطر منهم .. وقد حاول التخلص من هذه المشاعر .. ونجح أحياناً .. ولكن .. ظل ما فى القلب .. فى القلب .. والدليل على ذلك أنه أدلى بحديث للصحفى اللبنانى محمد بديع سريه .. واشترط عليه عدم نشره إلا بعد أن يغادر مصر « بأربعة أو خمسة أسابيع على الأقل » .. وكان السبب كما قال : « إننى لأحب أن يرافق زيارتى إلى مصر أى مظاهر إعلامية حتى لايساء تفسيرها أو يُظن أننى أقصدها » .

ومن المدهش .. أن كل هذه الإحتياطات كانت من أجل حديث صحفى فى مجلة لاتهم إلا بأخبار النجوم ، والمجتمع ، ولم يخرج ما قاله كثيراً عن طبيعة المجلة . ونُشر ما قاله فى عدد يتحدث عن رغدة فى مصيف العجمى .. وهدى سلطان بعيداً عن الطرب . ونادية الجندى من أفلام المخدرات إلى أفلام مافيا السلاح .. وجاء حواراه على المستوى نفسه .

وفى القاهرة .. وبعد عودته من الإسكندرية .. شمل برنامج زيارته .. قلعة صلاح الدين .. مسجد الرفاعى .. مدفن أسرته .. قصر الجوهرة .. الاهرامات .. أبا

الهول .. الصوت والضوء .. المتحف المصرى .. مراكب الشمس .. وكان مرافقه هذه المرة على السمان .. الصحفى والإذاعى ورجل الأعمال الذى تعرف عليه فى باريس قبل سنوات .. وفى ذلك اليوم كان الغذاء فى شرفة فندق مينا هاوس .. وكان العشاء فى باخرة سياحية تقدم الطعام مع الموسيقى على النيل .

وخلال الزيارة بدا أحمد فؤاد مطلعاً على كثير مما يراه .. كان مثل سائح قرأ الكثير عن مصر قبل زيارتها .. ولكن .. الاحساس بحجم ثقافته لم يصل إلا للذين كانوا قادرين على أن يتحدثوا معه باللغة الفرنسية .. أما اللغة العربية فكان يشعر بالحرج من نطقها ، فاستخدمها فى أضيق الحدود .

وحاول ان يبدو بسيطاً فى ثيابه .. وإن لم يساعده ترهل جسمه على أن يكون أنيقاً .. ولكن .. كان من الواضح أنه يفضل الثياب الفضفاضة .. والمناسبة .. والكلاسيكية أيضا .

وهو يستخدم نظارة طبية أحيانا .. خاصة عند القراءة .. ولكنه يخلعها عند التصوير .. فهو يفضل أن تكون صورته بدونها .. وهو يفضل أن يرسم ابتسامة على وجهه أمام الكاميرا .. وهى ابتسامة حزينة .. منكسرة .. فيها شجن .. ومن الصور التى حرص عليها صورته وخلفه الأهرامات .. إنها اللقطة نفسها التى لم تفت معظم زعماء مصر ، ومعظم السياح الذين يزورونها .. ولكن .. ليس من حقه أن يقول إن أجداده الفراعنة هم الذين بنوا الأهرامات .. فأجداده شراكسة .. وليسوا فراعنة . ولم يفكر أحمد فؤاد فى زيارة القصور الملكية . لا قصر عابدين الذى وُلد فيه .. ولا قصر رأس التين الذى خرج منه .. وكان يقول : إنه جاء للفرجة على مصر .. ولم يأتِ بحثاً عن تاريخه الخاص .. ولا حاجاته الشخصية ! .. مع أن كل هذا التاريخ لايزيد عن (٦) أشهر .

لقد حاول الابتعاد عن كل ما يثير الناس .. أو يستفزهم .. أسرته .. ثورة يوليو .. الكباريات .. الاختلاط بالغرباء .. وأى إشارة ولو خفية إلى أنه يفكر ، أو يحلم ، بالعرش .

وكل الأحلام التى باح لها .. أن يزور مصر مرة أخرى هو أولاده وزوجته ..

وأن يكون له سقف فيها .. ومشروع صغير يدعم الاستقرار على أرضها .
وقد قال :

« لقد خرجت من مصر .. وعمرى ستة أشهر .. وأمنيته هي أن أعود إليها ..
إن ذلك أمر ينقصني كثيراً .. خاصة وأن أمى الملكة ناريمان .. التي تعيش في مصر ،
أصبحت صحتها على غير مايرام .. ولا بد أن أزورها .. كانت هي التي تزورني من
قبل .. ولكنها الآن لا تستطيع الحركة بسهولة .. وأود أن أتهز هذا الفرصة لأقول ..
إنه ليس لدينا سقف في مصر .. إنني لا أطلب بشيء .. ولا حتى بتعويضات ..
ولكنها مجرد ملاحظة أقولها .. وأتمنى ألا يساء تفسيرها .. وآمل أن يعطيني الله في
يوم ما وسيلة الحصول على منزل يعيش فيه أولادى .. في مسقط رأسى » .^(٢)
وسبق أن سئلت زوجته عن أمنيتها .. فقالت :

— « أمنيته هي أمنية زوجي نفسها فنحن نريد أن نعيش في مصر .. نريد
لأولادنا أن ينشئوا في بيتهم الطبيعية .. نريد الحياة كأى أسرة مصرية صغيرة ..
فليس من طموح لنا أكثر من أن يوفقنا الله في تربية أولادنا تربية عربية إسلامية
في إطار من التقاليد والروح والمشاعر المصرية الدافئة » .^(٣)

□ □

ويحرص أحمد فؤاد على القول بأنه لا يعمل بالسياسة .
فقد قال ذات مرة : إننى التقى الآن بكثير من الأصدقاء المصريين .. ونسألهم
عن مصر وشئونها .. « بالطبع .. الاقتصاد اختصاصى .. وغير ذلك لا أتعاطاه » .
وبصرى العبارة يقول : « إنه لا يفكر في استعادة العرش .. ولا يأمل ولا يحلم
بذلك » .

وتمثل هذه العبارة صدمة لكل من يحلم بعودة الملكية إلى مصر .
إنهم يطالبونه بما لا يقدر .. وما لا يطيق .

(٢) ولم ويصا — مصدر سابق .

(٣) سعد زغلوله فؤاد — مصدر سابق .

وتقول زوجته :

— إنه يتابع باستمرار ما يحدث في مصر .. ولكنه لا يمارس أى عمل سياسى ،
وهو في الوقت نفسه لا يأمل في عودة النظام الملكى إلى مصر .

□ □

وقبل أن يهبط مطار القاهرة بعدة سنوات ، سئل : (٤)

س : مالذى يمنعك من أن تذهب إلى مصر .. هل هناك ما يمنع أن تقطع تذكرة
طائرة .. وتذهب في الحال إلى القاهرة ؟

ج : قد لا يكون هناك مانع ، وقد أصل مطار القاهرة ، ويعرفوننى ، ويرحبون
بى (بالمناسبة لأريد ترحيباً يتعدى الترحيب بمواطن عادى) وقد يظهر من هو
معجب بسياسة جمال عبد الناصر . وقد يكون تصرفه معى مختلفاً عن تصرف الذين
يعشقون الديمقراطية في مصر .

ولم يحدث ما كان يخشاه .

فلا أحد اعترض على زيارته .. ولا أحد هاجمه في صحف المعارضة .. كما حدث
قبل (١١) سنة تقريباً .. بل .. حدث العكس .. حيث كتب د. محمود السقا في
جريدة « الوفد » ينتقد الحكومة ، التى لم تهتم بهذه الزيارة التى وصفها بأنها « حدث
تاريخى وإن قلت قيمته » .. وانتقد الصحافة التى تناولت الزيارة في صفحات المجتمع
لا في صفحات السياسة .. وانتقد التلفزيون لأنه لم يسارع بإجراء حوار بالصوت
والصورة مع أحمد فؤاد .. « الضيف الملك » . الذى لا بد وأن يكون الحديث معه
« حديث ذا شجون » .

وأضاف د. محمود السقا : « إن الاعلام المصرى كان كل همه أن ينسب إلى
الزائر « التاريخى » مقولته بأنه يزور مصر مبارك حيث « سيادة الديمقراطية
العظيمة » .. وأن الاعلام المصرى وقف عند حدود هذه العبارة « وانتشى وكأنه
شرب كل كؤوس الفرح » .

(٤) أحمد الجار الله — جريدة السياسة الكويتية — ٢٣ / ٤ / ١٩٨٤ .

ثم استطرد : « إن إهمال الإعلام لأحمد فؤاد على هذا النحو اكبر دليل على أن الديمقراطية في مصر — التي أشاد بها — ديمقراطية وهمية .. تحكمها سياسة « النعامة » التي تخفى رأسها في التراب .. ويتحكم فيها قانون الطوارئ الذي يتجدد بالثلاثة !

وكان أحمد فؤاد قد أشاد كثيراً بديمقراطية الرئيس حسنى مبارك .. وتوقع أن يكون عهده هو عهد تصحيح مسار الإقتصاد المصرى .. ثم أضاف : « ولعل هذا هو الذى يجعلنى أفكر فى العودة لأعيش فى مصر كمواطن عادى تتاح له فرصة خدمة بلده فى مجال اختصاصه » .

وأغلب الظن .. أن أمنيته ستتحقق .

ولكن ..

يبقى السؤال : هل ستوقف أمنيته عند سقف وبيت ووطن يرى فيه أولاده ، أم أنها ستقفز ، وتتطور إلى أمنية أكبر وأصعب .. المطالبة بالعرش ؟ ومرة أخرى .. نحن فى عصر كل شىء فيه جائز .

« عسكرية » مصر العربية !

تجمعت العائلة المالكة البريطانية — بكامل أفرادها من الملكة حتى أصغر طفل — في حديقة بكنجهام ، في لندن لإلتقاط مجموعة من الصور التذكارية الحديثة .. ولكن .. في اللحظة التي ضغط فيها المصور على « زر » الكاميرا ، تسرب الماء إلى أسلاك الكهرباء ، وحدث « ماس » كهربائى ، في الحديقة ، أدى إلى صعق كل أفراد العائلة المالكة .. ماتوا جميعا .. في لحظة واحدة .. وفي صورة واحدة .

وأصبحت بريطانيا بلا ملك ولا ملكة .. ولا وريث للعرش .. ولا أى شخص ينتمى إلى العائلة المالكة يمكن أن يجلس على العرش .. وبدأت المؤامرات تُدبر في الخفاء .. وبدأ أن بريطانيا على وشك الدخول في مرحلة حرجة من مراحل الفوضى ، والصراع .. وكان لابد وأن يجدوا شاباً مستهتراً .. يعمل في ملهى ليلي رخيص بإحدى المدن الأمريكية .. ويعيش حياته بالطول والعرض .. موسيقى .. صخب .. فتيات .. مشاجرات .. لم يجدوا غيره ينتمى إلى العائلة المالكة .. وبصعوبة أقنعه بتولى العرش .. فعاد معهم إلى لندن .. ولم يكن من السهل تدريبه ليصبح ملكاً .. إنه صعلوك ، فماذا يفعل على عرش الملوك ؟

وفي النهاية .. وتجنباً للفضائح .. أعلن فشله في أن يكون ملكاً .. وتنازل عن العرش ، لكبير الأمناء .. الأكثر أمانة على البلاد .

والقصة بالطبع ليست حقيقية .. ولكنها .. خيال .. تابعت مشاهدته في فيلم سينمائى ، كوميدى ، اسمه « كينج رالف » .. أو « الملك رالف » .. ورالف هو اسم الصعلوك الذى تحول — في يوم وليلة — إلى ملك .. ثم وجد أنه من الأفضل أن يعود إلى ما كان عليه .

والمقصود .. أنه لا يكفي أن ينتمى الملك إلى عائلة مالكة حتى يصبح ملكاً

عظيماً .. فالمملكة تدريب قبل أن تكون وراثه .. إستعداد لا استهبال .
إن رالف هو الصورة الإنجليزية من نجيب الريحاني في فيلم « سلامة في خير » .
فالأفضل أن لا يخرج الإنسان من جلده .
ولا أن يرتدى ثوباً غير ثوبه .
فحلاق ناجح أفيد من ملك فاسد ، فاشل .

□ □

والملك أحمد فؤاد الثاني ليس كالملك رالف الأخير .
فهو ليس متشرداً ، ولا صعلوكاً ، ولا خفيف الظل .. وهو يحاول أن يكون
جاداً ، وورعاً ، ومحافظاً على التقاليد .. وهو يقرأ في السياسة وإن كان لا يمارسها ..
ويعتبر توليه العرش وهو في « اللفة » مسألة تاريخية .. قديمة تنتسب للماضي ، ولكنها
لم تترك أى أثر على نفسيته .. فهو كان رضيعاً .. لم يشعر بحياة الملوك حتى يفترقها ..
ولم يشعر بخطورة العرش حتى يمن إليه .. هذا ما يقوله ويكرره .. إنه لا يريد
العرش .. ولا يريد القصر .. ولا يفكر في استعادة ما كان .. ولكنه .. لم يعلن حتى
الآن تنازله عن العرش الذى فقده منذ حوالى (٤٠) سنة .. وهذا بالضبط ما يجعل
البعض يأمل في عودته .. أو عودة ابنه إلى العرش .. وهذا أيضاً ما يفتح باب الأمل
أمام حلم لاجدال في أنه يسيطر على عقله الباطن .. إسترداد الملك لأسرته .
وهو يحتفظ في فترينة خاصة في بيته بباريس ببقايا والده — الملك فاروق —
الشخصية .. النياشين .. الأوسمة .. الكاب والرتب العسكرية .. عدة تليفون ..
جواز سفر .. نسخة من علم مصر الأخضر .. ومفكرة للجيب .. وأخرى
للمكتب .. إن هذه الأشياء مثل شاهد القبر .. تذكره بالمملكة التى دُفنت .

ولكنه .. ليس من النوع الذى يبكى على الأطلال .. وإنما من النوع القادر على
تحويل الأطلال إلى ماهو أفضل .. أو على الأقل يحاول .. والمحاولة بدأت بالعودة إلى
جذوره المصرية .. لقد سعى — رغم أنه استيقظ متأخراً (٤٠) سنة — إلى الإنتماء
إلى كل ما هو مصرى .. الطعام .. الموسيقى .. الأصدقاء .. جواز السفر .. شهادة
ميلاد ابنه الأكبر .. ثم .. كان أن أعلن عن رغبته في أن يعيش في مصر ، ويعمل

من أجلها .. ثم .. كان أن أعلن عن رغبته في إعادة كتابة تاريخ أسرته .. مع عدم تجاهل أخطاء والده عندما كان ملكاً .
إن ذلك كله كان محاولة منه لاقناع المصريين بأنه ليس سيئاً مثل أبيه .. وأنه بسيط ، متواضع ، وطيب ، ولا يطمع في أكثر مما يقول .
ولكن ..

كان بين المصريين مَنْ تحمس له أكثر مما يتحمس هو نفسه .
كان من بين المصريين من قال : لماذا لا تعود الملكية ؟ .. إذا كان ابن فاروق لا يزال على قيد الحياة ؟

— يعنى تنتهى الجمهورية !

— ممكن .

— ويسترد أحمد فؤاد العرش ؟

— جائز .

— ويعود الزمن إلى الوراء ؟

— ياريت !

□ □

وهكذا ..

يأمل ، يحلم ، ويفكر ، ويجيب هؤلاء ، وهم أقلية .. ولكن أقلية صوته مرتفع ، ونفوذه كبير ، وماله وفير ، وغضبه حاد ، وطموحها بعيد .. ثم .. إنها تلعب على أوتار المواجه المصرية .. الفقر .. والقهر .. والنفاق .. والفساد .. والجمود .. والرغبة العارمة في التغيير .. فلا شيء ثابت ، ولا شيء مستقر .. والدوام لله وحده .. والخلود أيضا .. إنها سنة الكون .. التغيير .. أى تغيير .. للأمام أو للخلف .. للأفضل أو للأسوأ .. لا يهم .. المهم التغيير .

لقد زهقنا من حكم « العسكر » .. فقد ذهب ملك وجاء ألف ملك .. إنهم ألغوا الملكية وأعلنوا الجمهورية .. ليحكم الشعب .. ولكن الذى حدث أنهم هم الذين حكموا .. فكان لابد أن يسموا ما أعلنوه بالعسكرية .. عسكرية مصر العربية ..

من جمهورية مصر العربية .. وكان حكمهم صارماً .. قاسياً .. لا ديمقراطية فيه ولا حرية .. ولا عدل فيه ولا مساواة .. وقد ادعوا غير ذلك .. فكانوا مثل دكتور جيكل ومستر هايد .. وساهم الإعلام الثقيل على تجميل صورهم .. فهم الأفضل والأقوى ، والأروع منذ (٧) آلاف سنة .

وكان حكمهم أبدياً .. فالرئيس مثل الملك .. القدر وحده هو الذى يغيره .. والموت أيضاً .. ولا وجود لما يقال عن إرادة الشعب ، وحقه فى التغيير ، وقدرته على ذلك . انها خدعة كبرى .. مستمرة .. فالشعب عاجز .. إما خائف من البطش .. وإما خائف من الفقر .. إما يحبط رأسه فى الحائط ، وإما يغرق فى غيبوبة الخرافة والمخدرات — ثم إن الرئيس القائم ، هو الذى يختار الرئيس القادم .. الذى سيرث الحكم ، والشعب ، والأرض ، من بعده .. أى نائب الرئيس .. ولى العهد فى النظام الجمهورى .

فإذا كانت الملكية مثل الجمهورية .. فلماذا لا نرجع إلى الأصل ؟

إن كل شيء كان جميلاً .. زمان .. فلننقل للزمان إرجع يا زمان !

وما يقوله « هؤلاء » يبدو معقولاً ، ومقبولاً .. فالثورة أنهت الرأسمالية ، وأنهت الديمقراطية .. وقضت على الإقطاع وعلى حقوق الإنسان .. ولم تفرق — وهى تهدم مافات — بين النظام والمجتمع .. لم تفرق بين السلطة ، والشعب .. فضربت الجميع ... والملكية خرجت من أسرة محمد على لتدخل أسرة المؤسسة العسكرية .. فالأبدية أصبحت عسكرية .. لا ديمقراطية ولا اشتراكية .. لا حرية ولا عدالة اجتماعية .. إنها مجرد كلمات .. شعارات .. فالكلام أصبح فخر الصناعة المصرية .. ومع تقدم التكنولوجيا ، أصبح زعمائنا سترىو .. وبال سيكام .. والأحزاب السياسية ، ضمرت .. وازدهرت بدلاً منها أحزاب النفاق ، والفساد ، والرشوة ، والخداع . وفى كل الأحوال .. ظل الشعب فى القاع .

كل هذا صحيح .. وأكثر .. ولكن .. لماذا لا يكون البديل هو العودة إلى الماضى .. أو إلى الوراء ؟

لماذا يكون الحل فى يد شخص لم يعد مصرياً ، هو أحمد فؤاد ؟

لماذا نفعل مثل اليهودى عندما يُفلس ، ونفتش فى دفاترنا القديمة .. فإذا وجدنا
أحمد فؤاد تحمسننا له .. وإذا وجدنا غيره ألقينا بالرّهان عليه ؟

إن العودة إلى الماضى لا بد أن تكون حالة دراسية ، لاحالة واقعية .. نتفحص فيها
ما كان .. ليس كاليهودى الذى أفلس .. وإنما كالباحث العاقل ، البارع ، الذى يحدد
صورة المستقبل على ضوء تجارب الماضى .. إننا لكى نعرف موقع أقدامنا الحاضرة ،
لا بد أن نعرف تاريخ ذلك الموقع .. وكيف جاء .. وكيف كان .. ولماذا تعرض
للإنهيار ؟ .. المسألة ليست مسألة العودة إلى الطفولة ، وأيام زمان الجميلة .. وليست
مسألة « نبش قبور » .. ولا اختلاف وانقسام وقتال حول ما كان .. وإنما هى تطلع
إلى المستقبل بعيون ترى الماضى ، والحاضر بدقة .. ولكى تراه بدقة لا بد أن تعرف
جذوره .. هكذا .. بلا زيادة ولا نقصان .. بلا انفعال أو عواطف .. بلا يأس ،
ورغبة فى أمل كاذب .

إن الحاضر أهم ألف مرة من كل ما فات .. ولكن .. لكى نعرف الحاضر لا بد
أن نعرف ما فات بعيون مفتوحة إلى آخرها .. وليس من خلال عقول مغسولة
بالوهم .. أو من خلال نظارة على مقاس نظر غيرنا .

□ □

ثم ..

من يجرؤ على القول بأن الديمقراطية هى الوجه الآخر للملكية .. والديكتاتورية
هى الوجه الآخر للجمهورية ؟

إن ذلك ليس شرطاً .. فالديمقراطية قد تكون ملكية — بريطانيا مثلاً — وقد تكون
جمهورية — إيطاليا مثلاً .. والديكتاتورية كذلك .. الأردن — الملكية ،
والعراق — الجمهورية .. مثلاً .

ومعظم الملكيات السابقة كانت ديكتاتورية ، جاءت بعدها جمهوريات ديمقراطية ..
فرنسا .. وألمانيا .. وإيطاليا .. والنمسا .. مثلاً .

ولن تكون فى مصر ديمقراطية إذا ما عادت الملكية .. فأيام الملكية لم تكن فى
مصر ديمقراطية حقيقية .. بل كان هناك سلطة أجنبية ، قادرة — إذا أرادت — أن

تحاصر قصر عابدين ، بالديانات ، وتفرض على الملك الحكومة التى تريدها ، وتجبره على التنفيذ .. وإلا كان الثمن عرشه .. إن ذلك الحادث يُعرف فى التاريخ باسم حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ ، وقد اعترف أحمد فؤاد بأن هذا الحادث كس كبرياء أبيه ، وسحق كرامته كرمز للبلاد .

وقد أخذت الملكية بعد هذا الحادث تفرض درجة درجة .. حتى إذا ما حدث انقلاب يوليو ، وجدناها ترقد فى القاع .. إن النظام الملكى كان قد انتهى بالفعل قبل ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .. وكان كل ما فعله الضباط الأحرار هو استخراج شهادة الوفاة . ولم تكن مصر بالصورة التى يتخيلها دعاة الملكية .. إن الصورة المستقرة فى عيونهم مقتبسة من أفلام الفنان الراحل أنور وجدى ، حيث .. القصور .. والخيول .. والخمور .. والحدائق .. والثياب المستوردة .. والسيارات الفارهة .. والنساء الرشيقات ، الجميلات ... ولكن .. هذه الصورة كانت تمثل مجتمع النصف فى المئة .. وكانت غالبية المجتمع لا تراها إلا على الشاشة البيضاء ، كنوع من الوهم .. وإن كان وهماً جميلاً .. كان الفقراء يستيقظون بعده على واقع مر .. سجلت السينما بعضاً منه فى أفلام كمال سليم وصلاح أبو سيف .. وتمتلىء صحافة تلك الأيام — المحفوظة فى دار الكتب — بمئات من الأدلة على بشاعة تلك الصورة .. ولكن .. لا أحد يقرأ .. ولا أحد ينظر .. ولا أحد يجهد نفسه بحثاً عن الحقيقة .. فنحن نريد أن نهرب من الواقع المؤلم الذى نعيشه إلى وهم ساحر اسمه أيام زمان .

إن هذا النوع من الوهم أصبح مثل الخدرات التى تجعلنا فى غيبوبة تاريخية لا أتصور أن أحداً غيرنا جربها ، أو عاشها ، أو استسلم لها .. إلا فى مستشفى للأمراض النفسية .

والمذهل .. أنهم عاجزون عن التكيف مع الحاضر .. وليست لهم مصلحة فى الإنثناء إلى ما هو قائم .. ثم .. إننا قلنا لهم باستمرار أن الماضى كان أجمل .. والحاضر أسوأ .. والمستقبل — المطلوب منهم اقتحامه — أشد ظلاماً ، وسواداً .. وكان أن طالبوا بالماضى .. وسعوا إليه .. وألقوا المسؤولية على كاهل غيرهم .. الآباء والأجداد .. أصحاب الماضى .. والمسؤولين عنه .

وكل ما حولهم يذكرهم بما كان .. أسماء المحلات .. الإمبراطورة .. التاج .. الطربوش .. السلطانية .. الممالك .. التكية .. الملكة .. والفوارق الشاسعة بين الطبقات .. الأتوبيس والمرسيدس .. القصور والمقابر .. البقلاوة والخبز الحاف .. الثراء الفاحش ، والفقر المدقع .. الدولار ، والبطالة .. الملايين والملايين .. إنه الماضي يسترد نفوذه الإقتصادي فلماذا لا يسترد نفوذه السياسي ؟ .

إن النظام السياسي يعكس صورة الواقع الإقتصادي .. والواقع الإقتصادي لا يختلف عما كان في أيام الملكية .. وإن اختلفت الأسماء ، والألقاب ، ومصادر الثروات ... فلماذا لا يتجانس الأمر ، وتعود الملكية كنظام سياسي ؟

ولماذا لا يكون هناك من يسعى إلى ذلك .. ولا نعرفه ؟

إن اهتمامي الكبير بتاريخ مصر الحديث ، جعلني أخرج بقانون ، لو طبقته على كل ما جرى لنا ، وما مر بنا من أحداث ، ستجده ينطبق بكل دقة .. ذلك القانون هو : أن لا شيء في بلادنا يحدث صدفة أبداً .. وإنما كل شيء يحدث بتدبير .. والتدبير كما يقول د. يوسف إدريس — غير المؤامرة .. « فليس أسهل لدينا من استعمال تلك الكلمة .. مؤامرة .. ولا شيء أكثر منها تضليلاً .. ذلك أنها تدفعك للتصور أن أعدائنا يحاربوننا بالمؤامرات .. أى تدبيرات منفصلة ، كل منها واقعة ، دبرت .. هذا صحيح ، ولكن لتحقيق هدف واحد .. ما .. ولكن أعداءنا للأسف ، ولسوء الحظ لا يحاربوننا (بالقطعة) بل هم يحاربوننا بخطة .. تخطيط شديد البراعة له أهداف بعيدة المدى ، تتحقق عن طريق تحقيق أهداف قريبة المدى ، تصب في النهاية في الخطة العظمى .. والخطة العظمى ليست خطة جامدة ، أو غير قابلة للتعديل ، إنها مطاطة تماما .. والواضح فيها أن الثابت هو أهدافها فقط ، أما التكتيك فإنه يوضع مستغلاً كل خطأ في ردود أفعالنا »^(١) .

لا شيء صدفة إذن ..

وكل الحلقات يمكن أن تتصل ..

(١) لم أجده أفضل من هذه العبارات للتعبير عن فكري ، وهي عبارات صاغها الدكتور يوسف إدريس في كتابه الذى أثار ضجة : « البحث عن السادات » .

إعلان السادات فجأة أن أحمد فؤاد ابنه .. قبوله أن تلد زوجته ابنه في القاهرة ..
زواج أحمد فؤاد من فتاة يهودية .. سفر السادات إلى إسرائيل .. كامب ديفيد ..
تشويه سمعة ثورة يوليو ، واستغلال أخطائها في محو إنجازاتها .. خلق طبقات جديدة ،
طفيلية ، تملك المال ، وتحلم بالانتماء إلى الأرستقراطية القديمة .. عودة أحمد فؤاد إلى
القاهرة .. الاحتفاء الشديد بزيارته .. ارتفاع الأصوات التي تطالب بعودة الملكية .
لاشئ صدفه ..

وإن كانت صورة الواقع تخدم الخطة العظمى .. فاليأس يدفع الناس إلى التعلق
بقشة .. حتى ولو كانت هذه القشة هي شخص اسمه أحمد فؤاد .
فالأمل الكاذب .. أفضل من اللا أمل .
والوهم في التغيير أفضل من السكون والجمود .
والماضى لن يمضى ، ويصبح ذكرى ، إلا إذا كنا قادرين على اقتحام المستقبل ،
والتفاهم معه ، والتكلم بلغته والتعايش مع أساليبه .
وبدون ذلك ..

لن يكون أماننا سوى الاستمتاع بالسيء .. قبل أن يأتى الأسوأ .



احمد فؤاد في القاهرة امام الاهرامات



فاروق وناريمان قبل المنفى



الاب والام والابن .



أحمد فؤاد في سويسرا أثناء دراسته مع شقيقاته الثلاث من الملكة فريدة



في جنازة والده مع شقيقاته



اصيلة هانم



امين فهميم



محمد نجيب يذيع تنازل فاروق عن العرش



فاروق - صورة نادرة في الواحات



شاه إيران وزوجته الأولى شقيقة فاروق « فوزية » وابنتيهما



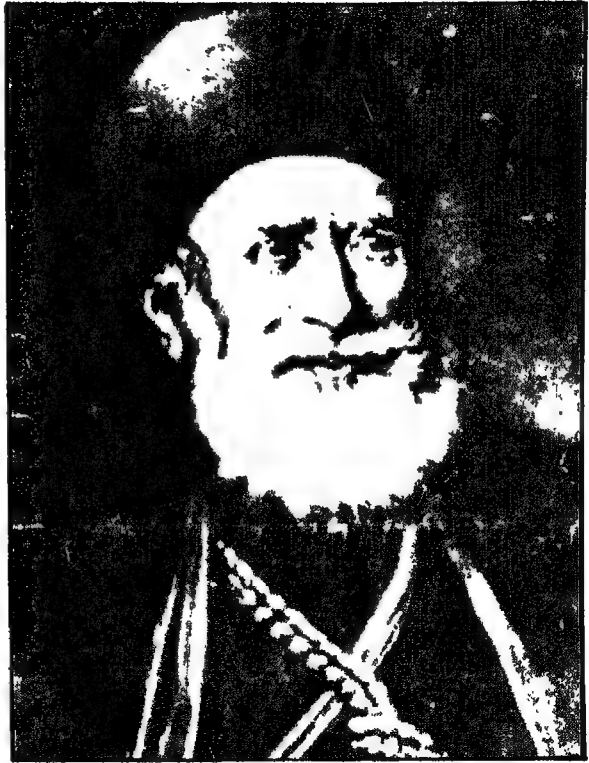
الوصي على العرش الأمير محمد عبد المنعم وزوجته الجميلة القوية الأميرة نسل شاة



فاروق وفريدة ... أيام العسل



فاروق وإيرما .. آخر امرأة قبل الرحيل من الحياة



محمد علي الكبير



طاقم السفارة المصرية في إيطاليا عند نفي فاروق إليها
وفي الوسط السفير عبد العزيز بدر وإلى جانبه أمين فهم



احمد مؤاد يرقص في ملهى «القرصان» في الكويت دأزور عندما كان شاباً



احمد فؤاد وجريس كيل في بيته ببافيس



احمد فؤاد وزوجته وابنتهما



احمد فؤاد وفضيلة وإبنتهما البكر محمد على





فريدة وناريمان بعد ان ضاع العمر

أمر ملكي رقم ٦٥ لسنة ١٩٥٢
نحوه فاروق الأول ملك مصر والسودان

لما كنا نطلب اليك دائماً الأمانة والوفاء وسعادتنا ورفقنا
ولما كنا نعرف رغبة أئمة في تجنب البلاد المصاحبة التي نواجهها في هذه الظروف الحرجة
ونزولنا على إرادة الشعب
قدنا القول في العرس لول عهدنا الأمير أحمد فؤاد أصدنا أعمالنا إلى عهدة صاحب
المقام الرفيع على ما هو بائناً رئيس مجلس الوزراء للعمل بمقتضى
عهد بقدر أساليب في ما قد يهتد (١٩٥٢) (١٩٥٢).

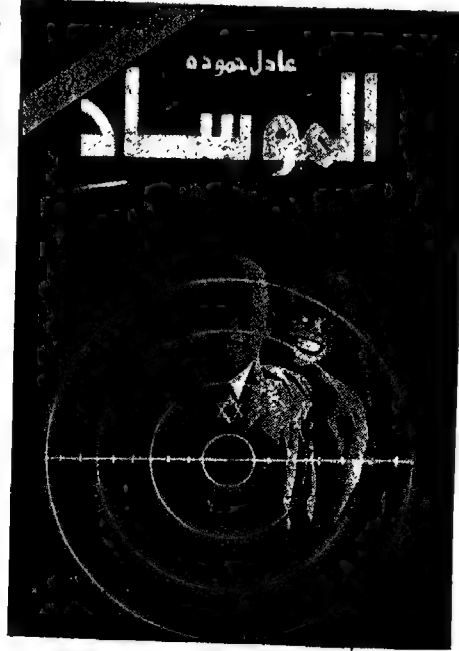


أمر فاروق بالتنازل عن العرش
للالامير احمد فؤاد

دار سفنكس للطباعة والنشر

تقدم

الكتاب الذى اختير كتاب لعام ١٩٩٠

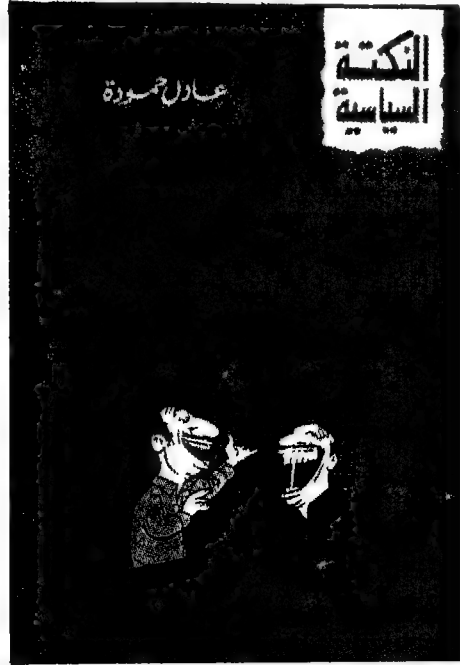


الموساد واغتيال المشد

للكاتب الصحفى : عادل حموده

□ أول كتاب يروى تفاصيل اغتيال عالم الذرة المصرى د. يحيى المشد فى باريس ويثبت أن الموساد هى التى قتلتها □ أسرار الصراع النووى فى الشرق الأوسط □ كيف دمرت الموساد المفاعل النووى العراقى مرتين □ قصة القنبلة الذرية المصرية من عبد الناصر إلى السادات □ جاسوس الشمبانيا فى مصر وجاسوس المخابرات المصرية فى مفاعل ديمونة الإسرائيلى □ من قتل سميرة موسى وغيرها من علماء الذرة المصريين □ كيف خططت المخابرات الإسرائيلية للإستيلاء على شحنة الماء الثقيل من النرويج باختطافها لاحدى الناقلات البحرية التى كانت على متنها تلك الشحنة وأسرار أخرى تجمع بين المتعة والخبرة يكشفها هذا الكتاب

دار سفنكس للطباعة والنشر
تقدم
أول وأجراً كتاب سياسى فى تاريخ مصر



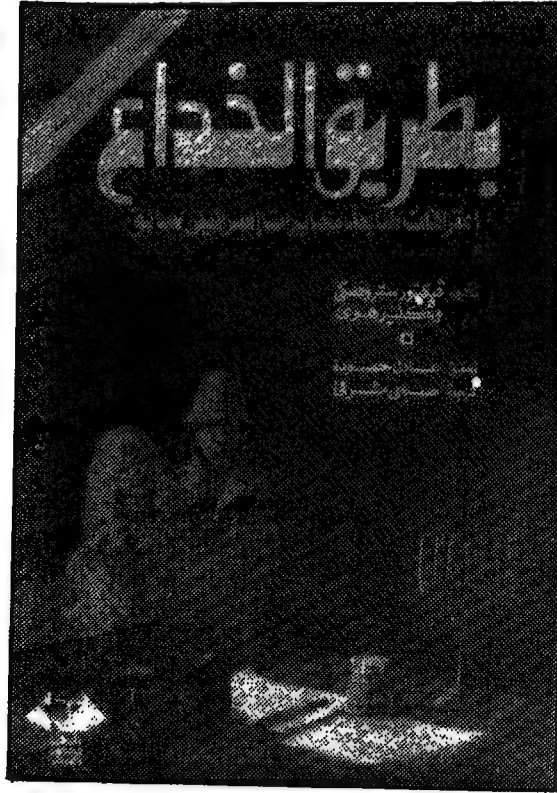
النكتة السياسية
كيف يسخر المصريون من حكامهم
للكتاب الصحفى : عادل حموده

- حرب النكتة فى كواليس ثورة يوليو □ نكت عن جمال عبد الناصر فى جيب صلاح نصر
- تقارير النكتة الأسبوعية لرئاسة الجمهورية □ النكتة التى أطلقها البابا شنوده على السادات
- مجلس النكتة فى السفارة الأمريكية □ أشهر النكت السياسية فى التاريخ من سعد زغلول
- إلى حسنى مبارك □ ماذا يقول أكبر (٥٠) كاتب سياسى عن كيفية مواجهة المصريين للسلطة ..
- بالنكتة □ وغيرها فى أمتع كتاب لعام ١٩٩١

دار سفتكس للطباعة والنشر

تقدم

الكتاب الذى حاولت إسرائيل منعه



بطريق الخداع

تحقيق وتقديم : عادل حموده

الترجمة الكاملة الوحيدة التى تشمل على الأجزاء المصادرة

- قيادات الموساد عرايا مع المجنندات الإسرائيليات .
- أخطر عمليات التجسس الإسرائيلية داخل البلاد العربية واختراق الموساد لها
- عملاء إسرائيل من مساعد عرفات إلى رئيس لبنان .
- شذوذ ومخدرات للسيطرة على العرب .
- خبير الذرة العراق الذى سهل للموساد اغتيال عالم الذرة المصرى د. يحيى المشد
- وأسرار خطيرة أخرى عن عالم المخابرات الإسرائيلية

دار سفنكس للطباعة والنشر
تقدم
نميرى والعودة لحكم السودان
أول كتاب يكشف الحقائق كاملة في أول محاكمة لنميرى



للكاتب الصحفي : محمود فوزي

- نميرى يعلن ساعود لحكم السودان خلال فترة قصيرة قادمة
- نميرى يعترف لأول مره — بتهريب يهود الفلاشا على طائرات امريكية بالاشتراك مع جورج بوش
- كيف اتخذ نميرى قرار الالعودة للسودان بعد مناقشته لقائد طائرته عند رجوعه من امريكا في مطار القاهرة
- ما هي الظروف التي عين فيها سوار الذهب وزيرا للدفاع وما هو الفارق بين انقلاب سوار الذهب وانقلاب البشير
- اراء نميرى في رجاله الذين اقتربوا منه في الحكم
- اسرار انقلاب هاشم العطا واسباب تدخل قوى اجنبية لافساد هذا الانقلاب
- كيف تحول نميرى من الحياه الصاخبه ومعافرة الخمر إلى تطبيق الشريعه الاسلاميه
- لماذا رفض نميرى مقابلة الوفد الذي جاء من البشير بعد الانقلاب
- من هم الثلاثة الكبار الذين كان لهم «أيادي بيضاء» في تخريب الاقتصاد السوداني واعترافات خطيره أخرى تنشر لأول مره

دارسفنكس للطباعة والنشر

تقدم

أهم كتاب صدر عن حرب الخليج المفجر فضيحة ووترجيت : بوب وودوارد

القصة



اسرار صناعة القرار الامريكى لحرب الخليج

تحقيق وتقديم ومراجعة الكاتب الصحفى : عادل حموده

- اعتراف امريكى : صدام حسين كان قادرا على سحق القوات الامريكية حتى ١١ ديسمبر ٩٠
- «سليمان» كلمة سر الحرب من البنتاجون للملك فهد
- رئيس الاركان الامريكى يفاجأ بقرار حرب تحرير الكويت
- لماذا استقال قائد الطيران الامريكى قبل الضربة الجوية الاولى
- السفير المعجزة الذى اهدى امرأه عاريه من الكاوتش لصحفى يهودى
- واسرار خطيرة اخرى لأول مره

دارسفنكس للطباعة والنشر

تقدم

حرب الخليج الملفات السرية



كواليس حرب الخليج في اخطر كتاب صدر عنها
للكاتبان الفرنسيان : بيير سالينجر - إريك رولان
تحقيق وتقديم ومراجعة : الكاتب الصحفي : عادل حموده

- السفير المثير تورط الرئيس العراقي في احتلال الكويت
- كيف باع الكويتيون استثماراتهم سرا في بالهيكوك لتحويل الحرب
- التليفون الذي أيقظ حسنى مبارك من نومه فجرا
- الساعات الاخيره للاسره المالكه بعد الغزو
- هل ووط الامر يكان صدام حسين في اجتلال الكويت
- واسرار دقيقة اخرى لم تنشر من قبل

دار سنكس للطباعة والنشر

تقدم

كتاب عام ١٩٩١

الذى فجر أول قضايا الفساد في مصر
واسقط نواب المخدرات في مجلس الشعب
نواب الكيف



للكاتب الصحفي : محمود الشربيني

- كيف تسال نواب المخدرات للبرلمان وانضموا للحزب الوطنى وتعاونوا مع العدو الصهيونى ؟
- ماذا تقول أجهزة الامن المختلفة عن انشطتهم المشبوهة وثرواتهم المحرمة ؟
- من يقف وراءهم .. وما موقف وزير الداخلية ورئيس مجلس الشعب والنواب الشرفاء في المجلس بما فيهم نواب الحزب الحاكم ؟
- شهادات لفؤاد سراج الدين وكافة رموز المعارضة والقيادات السياسية والفكرية المصرية !
- واسرار اخرى مثيرة حققها الصحفي محمود الشربيني المحرر بجريدة الوفد في اجراء كتاب صدر لعام ١٩٩١

دار سنكس للطباعة والنشر

تقدم

الكتاب الذى اضاء الطريق امام جميع الممولين
للتعامل مع مصلحة الضرائب على المبيعات
مشاكل - ردود - استفسارات

كبير مدراء الزادع مطبوعات
على المبيعات
مشاكل - ردود - استفسارات

المراجع الفنى الشامل
في
الضريبة العامة على المبيعات
تأليف / جمال احمد شواره

- الضريبة العامة على المبيعات بين أحكام القانون والتطبيق العلمى .
- المشاكل المثارة حول تطبيق أحكام الضريبة العامة على المبيعات .
- مقيضة ضريبة المبيعات التى تحمل على السلع المستوردة في مرحلة الإنتاج المبركة .
- مدى خضوع السلع الرأس المال للضريبة ويؤخذ فى الحسبان الفاضلة من مدى خضوعهم
- الضريبة السددة على مبيعاتها .
- شرح كامل ووافى لمواد وأحكام القانون واللائحة التنفيذية مع شرح التفسيرية
- الكاظم للمجلدات الرقعة بالقرار الجمهورى رقم ١٨٠ لسنة ١٩٩١ طبقا لما ورد بشرح التعريفات المبركة .
- الاجابة على أكثر من ١٠٠ سؤال واستفسار من الممولين عن كيفية تطبيق أحكام
- قانون الضريبة على المبيعات وعمل مشاهيرهم .
- كيفية تحرير كافة النماذج والقرارات والرقائق الحسابية والبيانات اللازمة لتطبيق أحكام القانون .
- التعاميم التفسيرية الصادرة من المصاحبة حتى تأتى بصيغة هذا الكتاب .
- محاولة جادة للاستجلاء الغموض الذى صاحبه صدور قانون ضريبة المبيعات
- وتحسين مفهومه والواقعة المنشئة للضريبة .

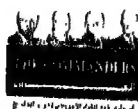
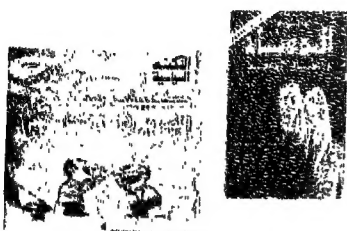


المراجع الفنى الشامل
في الضريبة العامة على المبيعات

تأليف : جمال احمد شواره

- الضريبة على المبيعات بين أحكام القانون والتطبيق العلمى .
- المشاكل المثارة حول تطبيق أحكام الضريبة على المبيعات .
- شرح كامل ووافى لمواد وأحكام القانون واللائحة التنفيذية مع الشروح التفسيرية الكاملة للمجداول المرفقة بالقرار الجمهورى رقم ١٨٠ لسنة ١٩٩١ طبقا لما ورد بشرح التعريفات الجمركية .
- الاجابة على أكثر من ١٠٠ سؤال واستفسار من الممولين عن كيفية تطبيق أحكام قانون الضريبة على المبيعات ول مشاكلهم .
- كيفية تحرير كافة النماذج والقرارات والدفاتر المحاسبية والسجلات اللازمة لتطبيق القانون .
- محاولة جادة للاستجلاء الغموض الذى صاحبه صدور قانون ضريبة المبيعات وتحديد مفهومه والواقعة المنشئة للضريبة .

من اصدارات دار سفنكس



هذا الكتاب

بعد طول إنتظار أنجب الملك فاروق ولى عهده الأمير أحمد فؤاد ، فكان ولى العهد رقم « ١٣ » فى أسرة محمد على الكبير . . وبينما كان فاروق يقدم ولى العهد لضباط الجيش ، كانت القاهرة تحترق . . ومن ثم بدأ العد التنازلى لعرش فاروق الذى رحل عن مصر فى ٢٦ يوليو ١٩٥٢ ، حاملاً أحمد فؤاد معه إلى المنفى ، بالرغم من أن الطفل الرضيع أصبح ملكاً على عرش مصر . . « ملكاً فى اللفة » . . وبعد ٤٠ سنة ، عاشها فى سويسرا وفرنسا ، عاد أحمد فؤاد الملك الأخير إلى مصر . . فما الذى حدث طوال هذه السنوات ؟ . . إن هذا



الكتاب يجيب على هذا السؤال ، ويكشف حياة الأسرة المالكة المصرية فى المنفى . . والصراع بين فاروق وحماته على ناريمان . . وهو الصراع الذى إنتهى بالطلاق . . دون أن ترى ناريمان أبنها ، إلا بعد وفاة فاروق الذى قيل أنه قُتل فى روما . . وقد حدث ذلك بينما أحمد فؤاد يتعلم فى سويسرا ، تحت مسئولية أمه الأخرى جريس كيلي ، أميرة موناكو ، التى رفضت أن تزوجه ابنتها ، ولكنها وافقت على زواجه من فتاة فرنسية ، يهودية ، أشهت إسلامها . . وأصر أحمد فؤاد على أن تلد زوجته ابنه الأول فى القاهرة ، فتساءلت المعارضة . . هل هذه مقدمة للمطالبة باسترداد العرش ، خاصة وأنه لم يتنازل عنه رسمياً ؟ ! ثم غضبت المعارضة من السادات لأنه أعاد إلى أحمد فؤاد سيف والده - رمز الحكم - الملك فاروق . . ولا يتوقف هذا الكتاب عن كشف الأسرار ، التى لا يعرفها أحد ، ومن مصادرها المباشرة ، وذلك لتصبح القصة كاملة بما فى ذلك شهادة ابراهيم بغدادى الذى اتهم بقتل فاروق . . ويروى القصة ، ويكشف تفاصيلها المذهلة ، الكاتب الصحفى عادل حمودة الذى طارد مصادر الكتاب فى عواصم ومدن كثيرة من العالم ، وصاغها بأسلوبه الشيق ، الجذاب ، مما يعنى أن القارئ سيعرف ، وسيستمتع ، وسيحتفظ بهذا الكتاب دون أن يسلفه إلى جاره .